

سِفَرُ السَّعَادَةِ

في ذكر حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول الوحي وبعده إلى أن لقى ربه

من عبادة . ومعاملة . ومعالجة الراسخ القلوب . ومداواة أوصال

للعالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ أبي طاهر

محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي

الشيرازي صاحب القاموس

المتوفى سنة ٨١٦ هـ



obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد الحمد والثناء على حضرة ذى الكبرياء ، والصلاة بلا نهاية على رئيس الأنبياء وخلاصة الأصفياء ، وآله وأصحابه الأتقياء ، وعلى أرواح التابعين من الصالحين الأولياء . فلتعلم طائفة الأحباب والأصحاب ، وزمرة العقلاء من ذوى الألباب أن طريق الحق الذى هو المضراط المستقيم من أجل أن غاية ذلك هو الحق جل شأنه أشرف الطرق وأجلها ، وأنور السبل وأكملها وسلوكها بغير متابعة هاد ماهر ، وخيرت باهر لا يمكن بل لا يتصور لاجرم أن من تشرف بدرك هذا المعنى علم أن اتباع سيرة رئيس الهداة وكبير من اختير من حضرة الرحمن محمد المصطفى ﷺ والاهتداء بسنة جنابه المقدس هو سبب النجاة الأبدية ، وموجب القرب والوصول إلى الحضرة الربانية ، ولا وسيلة منها أشرف ولا طريقة منها أقرب ، ومصدق ما قلنا قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) ومفهوم الكلمة الجامعة النبوية « الدين النصيحة » (١) أُلجأت إلى امتثال أجابة ملتزمين كبير من الذرية المقدسة النبوية . ونبعة من الدرجة المكرمة المصطفوية فى إثبات أبواب ثبتت فى صحاح الأخبار المقدسة من الطريقة الأنيقة المحمدية والسنة السنوية النبوية فأجرينا القلم بها لتكون دستور آمن أراد درك هذه السعادة فليعتمد عليها فى باب العبادات اعتمادا كلياً ولا يعبأ بخلاف زيد . وعمره ، فإن

(١) ذكره البخارى تعليقا ورواه مسلم مسندا عن نعيم الدارى

هذه المسائل ستكتب على وجه ثبت عن رسول الله ﷺ بأسانيد صحيحة ،
وكل متعبد أتم سلوك هذا المنهج المستقيم بطريق الإخلاص أمكن يد طلبه
التعلق بطرف مقصوده وتخلقت طينته الطيبة بالإخلاص المقدسة النبوية
إن شاء الله تعالى .

﴿ وهذا سفر (١) السعادة ﴾ جعلناه محتويا على فاتحة . وخاتمة . وأبواب
تحتوى على فصول ونأمل أن تحيط أنوار أسرارها بالكافة . وتكتنف
(العامة) إن شاء الله تعالى .

فاتحة الكتاب

في ذكر حال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل نزول الوحي وبيان عباداته في تلك الأيام

لما بلغ ﷺ سبع سنين وتوفي جده عبد المطلب وافتخر عمه أبو طالب
بشرف كفالته وتربيته أمر الله تعالى شأنه اسرافيل عليه الصلاة والسلام
أن يقوم بملازمته فكان قرينه دائماً إلى أن أتم إحدى عشر سنة ، ثم أمر
جبريل عليه الصلاة والسلام بملازمته تسعا وعشرين سنة بطريق المرافقة
والمقاربة لكن لم يظهر له ، وفي بعض الروايات الصحيحة أن اسرافيل ظهر
له في ملازمته مراراً وكلمه بكلمة وكلمتين ، وقبل نزول الوحي بمدة خمس
عشرة سنة كان يسمع صوتاً أحياناً ولا يرى شخصاً . وسبع سنين كان يرى
نوراً وكان به مسروراً ولم ير شيئاً غير ذلك ، ولما قربت أيام الوحي أحب
الخلوة والانفراد فكان يتخلى في جبل حراء وهو على ثلاثة أميال من
الكعبة وبه غار صغير طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع وثلاث في بعض
المواضع وفي بعضها أقل ، واختار محل الخلوة هناك ، وللعلماء في عبادته
في خلوته قولان قال بعضهم : كانت عبادته بالفكر وقال بعضهم بالذكر ،
وهذا القول الصحيح ولا تعريج على الأول ولا التفات إليه لأن خلوة
طلاب طريق الحق على أنواع :

الأول : أن تكون خلوتهم لطلب مزيد علم الحق من الحق لا بطريق
النظر والفكر وهذا غاية مقاصد أهل الحق لأن من خاطب في خلوته كونا
عن الأكوان أو فكر فيه فليس هو في خلوة قال شخص من طلاب الطريق
لبعض الأكابر : اذكرني عند ربك في خلوتك قال : إذا ذكرتك فليست معي

فى خلوة ، ومن ثم يعلم سر أنا جليس من ذكرنى ، وشرط هذه الخلوة أن يذكر بنفسه وروحه لآبنفسه ولسانه :

الثانى : أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر لى يصح نظرهم فى طلب المعلومات وهذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل وذلك الميزان فى غاية اللطافة وهوبادنى هوى يخرج عن الاستقامة ، وطلاب طريق الحق لايدخلون فى مثل هذه الخلوة بل تكون خلوتهم بالذكر وليس للفكر عليهم قدرة ولاسلطان ، ومهما وجد الفكر طريقا إلى صاحب الخلوة فينبغى أن يعلم أنه ليس من أهل الخلوة ويخرج من الخلوة ويعلم أنه ليس من أهل العلم الصحيح الالهى إذ لو كان من أهل ذلك لحالت العناية الالهية بينه وبين دوران رأسه بالفكر .

الثالث : خلوة يفعلها جماعة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لايعنى فانهم إذا رأوا الخلق انقبضوا فلذلك اختاروا الخلوة .

الرابع : خلوة لطلب زيادة لذة توجد فى الخلوة وخلوة حضرة صاحب الرسالة من القسم الأول ، وكان بعيداً جداً من جميع المخالطات حتى من الأهل والمال وذات اليد ، واستغرق فى بحر الأذكار القلبية ، وانقطع عن الاضداد بالكلية ، وظهر له الأنس والجلوة بتذكر من لأجله الخلوة ولم يزل فى ذلك الأنس ومرآة الوحي تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحي وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت فكان لايمر بشجر ولاحجر إلا قال بلسان فصيح : السلام عليك يا رسول الله فكان ينظر يمينا وشمالا ولا يرى شخصا ولاخيالا فبينما هو فى بعض الأيام قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص فقال : أبشر

يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة ، ثم أخرج له قطعة نمط (١) من حرير مرصع بالجواهر ووضعها في يده ﷺ وقال : اقرأ . قال : والله ما أنا بقارىء ولا أرى في هذه الرسالة كتابة قال : فضمني إليه وغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أطلقني وقال : اقرأ فقلت : لست بقارىء فغطني حتى بلغ مني الجهد فعل بي ذلك ثلاثاً وهو يأمرني بالقراءة ثم قال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ثم قال : انزل عن الجبل فنزلت معه إلى قرار الأرض فأجلسني على درنوك (٢) وعليه ثوبان اخضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل منها : ثمضمض واستنشق وغسل كل عضو ثلاثاً وأمر النبي ﷺ أن يفعل كفعله . فلما تم وضوؤه أخذ جبريل كفاً من ماء فرش به وجه الرسول ثم قام وصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال : الصلاة هكذا ، ولما فرغ من الوضوء والصلاة والتعليم غاب جبريل وجاء الرسول إلى مكة وقص على خديجة القصة وعليها الوضوء والصلاة (٣) فناسب بعد تمهيد هذه الفاتحة أن نبتدىء أبواب العبادات النبوية بذكر كيفية الوضوء والصلاة ونلحق بها الصيام والأدعية وغيرها من العبادات إن شاء الله الكريم

﴿ باب طهارة مضرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان في غالب الأوقات يتوضأ لكل فريضة من الصلاة ، وفي بعض الأوقات يصلي بوضوء واحد عدة من الصلوات ، ومقدار الماء الذي كان يصرفه في الوضوء دون الرطلين وكان لا يزيد على أربعة أرطال ، وربما

(١) هو نوع من البسط (٢) هو بساط ذو خل يشبه الفروة

(٣) أحاديث الصحيحين تبدل على خلاف ما ذكره المصنف رحمه الله ففعل ما ذكره بعد وقمة الغار أن صح ما ذكره والله أعلم .

توضاً بنحو ثلاثة أرطال ، وكان يبالغ في الأمر بتقليل الماء ويبالغ في النهي عن كثرة استعماله ، وقال : « إن للوضوء شيطاناً اسمه ولهان فاحترزوا من وسوسته » و مر صلى الله عليه وسلم بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال : لا تسرف في الماء قال سعد : وهل في الماء إسراف ؟ قال : نعم وإن كنت على نهر جار .
وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه توضأ وغسل أعضاء الوضوء مرة مرة ولم يزد وتوضأ وغسلها مرتين مرتين وتوضأ وغسلها ثلاثاً ثلاثاً وتوضأ فغسل بعضها مرتين وبعضها ثلاثاً وتمضمض واستنشق بغرفة وبغرفتين وبثلاث ؛ استعمل نصف الغرفة في المضمضة ونصفها في الاستنشاق ؛ فعل ذلك متصلاً في الصور الثلاث (١) ولم يرد في شيء من الأحاديث الفصل وحديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه شاهد الفصل في إسناده ضعف ، وكان يستنشق باليمنى ويستنثر باليسرى ويمسح جميع رأسه مرة لا يكرر . وروى التكرار في حديث لكنه ضعيف ، وحيثما اقتصر على مسح بعض الرأس أتم على العامة ولم يترك المضمضة والاستنشاق أبداً ولم يرو أحد عنه ذلك أبداً . وكان يتوضأ مرتباً متوالياً ولم يخل بالترتيب والتوالي أبداً . وكان يمسح جميع رأسه أحياناً وأحياناً يمسح على العامة وأحياناً يمسح على الناصية والعامة ولم يقتصر على مسح بعض الرأس أبداً ، وكان يمسح الأذن ظاهراً وباطناً ، ولم يثبت في مسح الرقبة حديث ، وحيث لم يكن في رجله خف غسل وإلا مسح ، والأحاديث الواردة في أذكار الوضوء لم يصح منها شيء والذي صح أنه كان يقول في أول الوضوء : بسم الله وفي آخره : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب اليك ، قال أبو موسى الأشعري : جئت بماء الوضوء لرسول الله ﷺ فتوضأ وسمعته يقول : اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي قال : قلت : يا رسول الله سمعتك تدعوبكذا وكذا قال : وهل تركت من شيء ؟ . ولم يكن ينشف أعضائه بعد الوضوء بمسحيد ولا منشفة وأن أحضروا له شيئاً من ذلك أبعد ، والحديث المروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت له نشافة ينشف بها بعد الوضوء ، وحديث معاذ في معناه كلاهما ضعيف ، وفي حالة الوضوء لم يصب الماء عليه أحد إلا في وقت ضرورة ، والحديث الوارد في تخليل اللحية قبله بعض أهل الحديث ورده البعض ، وأما تخليل الأصابع فكان يفعله أحيانا وورد تحريك الخاتم في حديث ضعيف .

﴿فصل﴾ : ثبت في الأخبار الصحيحة أن النبي ﷺ مسح على الخفين في السفر والحضر . ومدة الحضر يوم وليلة فيما أمر وثلاثة أيام ولياليها في السفر ، وكان يمسح على ظاهر الخف وورد في مسح أسفله حديث ضعيف ولم يثبت في الصحيح ، وكان يمسح على الجورب . وحديث الجرموق رواه الترمذي وصححه وضعفه جماعة من الحفاظ ، وكان لا يقصد المسح ولا الغسل لكن ان كان في حالة قصد الوضوء لابسا مسح وإلا غسل ولم يكن يلبس ليمسح ولا ينزع ليغسل ، ولما كان للعلماء أقوال في أفضلية المسح أو الغسل بينا ليعلم أن أحسن الأقوال هذا الذي وافق العادة النبوية .

﴿فصل﴾ : كلما تيمم ﷺ ضرب ضربة بكفيه المباركتين على الأرض الطاهرة ومسح بهما وجهه وظاهر كفيه ، ولم يرد في الحديث الصحيح أنه ضرب ضربتين على التراب ولم يرد أنه مسح إلى المرفقين ، وما ورد من الأحاديث على خلاف ما قلناه فجميعه ضعيف ، وكان يتيمم من الأرض التي

يقصد الصلاة عليها ولا يفرق بين التراب والرمل وغير ذلك ، وقال : حيثما أدركت رجلا من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره ، وهذا الحديث صريح في أن جنس الأرض طهور ولم نجد في حديث صحيح أنه تيمم لكل فريضة تيمما جديداً بل أمر به مطلقاً وأقامه مقام الوضوء والله تعالى أعلم .

﴿ باب في صبرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

كان إذا قام إلى الصلاة قال : الله أكبر ولم يرو عنه التكلم بلفظ النية ، وكان يرفع يديه مع التكبير حتى يحاذي بهما أذنيه وأحياناً يحاذي بهما كتفيه ثم يضع يمينه على يساره فوق صدره كذا في صحيح ابن خزيمة ثم يشرع في دعاء الاستفتاح وذلك مروي من عدة وجوه صحيحة (الأول) رواية أمير المؤمنين على رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيها مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم إنك أنت الله الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً أنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبنيك وسعديك والخير كله بيدك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك (الثاني) حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة فقلت بأبي وأمي أسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس

اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد (الثالث) حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) ورد في حديث آخر أنه كان يقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيراً الحمد لله كثيراً سبحان الله بكرة وأصيلاً اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم ومن همزه ونفخه ونفثه . (الخامس) ورد في رواية أخرى الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشراً ثم يحمد عشراً ويهلل عشراً ويستغفر عشراً ثم يقول : اللهم اغفر لي واهدني وارزقني عشراً ثم يقول : اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشراً (السادس) ورد في رواية صحيحة أنه كان يقول بعد التكبير : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس (السابع) اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك فأنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (الثامن) من الروايات أنه كان يقول بعد التكبير : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنيون حق والساعة حق ، وبعد هذه الأذكار يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يحجر بالبسملة (١) في بعض الأوقات ويخفيها في بعض الأوقات وكان يقرأ

(١) سيأتي في خاتمة الكتاب أن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم لم يثبت

مرتباً مرتلاً ويقف عند آخر كل آية ويمد آخر الكلمة ويقول : آمين بعد فراغ الفاتحة يجهر بها في الصلاة الجهرية ويخفيها في السرية ويوافقها في التأمين المقتدون بأسرهم وكان يراعى سكتتين في الصلاة سكتة بين التكبيرة وقراءة الفاتحة وسكتة ثانية بين فراغه من الفاتحة وقراءة السورة ؛ وجاء في بعض الروايات أنه كان يسكت بين القراءة والركوع فتكون هذه سكتة ثالثة ، لكنها كانت في غاية اللطف والقلّة وكان يقرأ في صلاة الصبح بعد الفاتحة سورة مطولة مقدار ستين آية أو مائة آية وأحياناً يقرأ سورة ق وأحياناً يقرأ سورة الروم وأحياناً يخفف إلى حد أنه كان يقتصر على قراءة إذا زلزلت وأحياناً بالمعوذتين (١) وكان في السفر يقرأ أحياناً إذا الشمس كورت وكان يقرأ في صلاة فجر يوم الجمعة سورة الم تنزيل السجدة في الركعة الأولى وهل أتى في الركعة الثانية وتخصيص يوم الجمعة بقراءة هاتين السورتين لأنهما اشتملتا على ذكر المبدأ والمعاد ودخول الجنة وهذه المعاني تكون في يوم الجمعة لأن القيامة تكون فيه فلا جرم أن يذكر الأمة هذا المعنى بقراءة هاتين السورتين كما أنه كان يقرأ في المحافل الكبار والمجامع المعظمة سورة ق ، واقتربت وأمثال ذلك . وأما صلاة الظهر فكان يطولها بحيث أنه كان في بعض الأحيان بعد إقامة صلاة الظهر يسير الماشي إلى قباء ويرجع إلى الصلاة ولم يكن ركع في الركعة الأولى وكان يقرأ أحياناً في الركعة الأولى مقدار الم تنزيل السجدة وحيناً سبح اسم ربك الأعلى أو والسماء ذات البروج أو والليل أو الانشقاق أو والطارق وما أشبه ذلك وأما صلاة العصر فكانت مقدار نصف صلاة الظهر في الطول وأحياناً أخف من ذلك . وأما صلاة المغرب فكان يطولها أحياناً بحيث أنه كان يقرأ سورة الأعراف في الركعتين يقرأ في كل ركعة نصفاً ، وحيناً

(١) ولم يكن يختصر على بعض آية .

يقرأ الصافات ، وسورة حم الدخان ، وحيناً سبح اسم ربك الأعلى وحيناً
والتين ، وحيناً المعوذتين ، وحيناً المرسلات ، وحيناً قصار المفصل . وقد
صحت الروايات بهذا المجموع والسنة أن لا يواظب على نمط واحد من تطويل
وتقصير بل يطول حيناً ويقصر حيناً بحسب الحال والوقت . وأما صلاة
العشاء فقد عين لمعاذ سورة والشمس وسبح اسم ربك الأعلى أو والليل ،
ومنه من قراءة البقرة ونحوها وزجره وقال له صلى الله عليه وسلم : أفتان أنت يا معاذ ،
وفي بعض الأحاديث عين له والسموات — يعنى إذا السماء انفطرت ،
والانشقاق والبروج والطارق — وأما صلاة الجمعة فانه كان يقرأ فى الأولى
سورة الجمعة ، وفى الثانية سورة المنافقين ، وحين التخفيف يقرأ سبح اسم
ربك الأعلى ، والغاشية ، وأما قراءة آخر سورة الجمعة فى الركعة الأولى
وآخر سورة المنافقين فى الثانية فمخالف للسنة . وأما صلاة العيد فكان يقرأ
فيها سورة ق وسورة اقتربت ، وقد يقرأ سبح اسم ربك الأعلى والغاشية ،
وعلى هذا واظب إلى آخر عمره . لاجرم أن الخلفاء الراشدين ساروا على
طريقه فكان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ فى صلاة الصبح سورة البقرة ،
وأمر المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه كان يصلى الصبح حيناً بيوسف والنحل
وحيناً بهود وبني إسرائيل ، ولو نسخت إطالة الصلاة لما فعلها الخلفاء
الراشدون . وفى حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة فى
تمام ، والمراد من هذا الحديث إن طول صلاته بالنسبة إلى صلاة غيره كان
قليلاً إلى الغاية كمعاذ مثلاً فانه كان يقرأ فى صلاة العشاء سورة البقرة ،
والتخفيف أمر نسبي ، وفى سنن النسائي ثابت أن ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويأمرنا بالصافات . فقراءة
والصافات فى الصلاة من باب التخفيف الذى أمر به الصحابة ولم يعين شيئاً

من السور لشيء من الصلوات سوى الجمعة والعيدين . قال عبد الله بن عمر :
ما من سورة من طوال المفصل وقصاره إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ
يقرأها في صلاة الفريضة ، وكان يقرأ السورة بتمامها غالباً ، وفي النادر كان
يقرأ بعض السورة لبيان الجواز وحيثما اقتصر على بعض السورة كان أولها
فأما قراءة آخر السورة وأوسطها فانه لم يرد وكان يطول الركعة الأولى على
الثانية دائماً ، وكان يطيل صلاة الصبح على ما سواها من الصلوات لأن النزول
إلى طلوع الفجر وكلاهما مروي ، وبعض المشايخ يقول : لما كان في عدد
ركعات الصبح نقص كمل بالتطويل أو لأنها وقعت بعد الراحة بنوم الليل
أو لأنها وقت ليس فيه اشتغال بأمر المعاش والدنيا ، وفيه يتواطأ القلب
واللسان والسمع ويسهل فيه تدبر القرآن لاجرم تعين صرف تمام العناية
إلى التطويل والتكميل .

﴿ فصل ﴾ كان النبي ﷺ إذا فرغ من القراءة سكت قليلاً ثم كبر
ورفع يديه وركع وثبت كفيه على ركبتيه وجافى مرفقيه عن جنبيه وسوى
ظهره ورأسه من غير رفع ولا تنكيس وقال : سبحان ربّي العظيم ثلاثاً وفي
بعض الأحيان كان يضم إلى ذلك سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
وقد يقتصر على هذا ، وطول ركوعه في الغالب كان قدر قول القائل سبحان
ربّي العظيم عشر مرات والسجود قريب من ذلك ، وأما حديث البراء
في الصحيحين رمقت الصلاة خلف رسول الله ﷺ فكان قيامه وركوعه
واعتداله وسجدة وجالسته ما بين السجدةين قريباً من السواء فانه محمول على
أنه كان يطول الركوع والسجود حيث كان القيام طويلاً ويخفف الركوع
والسجود حيث كان خفيفاً ، وهذا التأويل متعين لأنه كان أحياناً يقرأ سورة

الأعراف فلو كان الركوع والسجود والجلسة مقدار ذلك تمت الصلاة في نصف الليل لكن في الصحيح أنه كان ركوعه وسجوده في بعض الأحيان قريبا من القيام كما في صلاة الخسوف والكسوف وفي التهجد أحيانا إلا أنه كان غالب حاله الاعتدال كما بيناه ، وكثيرا ما كان يقول في ركوعه وسجوده : سبح قدوس رب الملائكة والروح ، وفي بعض الأحيان كان يقول : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت وعليك توكلت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى ونحى وعصى وعظمى ، وهذا كان في صلاة التهجد ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه وقال : سمع الله لمن حمده ، وقد ثبت رفع اليدين في هذه المواضع الثلاثة ، ولكثرة روايته شابه المتواتر ، فقد صح في هذا الباب أربعائة خبر وأثر ، ورواه العشرة المبشرة بالجنة ، ولم يزل على هذه الكيفية حتى رحل عن هذا العالم ولم يثبت شيء غيرها وكان إذا رفع رأسه من الركوع استوى قائما وكذا بين السجدةتين . وقال : لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ، وكان في بعض الأحيان إذا رفع رأسه من الركوع قال : ربنا ولك الحمد أو قال : اللهم ربنا لك الحمد وكلاهما صحيح ، لكن الجمع بين اللهم والواو لم يثبت ، وكان يطول هذا الركن مقدار الركوع غالبا ، وأحيانا كان يقول : سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء وأهل المجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، وأحيانا يقول : اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد ونقنى من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وأحيانا يقول : بى الحمد لربى الحمد يكررها مقدار الركوع ، وفي بعض الأحيان كان يطول

الاعتدال حتى تظن الجماعة أنه نسي وكذا في السجود فقد كان يطول في بعض الأحيان حتى يظن المأموم أنه قد نسي هذا الذي ثبت من عادته في الركوع والسجود ﷺ ، وحديث البراء بن عازب قال : كان ركوعه وسجوده بين السجدين وإذا رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء صريح في التسوية بين قيام القراءة وقعود التشهد في الطول وبين سائر الأركان في الطول والقصر وليس المراد القيام بعد الركوع ، وتخفيف هذين الركعتين - أعني الاعتدال والجلسة بين السجدين - وتقصيرهما من محدثات بني أمية ولم تكن من العادات النبوية بوجه من الوجوه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا هوى ساجدا لم يرفع يديه ، والذي ورد في بعض الأحاديث أنه كان يرفع يديه في كل خفض ورفع سهو ، والرواية الصحيحة أنه كان يكبر في كل خفض ورفع وكان يضع ركبتيه على الأرض قبل يديه ثم يضع يديه ثم جبهته وأنفه على ترتيب البدن ، وأما حديث أبي هريرة الذي رواه عن النبي ﷺ أنه قال : إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه وهم من بعض الرواة لأن أول الحديث ينقض آخره فإن البعير يضع يديه قبل ركبتيه حال البروك والذي قال ركبة البعير في يديه وهم وغلط وخالف قول أئمة اللغة ، والصواب أنه نهى عن التشبيه بالحيوانات وقال : لا تبركوا بروك البعير ولا تلتفتوا التفتات الشعلب . ولا تفتروشوا افتراش السبع . ولا تقعوا إقعاء الكلب . ولا تنقروا نقر الغراب ولا ترفعوا أيديكم في حال السلام كأذ ناب الخيل الشمس . واجتنبوا جميع ذلك ؛ وجاء في رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال : إذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك بروك الفحل ، وفي صحيح ابن خزيمة

كان رسول الله ﷺ إذا سجد بدأ بركبتيه ، وفي رواية سعد كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا بالركبتين قبل اليدين ، وأكثر العلماء على هذا إلا الإمام مالك والأوزاعي وطائفة من أهل الحديث ، ولم يسجد النبي ﷺ على كور عمامته أبدا بل كان يضع جبهته على التراب أو على الطين والماء أو على سجادة من سعف النخل أو على جلد مدبوغ ، وكان إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض وجافى يديه عن جنبيه ووضع كفيه حذو منكبيه وقال : إذا سجدت فضع كفك وارفع مرفقك ، وكان يفرج بين أصابعه في الركوع ويجمع بينها في السجود وكان يقول في سجوده : سبحان ربى الأعلى ويأمر به وبعد ذلك يقول : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي سبوح قدوس رب الملائكة والروح لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره علانيته وسره اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطيئتي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت . أنت إلهي لا إله إلا أنت ، وفي بعض الأحيان كان يقول : اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعل لي نورا وكان يؤكد الاجتهاد في الدعاء حالة السجود ويقول : جدير دعاء الساجد بالإجابة ، والدعاء على نوعين : دعاء ثناء وتمجيد ، ودعاء طلب وسؤال : والدعاء الذي كان يأتي به يشملهما . والاستجابة أيضا على نوعين :

أحدهما استجابة دعاء الطالب ببذل مطلوبه ومسئوله وقضاء حاجته . الثاني أن يقابل على دعائه بثواب وعلى كلا الوجهين فسر قوله سبحانه (أجيب دعوة الداعي إذا دعان) والصحيح أنه شامل للنوعين والله أعلم .

(فصل) كان ﷺ يطول الركعات من صلاة الليل بخلاف ركعات النهار ، وربما قرأ في ركعة واحدة سورة البقرة وآل عمران والنساء ، أما عدد ركعات صلاة الليل فلم يزد على إحدى عشرة ركعة ، ومن ثم اختلف العلماء في أفضلية القيام والسجود قالت طائفة من العلماء : القيام أفضل لأن النبي ﷺ كان يطول صلاة الليل تطويلا عظيما ولو كان السجود أفضل لطوله ، وأيضا الذكر المشروع في القيام أفضل الأذكار فيكون ركعته أفضل الأركان وأيضا ورد في الحديث الصحيح أفضل الصلاة طول القنوت ، المراد بالقنوت القيام ، وقالت طائفة من العلماء السجود أفضل لما ورد في الحديث الصحيح أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وقال في موضع آخر : ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة وقال ربيعة الأسلمي : يا رسول الله إني أتمنى مرافقتك في الجنة فقال ﷺ : أعني على نفسك بكثرة السجود ، وأيضا أول سورة أنزلت من القرآن المجيد اقرأ وختمها بالسجود ، وأيضا في السجود دلالة على زيادة الخضوع والعبودية دون غيره من الأركان والسجود سر العبودية لأن العبودية هي الخضوع والدلة وهي في السجود أزيد وأظهر ، وقالت طائفة من العلماء : طول القيام في الليل أفضل وكثرة الركوع والسجود في النهار أفضل لاختصاص عبادات الليل بالقيام ، قال الله تعالى . (قم الليل) وقال ﷺ : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وبعض العلماء

يقول : بتساوى هذين الركنين في الفضل ففضيلة القيام بقراءة القرآن .
وفضيلة السجود بهيئة التذلل والخشوع ، فذكر القيام أفضل من ذكر السجود
وهيئة السجود أفضل من هيئة القيام .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا فرغ من السجدة الأولى رفع رأسه وجلس
بين السجدين مقدار سجوده ثم قال : رب اغفر لي رب اغفر لي اللهم اغفر لي
وارحمي واجبرني واهدني وارزقي ، وأحيانا كان يطول هذه الجلسة حتى
يظن أنه نسي ولم يكن يقوم بعد السجدة الثانية ما لم يجلس على الأرض ،
والفقهاء يسمون هذه جلسة الاستراحة وحملها بعضهم على السنة وبعضهم
على الحاجة فلا تسن في حق من لم يحتاج إليها ، وكان إذا قام شرع في القراءة
من غير توقف والسكته التي فعلها في الركعة الأولى لم يفعلها في سائر الركعات
وكان يصلي الثانية والثالثة والرابعة كالأولى إلا في أربعة أشياء السكته ودعاء
الاستفتاح وتكبيرة الإحرام وتطويل هذه الأربعة مختص بالركعة الأولى ،
وكان إذا جلس للتشهد افترش رجله اليسرى فجلس عليها ونصب اليمنى ووضع
يده على فخذه الأيمن وعقد أصابعه عقد ثلاث وخمسين ورفع إصبعه المسبحة
وحركها ، وكان يخفف التشهد الأول وبعد قيامه من التشهد كان يرفع يديه
ويكبر ثم يشرع في القراءة ويقتصر على الفاتحة في الثالثة والرابعة غالبا وقد
يقرأ سورة مختصرة على سبيل الندرة وإذا جلس للتشهد الأخير جعل رجله
اليسرى تحت رجله اليمنى وقوى المقعدة على الأرض ، وهذه الكيفية لم تكن
في الجلسة الأولى أصلا ، وللعلماء في هذه الكيفية أقوال قال بعضهم :
يتورك في التشهدين وهو مذهب الامام مالك ، وقال بعضهم : يفترش
فيهما ينصب اليمنى ويفترش اليسرى ويجلس عليها وهذا مذهب الإمام
أبي حنيفة ، وبعضهم يقول : يتورك في كل تشهد يسلم عقبه ويفترش فيما

عداه وهذا مذهب الإمام الشافعي ، وبعضهم يقول : كل صلاة فيها تشهيدان يتورك في الآخر ليفرق بين الجلوسين وهذا مذهب الإمام أحمد ، والأئمة الأربعة رضی الله تعالى عنهم اختلفوا في هذه المسئلة على أربعة أقوال ووافق كل واحد منهم جماعة من الصحابة والتابعين ، وأكمل سياق ورد في بيان صفة صلاة رسول الله ﷺ حديث أبي حميد الساعدي في صحيح ابن حبان . وصحيح مسلم قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ويقيم كل عضو في موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه معتدلاً لا يصبو رأسه ولا يقنع به ثم يقول : سمع الله لمن حمده ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يقر كل عظم إلى موضعه ثم يهوى إلى الأرض ساجداً ويحاذي يديه عن جنيبه ثم يرفع رأسه ويثنى رجليه فيقعدهما ويفتح أصابع رجليه إذا سجد ثم يسجد ثم يكبر ويجلس على رجله اليسرى حتى يرجع كل عظم إلى موضعه ثم يقوم فيصنع في الأخرى مثل ذلك ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع عند افتتاح الصلاة ثم يصلي بقية صلاته هكذا حتى إذا كانت السجدة التي فيها التسليم أخرج رجليه وجلس أعلى شقه الأيسر متوركا ، وفي صلاة الصبح كان يقنت حيناً ويترك حيناً وبسم الله الرحمن الرحيم كان يجهر بها حيناً [١] ويخفيها حيناً وكان يسر في الظهر والعصر وقد يرفع صوته قليلاً في بعض الآيات بحيث يسمعه المؤمنون ولم يكن يلتفت في الصلاة وقال هو اختلاس يختلسه الشيطان وقال : اجتنبوا الالتفات في الصلاة فإنه هلاك وإذا لم يجد بداً من الالتفات فليكن في صلاة النافلة ، وأما قول ابن عباس : كان رسول الله ﷺ يلحظ في الصلاة يمينا

وشمالا ولا يلقى عنقه خلف ظهره ، وإن كان في جامع الترمذي فهو غريب ولم يثبت ، سأل شخص الإمام أحمد فقال : بعض أهل الحديث يروون بإسناد أن النبي ﷺ كان يلحظ في الصلاة ولا يلتفت فأنكر عليه الإمام أحمد ذلك إنكاراً عظيماً وتغير لونه وارتعش وقال : هذا حديث ليس له إسناد لكن قد ثبت أنه كان في بعض أسفاره وقد أرسل في جهة العدو شخصاً ليطالعه بأخبارهم واشتغل بالصلاة وكان يلتفت إلى جهته في أثناء الصلاة ، وهذا على سبيل النادرة وفي صلاة النافذة ولمهم ديني ومصلحة أهل الإسلام منوطة به ، وهو من باب تداخل العبادات لأنه اشتغل في أثناء الصلاة بالجهد ، وصلاة الخوف تشبه هذا المعنى وكان عمر رضي الله عنه يقول : إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة وكان ﷺ يقرأ التحيات بعد كل ركعتين وكان يدعو في سبعة مواطن : الأول عقيب تكبيرة الإحرام كما ذكرناه ، والثاني قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة وذا في الوتر ، الثالث بعد الاعتدال من الركوع كان يقول : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ (الرابع) في حال الركوع كان يقول : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي (الخامس) في السجود وفي الغالب كان يدعو في السجود كما بينا (السادس) بين السجدين كما قلنا (السابع) بعد التشهد قبل السلام أما الدعاء الذي يفعله الأئمة بعد السلام فإنه لم يكن من عادة النبي ﷺ ، ولم يثبت في هذا الباب شيء من الأحاديث وهو بدعة مستحسنة [١] وجميع أدعية الصلاة كانت في نفس الصلاة وبذلك أمر .

(١) أقول لا امتحان في الدين لأحد من الحق .

وبعض أئمة العلم يقول : الذكر والتهليل والتسبيح والتمجيد عند الفراغ من الصلاة مشروع بلا خلاف . وتستحب الصلاة على النبي ﷺ فتناسب أن نعقب ذلك بالدعاء وطلب الحاجات من حضرة ذى العزة .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقول بعد التشهد : السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت على جانبه الأيمن حتى يرى بياض خده وكذا في الجانب الأيسر ، وعلى هذا دام عمله رواه خمسة عشر صحابيا بأسانيد صحاح . وأما الذى فى حديث عدى بن عمير كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فإسناده ليس بالقائم ولم يثبت عند أهل الحديث ، وأما حديث عائشة رضى الله عنها كان يسلم تسليمة واحدة يرفع به صوته حتى يوقظنا هذا الحديث أيضا معلل وإن لم يكن معلا فليس فيه صريح دلالة على المقصود لأنه لم ينف السلام الثانى بل سكنت عنه .

﴿ فصل ﴾ من جملة الأدعية التى كان يقرأها فى الصلاة : اللهم اغفرلى ذنبي ووسع لى فى دارى وبارك لى فيما رزقتنى ، ومنها أيضا اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأستغفرك لما تعلم وكثيرا ما قال فى السجود : رب أعط نفسى تقواها زكاه أنت خير من زكاه أنت ولها ومولاها ، وكان يقول فى التشهد : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة الحيا والمات اللهم إنى أعوذ بك من المغرم والمأثم ، وجميع الأدعية التى كان يقولها فى الصلاة رويت بلفظ الأفراد مثل رب اغفرلى وارحمنى واهدنى . ومثل اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد اللهم باعد بينى وبين خطاياى وما أشبه ذلك (فإن قيل) : ورد فى حديث صحيح لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه

دعوة فإن فعل فقد خانهم (فالجواب) نقول : قال إمام أهل الحديث أبو بكر بن خزيمة في صحيحه : هذا الحديث موضوع ومردود ، وقال بعض العلماء : إن ثبت هذا الحديث فيكون المراد به دعاء ورد بلفظ الجمع مثل اللهم اهدنا وغير ذلك .

(فصل) اعلم أن السرور والانشراح . ونور العين . وطيب القلب الذي كان يجده في الصلاة ما كان يجده في غيرها من العبادات ولا من الأوقات ، وقال صلى الله عليه وسلم : جعلت قرعة عيني في الصلاة ، وقال صلى الله عليه وسلم : يا بلال أرحنا بالصلاة ومع هذا لم تفته مراعاة أحوال المؤمنين ولسماع بكاء الطفل كان يخفف الصلاة وأحيانا كان يتعلق به وهو في الصلاة طفل فيحمله على عاتقه . وأحيانا كان يأتي الحسين وهو في السجود فيركب على ظهره المبارك فيطيل السجود لأجله . وأحيانا كانت عائشة تأتي وهو في الصلاة وقد أغلق الباب فيخطو ليفتح الباب لها . وأحيانا كان يسلم عليه وهو في الصلاة فيجب بالإشارة باسطا يده وقد أوما برأسه المبارك وكانت عائشة نائمة تجاه صلاته فكان عند السجود يضع يده على رجلها لتخلي مكان السجود بضم رجلها ، وكان قد يصل إلى آية السجدة وهو على المنبر فيهبط إلى الأرض يسجد ثم يصعد ، واختصم وليدتان من بنى عبد المطلب فتصارعتا فلما دنتا منه أمسكهما بيده وفرق بينهما وكان يبكي في الصلاة كثيرا ويتنحنج أحيانا لحاجة ويصلي منتعلا وغير منتعل ، وقال : صلوا في نعالكم خلافا لليهود ، وكان يصلي في ثوب واحد حيناً وحيناً في ثوبين ويقنت في صلاة الصبح أحيانا ويترك أحيانا قال أهل الحديث : قراءة القنوت في صلاة الصبح سنة وتركه سنة ومع هذا لا ينكرون على من يواظب على ذلك ولا يعدونه مبتدعا ولا تاركاً للسنة بل يقولون : من قنت فقد

أحسن ومن ترك فقد أحسن والدلائل على الطرفين كثيرة ، ولما كان القصد بيان الطريقة النبوية اقتصرننا على ذلك .

(فصل في نسيان الرسول ﷺ في الصلاة)

من جملة من الحق تعالى ونعمه على الأمة المحمدية أن النبي ﷺ كان يسهو في الصلاة أحيانا لتقتدى الأمة به في التشريع وإذا كان يقول : إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال : إنما أنسى أو أنسى - يعني لأسن ما شرع في حين ذلك - ثبت في الصحيحين أنه كان في صلاة الظهر ، ولم يشرع في التشهد بل قام إلى الثالثة فسبحت الصحابة رضي الله تعالى عنهم فأشار إليهم بيده أن قوموا ولما فرغ من التشهد الثاني أتى بسجدة ثم سلم بعد ذلك ، فعلم من هذا أن من نسي شيئا من الصلاة غير ركن يسجد للسهو بسجدة وإذا شرع في ركن لا يرجع إلى ما كان نسيه ، ونوبة أخرى في صلاة العصر أو الظهر سلم في الركعة الثانية وتكلم ثم تذكر فأتى بسجدة ثم سلم بعد السلام وكبر بينهما وسلم بعد ذلك أيضا . وفي مسند الإمام أحمد أنه صلى في بعض الأيام وخرج من الصلاة وبقى منها ركعة فلما خرج من المسجد خرج طلحة بن عبيد الله في عقبه وقال : قد نسيت ركعة فرجع إلى المسجد وأمر بلالا بالإقامة وصلى ركعة وسلم ثم رجع ، ونوبة أخرى صلى الظهر خمسا فقالت الصحابة : أزيد في الصلاة ؟ فقال : وما ذاك ؟ فقالوا : صليت خمسا فسجد بسجدة السهو وسلم واقتصر على ذلك ، ونوبة أخرى صلى العصر ثلاثا ورجع إلى البيت فتعقبه الصحابة وأعلموه فرجع إلى المسجد وصلى ركعة وسلم وسجد بعد السلام للسهو بسجدة ثم سلم واقتصر على ذلك ، هذه خمسة مواضع روى أنه ﷺ سها فيها في جميع عمره ، ولم

يثبت غير هذا ، وسجد للسهو قبل السلام في بعض المواضع وبعده في بعضها فجعلها الإمام الشافعي في كل حال قبل السلام ، والإمام أبو حنيفة جعلها بعد السلام في كل حال . وقال الإمام مالك : يسجد للسهو النقصان قبل السلام والسهو الزيادة في الصلاة بعد السلام وإن اجتمع سهوان أحدهما زائد والآخر ناقص يسجد لهما قبل السلام ، وقال الإمام أحمد : يسجد قبل السلام في المحل الذي سجد فيه النبي ﷺ قيل السلام وما عداه يسجد للسهو بعد السلام ، وقال داود الظاهري : لا يسجد للسهو إلا في هذه المواطن الخمس التي سجد فيها رسول الله ﷺ ولو سها في غيرها لا يسجد للسهو . ولم يعرض له علي بن أبي طالب الشك في الصلاة ولكن قال : من شك فليكن على اليقين ولا يعتبر الشك ويسجد للسهو قبل السلام ، وقال الإمام أبو حنيفة : إن كان له ظن بنى على غالب ظنه ، وإن لم يكن له ظن بنى على اليقين ، وقال الإمام مالك . والإمام الشافعي . والإمام أحمد : يبنى على اليقين مطلقا .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يفتح عينه المباركة في الصلاة ، ولم يكن يغمضها كما يفعله بعض المتعبدين ، وفي حديث أنس الذي أتى به البخاري في صحيحة أن عائشة رضي الله عنها كان لها ستر سترت به جانب البيت فقال : بعدوا هذا الستر فإن تصاويره تعارضني ، وروى في حديث عائشة أنه ﷺ لبس ثوبا معلما وكان ينظر إلى أعلامه في الصلاة فلما فرغ قال : اذهبوا بثوبي هذا لأبي جهم واثبتوني بالكساء الانبجاني (١) الذي له فإن أعلام هذا شغلت خاطري في الصلاة ، وحديث مشاهدة الجنة في الصلاة وأنه ﷺ

[١] قال ابن الأثير المحفوظ بكسر الباء ويروى بفتحها منسوب إلى منبج المدينة المعروفة وهي مكسورة الباء ففتحت في النسب وابدلت الميم همزة إذانون انظر ما يفعله متدينو هذا العصر في بيوتهم .

مد يديه ليتناول قطفا من فاكهتها ، وحديث رد السلام باليد ، وحديث تعرض
الشيطان ، وأنه ﷺ قبضه وخنقه هذا المجموع رؤية العين وهو دليل على
عدم تغميض العين في الصلاة أما إذا عرض لشخص تفرقة وشتات فلا
يكره له تغميض العين بل هو إلى الاستحباب أقرب والله أعلم .

(فصل) كان ﷺ إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات : أستغفر
الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه اللهم أنت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قال هذا ثم نهض راجعا إلى الحجرة .
وروى فى بعض الأحاديث الصحيحة أنه كان يقول عقب الصلاة المفروضة :
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير
اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد لا إله
إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله
ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وفى سنن أبى داود
عن أمير المؤمنين على أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم من الصلاة قال :
اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم
به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت . وفى مسند الإمام أحمد
مروى عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول عقب كل صلاة : اللهم
ربنا ورب كل شىء أنا شهيد أنت الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب
كل شىء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شىء اجعلنى
مخلصاً لك وأهلى فى كل ساعة من الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام
اسمع واستجب الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله نور السموات والأرض
الله أكبر الله أكبر حسبى الله ونعم الوكيل الله أكبر الله أكبر . وقال : معقبات
لا يخب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثا وثلاثين تسبيحة . وثلاثا وثلاثين

تكبيرة وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وفي رواية أخرى أربعاً وثلاثين تكبيرة وذلك تمام المائة . وفي رواية سبحان الله خمساً وعشرين والحمد لله خمساً وعشرين والله أكبر خمساً وعشرين ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير خمساً وعشرين ، وفي رواية أخرى يسبح الله عشرًا ويحمده عشرًا ويكبره عشرًا ، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم يقول : سبحان الله إحدى عشرة مرة والحمد لله إحدى عشرة مرة والله أكبر إحدى عشرة مرة وهذا ثلاث وثلاثون ، قال بعض العلماء : هذه الرواية إنما هي تفسير من بعض رواة هذا الحديث عن أبي هريرة وهم كانوا يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين . وقال من قال : في دبر صلاة الصبح قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحاه عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى - يعني أن صدر منه ذنب يغفر له - . وثبت في مسند الإمام أحمد من رواية أم سلمة رضي الله عنها عليها السلام أنه علم ابنته فاطمة رضي الله عنها لما جاءت تسأله الخادم أن تسبح عند النوم ثلاثاً وثلاثين وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتسكبر ثلاثاً وثلاثين وإذا صلت الصبح أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات وبعد صلاة المغرب عشر مرات . وكان يقول عقب صلاة الصبح : اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي جعلت فيها معادي واجعل الحياة

زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر اللهم إني أعوذ
برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من نقمتك وأعوذ بك منك لا مانع
لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه : ما صليت خلف رسول الله
ﷺ إلا سمعته يقول : اللهم اغفر لي خطاياي وذنوبي كلها اللهم افعشني
وأحيني وارزقني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها إلا
أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقال : إذا صليت
الصبح فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك إن مت
من يومك كتب الله لك جوازا من النار وإذا صليت المغرب فقل قبل أن
تتكلم : اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك إن مت من ليلتك كتب الله
لك جوازا من النار هذا الحديث في صحيح ابن حبان وفي سنن النسائي من
رواية أبي أمامة من قرأ آية الكرسي - زاد الطبراني : وقل هو الله أحد - في
دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت ، وهذا الحديث
رواه جماعة غير النسائي مثل الطبراني ، والرويانى والدارقطنى . وابن حبان .
وبعض الحفاظ يقول : هو صحيح ، وذكره ابن الجوزى في الموضوعات
وطعن الحفاظ فيه من هذه الجهة ، واستدل بضعف محمد بن حمير راوى هذا
الحديث وقد عدله البخارى ووثقه محك الرجال يحيى بن معين ، وهذان
المعدلان كافيان في العدالة ، وفي معجم الطبراني من قرأ آية الكرسي في دبر
الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى . وهذا الحديث رواه
جماعة من الصحابة من جملتهم أمير المؤمنين على ، وجابر بن عبد الله ،
وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك . والمغيرة بن شعبة ، وأبو أمامة .
واختلاف طرق الحديث ومخارجه دليل على أن له أصلا صحيحاً غير

موضوع وروى عقبه بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين
دبر كل صلاة وهذا الحديث في غاية الصحة ، وقال لمعاذ : أوصيك يا معاذ
لاتدع في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك وفي معجم الطبراني من حديث جابر رضي الله عنه قال رسول الله
ﷺ : ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج
من الحور العين حيث شاء . من عفا عن قاتله ، وأدى دينه خفيا ، وقرأ في
دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : قل هو الله أحد ، فقال أبو بكر :
أولحداهن يا رسول الله فقال : أولحداهن ، وكان يقول بعد صلاة الصبح :
اللهم إني أصبحت لأستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح
الامر بيد غيري وأصبحت مرتها بعمل فلا فقير أفقر مني اللهم لاتشمت
بي عدوى ولا تسيء بي صديقي اللهم لاتجعل مصيبتى في ديني ولا تجعل الدنيا
أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط على من لايرحمي اللهم بك أصبحنا وبك
أمسينا وبك نحيا وبك نموت اللهم ما أصبح بي نعمة أو بأحد من خلقك
فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر أصبحنا وأصبح الملك لله
رب العالمين اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته
وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده اللهم عافني في بدني اللهم عافني
في سمعي اللهم عافني في بصري اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة
عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك
من غلبة الدين وقهر الرجال اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك
عن سواك يا حي يا قيوم .

﴿فصل في بيان السنن والرواتب التي كان يواظب عليها في كل يوم ﷺ﴾
أما في الحضر فكان لا يفوته عشر ركعات : ركعتان قبل فرض الصبح ،
وركعتان قبل فرض الظهر ، وركعتان بعد ذلك ، وركعتان بعد المغرب ،
وركعتان بعد العشاء ولم تفته ركعتا الظهر في وقت من الأوقات وإن فاتتا
قضاهما بعد صلاة العصر وكان يداوم على صلاة ركعتين بعد العصر ، وهذا
من خصائصه ﷺ ويكره في حق غيره وأحياناً كان يصلي قبل الظهر أربع
ركعات ، ولفظ البخاري كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة ،
وللعلماء في هذا تأويلان : (أحدهما) أنه كان إذا صلى سنة الظهر في بيته
صلاها أربعاً وإذا صلى في المسجد صلى ركعتين (والثاني) أن هذه صلاة
مستقلة كان يصليها عقب زوال الشمس ويقول : هذه ساعة تفتح فيها أبواب
السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح وكان عبد الله بن مسعود رضي
الله تعالى عنه يصلي بعد الزوال ثمان ركعات ويقول : إنهن تعدلن مثلن
من قيام الليل ، وقال بعض المشايخ السر في هذا أن هذين الوقتين زمان
تنزل الرحمة بعد الزوال وذلك بعد انتصاف النهار والتنزل الإلهي في الليل
يكون بعد انتصافه ، ولما كان هذان الوقتان محل قرب الرحمة ظهرت المناسبة
وروى في مسند الإمام أحمد ، وسنن النسائي ، والترمذي « من حافظ على
أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » وكان يفصل
بين هذين الأربع بتسليمتين ، قال أمير المؤمنين علي « كان النبي ﷺ يصلي
قبل الظهر أربع ركعات يفصل بينهما بالتسليم على الملائكة المقربين ومن
تبعهم من المسلمين والمؤمنين » رواه أحمد ، والترمذي بحسنا ، وروى أمير
المؤمنين علي أن النبي ﷺ كان يصلي في كل يوم وليلة من السنة ست عشرة
ركعة ركعتين قبل فرض الصبح وأربعاً قبل فرض الظهر وركعتين بعدها
وأربعاً قبل فرض الظهر وركعتين بعدها وأربعاً قبل فرض العصر وأربعاً

في وقت الضحى ، وهذا بعض حديث مطول ، وللعلماء في إسناده مقال ، وروى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً ، صححه ابن حبان ، وكان الصحابة يصلون قبل المغرب ركعتين ولم يمنعهما ﷺ من ذلك ، وثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال : صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب صلوا قبل المغرب ، وقال في الثالثة : لمن شاء - كراهية أن يتخذها الناس سنة فصلاها مندوبة مستحبة لكن لا تبلغ درجة الرواتب ، وكان يصلي الرواتب في بيته وعلى الخصوص ركعتي المغرب فانه لم يصلهما في المسجد أبداً فلذلك اختلف العلماء أنه لو صلاهما في المسجد هل يحزیه ذلك أم لا ، قال بعض العلماء : لا ، وقال الإمام المروزي : من صلى الركعتين بعد المغرب في المسجد يكون عاصياً ، وقال أبو ثور أيضاً : هو عاص ، وسبب العصيان أن النبي ﷺ قال : اجعلوها في بيوتكم وعند أكثر العلماء يحزیه ذلك لكن يكون تاركاً للأولى . وفي سنة المغرب سنتان (إحداهما) أن لا يتكلم بينها وبين الفريضة لما في الحديث من صلى ركعتين بعد المغرب قال مكحول : يعنى قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين (الثانية) أن يكون في البيت ، دخل رسول الله ﷺ مسجد بنى الأشهل وصلى المغرب فلما فرغ رأى أهل المسجد اشتغلوا بصلاة السنة فقال : هذه صلاة البيوت ، وفي لفظ ابن ماجه اركعوا هاتين في بيوتكم ، وحاصله أن عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يصلي جميع السنن في بيته إلا أن يكون لسبب ، وكان يقول : أيها الناس صلوا في بيوتكم فإن أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة ، وكان يحافظ على ركعتي الفجر بحيث أنه كان يواظب عليها في السفر أيضاً ولم يرو عنه أنه صلى في السفر شيئاً من السنن الرواتب إلا سنة الفجر . وصلاة الوتر ، وللعلماء في أفضلية سنة الفجر وصلاة الوتر قولان (قال) بعضهم : سنة الفجر أكد (وقال) بعضهم : بل الوتر ، وكما أن الوتر واجب عند

البعض كذا سنة الفجر تجب عند البعض ، وقال بعض المشايخ : سنة الفجر ابتداء العمل والوتر ختم العمل ، فلا جرم صرفت العناية لشأنهما ، ولهذا السبب شرع فيها قراءة سورة الإخلاص : وسورة قل يا أيها الكافرون لاشتغالهما على توحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والإرادة وتوحيد الاعتقاد والقصد كما بيناه في كتاب : حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص .

(فصل) عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان إذا صلى سنة الفجر وضع جنبه الأيمن على الأرض ونام قليلا ، وفي جامع الترمذى إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه . حديث صحيح غريب ، قال ابن حزم : هذا الاضطجاع فرض على المصلى حتى لو لم يأت به بين السنة والفرض ففرضه باطل [١] ، وقد صنف بعض العلماء في نصرة هذا المذهب مجلداً ، ووافق هذا القول جماعة من مشايخ الطريقة كصاحب الفتوحات وغيره ، وقال بعض العلماء : بکراهة ذلك وعده من البدع ، واختار جمهور العلماء الطريق المستقيم المتوسط وقالوا : باستحبابه ، وقال الإمام مالك : إن فعل ذلك للاستراحة فحسن ، والسرف في الاضطجاع على الجانب الأيمن أن يغلبه النوم لأن القلب معلق في الجانب الأيسر فلو اضطجع عليه لاستقر القلب وغلبت الراحة وثقل النوم وإذا اضطجع على شقه الأيمن طلب القلب مستقره فقلق وأبطأ النوم لذلك وإن جاء النوم فلا يكون ثقيلاً ، ولهذا اختار الأطباء النوم على الشق الأيسر طلباً لكمال الراحة واختار صاحب الشرع الشق الأيمن طلباً لخفة النوم وسرعة قيام الليل ، وحاصله

أن النوم على الجانب الأيمن ينفع القلب ، وعلى الجانب الأيسر ينفع
البدن والله أعلم .

﴿ فصل في قيام الليل ﴾

اختلف العلماء في قيام الليل هل كان فرضاً على سيدنا رسول الله ﷺ
أو سنة ؟ ولكليهما دليل واحد وهو آية التنزيل (ومن الليل فتهجد به نافلة
لك) قالت طائفة : هذا صريح في عدم الوجوب ، وقال آخرون : هذا
صريح في وجوب قيام الليل والتهجد كما جاء الأمر به في مكان آخر وهو
(يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) ولم يرد صريح نسخ ، وأما قوله : (نافلة)
فلو كان المراد به التطوع لما خصص بقوله (لك) بل المراد الزيادة ، ومطلق
الزيادة لا تدل على التطوع بل تدل على زيادة الدرجات ولهذا خص به لأن
قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر لتسيئات وأما في حقه فزيادة في
الدرجات وعلو المراتب لأنه المغفور له على الإطلاق ، قال مجاهد : لم يكن
لغيره نوافل بل مكفرات والنوافل خاصة به ﷺ ولم يدع ﷺ قيام الليل
في حالة من الحالات بل حافظ عليه في السفر والحضر وإن فاته في حين
المرض أو غلبة نوم صلى في أثناء النهار اثنتي عشرة ركعة بدل ذلك ، ولم يزد
في صلاة الليل على ثلاث عشرة ركعة ، وربما اقتصر على إحدى عشرة ركعة
منها خمس ركعات بتسليمة واحدة هن آخر الصلاة ، وقال بعض العلماء : لم
يزد في الليل على إحدى عشرة ركعة والرواية التي وردت بثلاث عشرة
صحيحة لكن مع ركعتي الفجر ، وحديث عائشة بين ذلك قالت : كان
رسول الله ﷺ يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر ، وقال الشعبي رحمه
الله : سألت ابن عباس . وابن عمر عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالا :
ثلاث عشرة منها ثمان ويوتر بثلاث وركعتين بعد الفجر ، وجاء في الصحيحين

رواية صريحة بأن صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة : عن ابن عباس أنه بات في بيت خالته ميمونة فقام النبي ﷺ من الليل فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلّى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلّى الصبح ، وفي لفظ آخر صلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين .

واتفق العلماء على إحدى عشرة واختلفوا في ركعتين فعند البعض هما غير ركعتي الفجر وعند البعض هماهما وإذا ضمنت هذا العدد إلى عدد ركعات الفرائض . والرواتب التي كان يواظب عليها ويحافظ تجدها أربعين ركعة الفرض من ذلك سبعة عشر . والرواتب عشر أو اثنا عشر وقيام الليل إحدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة فصار المجموع أربعين ركعة وما زاد على هذا العدد فليسبب ، كصلاة الفتح وهي ثمان ركعات صلاها يوم فتح مكة ، وكصلاة الضحى فإنه كان يصليها إذا قدم من السفر ، وكتحية المسجد ، وكالصلاة التي كان يصليها في بيت من يقصد زيارته وما أشبه ذلك فينبغي لطالب متابعتة عليه السلام أن لا يدع هذه الأربعين ركعة باختباره في وقت من الأوقات ، وأن يواظب عليها في جميع الحالات لأن المواظبة عليها سبب فتح أبواب السعادات . ونيل المرادات فخير بمن قرع باب أكرم الأكرمين في كل يوم أربعين مرة بأصبع الطلب والأدب باتباع أشرف العجم والعرب أن يفتح له في أسرع الأوقات وأقرب الحالات .

(فصل) كان ﷺ يستيقظ من النوم بعد مضي نصف الليل ، وأحياناً قبل ذلك ، وأحياناً عند صياح الديك وذلك يكون في الغالب بعد مضي نصف الليل ، وكان إذا استيقظ مسح يديه على عينيه المباركتين ثم استعمل السواك ثم توضأ ، وفي حالة استعمال السواك كان يقرأ آخر

آل عمران (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات
لأولي الألباب) إلى آخر السورة ، ثم افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين وأمر
أُمته بذلك فقال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين »
وورد في كيفية قيام الليل طرق ثمانية كلها صحيحة والمتعبد بخير في المواظبة
على أى هذه الأنواع شاء أو اختيار نوع منها في وقت دون وقت : الأول
حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ استيقظ فتسوك وتوضأ وهو
يقول : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات
لأولي الألباب) فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين
وأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل
ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات
ثم أوتر بثلاث فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول : اللهم اجعل
في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا
واجعل من خلقي نورا ومن أمتي نورا واجعل من فوقى نورا ومن تحتي
نورا اللهم اعطني نورا . هذه الرواية في صحيح مسلم وليس فيها الافتتاح
بركعتين خفيفتين ، وأجيب عن هذا بوجهين : الأول أنه كان في بعض
الأوقات يفتتح بركعتين خفيفتين ، وفي بعض الأوقات بركعتين طويلتين .
الثاني أن عائشة أعرِف بحال قيام الليل وقد تكون حفظت ما فات عن ابن
عباس . النوع الثاني ماروت عائشة أنه ﷺ كان يفتتح الصلاة بركعتين
خفيفتين وبعدهما يطول يصلي عشر ركعات بخمس تسليمات ويوتر بركة ثم
يسلم . النوع الثالث كان يصلي ثلاث عشرة ركة خارجا عن ركعتي الفجر .
النوع الرابع كان يصلي ثمان ركعات بأربع تسليمات ثم يصلي بعد ذلك خمس
ركعات يجلس في آخرهن ويسلم ولم يكن في أثنائهن جلوس إلا في الآخر .

النوع الخامس كان يصلي تسع ركعات منها ثمان متعاقبات ليس بينهما جلوس إلا بعد الثامنة فانه كان يتشهد ويدعو ثم ينهض إلى التاسعة من غير سلام ثم يتشهد بعدها ويسلم ثم يصلي ركعتين عقب الوتر . النوع السادس كان يصلي ست ركعات متصلات لا يجلس بينهما إلا في آخرهن ثم ينهض قبل السلام فيصلي ركعة ويسلم ثم يصلي بعد ذلك ركعتين جالسا عقب الوتر . النوع السابع كان يسلم في كل ركعتين ويصلي في آخرهن ثلاث ركعات بتسليمة واحدة ، وطعن الحفاظ في هذه الرواية لما في صحيح ابن حبان بإسناد صحيح « لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس أو سبع ولا تشبهوا بصلاة المغرب » . وفي حديث عائشة بإسناد صحيح أنه كان يسلم في الركعتين الأخيرتين ثم بعد ذلك يصلي ركعة ، وسئل الإمام أحمد ما تقول في الوتر ؟ قال : أكثر الحديث وأقواه ركعة فأنا أذهب إليها ثم سئل ثانيا ؟ فقال : يسلم في الركعتين وإن لم يسلم رجوت أن لا يضره إلا أن التسليم أثبت . النوع الثامن روى النسائي بسنده عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ يعني صلاة الليل وطول في الركوع مثل القيام وكان يقول : سبحان ربّي العظيم ثم بعد ذلك جلس وقال : رب اغفر لي وكررها ؛ ولما صلى أربع ركعات على هذا الوجه أذن بلال للصبح ودعا النبي ﷺ للصلاة . هذه الطرق الثمانية ثبتت في قيام الليل وكان يصلي الوتر في أول الليل . وحيناً في أوسطه . وحيناً في آخره . وهذا في الغالب وفي بعض الليالي كان يكرر آية في صلاة الليل من أوله إلى آخره وهي (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وصلاة النبي ﷺ كانت على ثلاثة أنواع (أحدهما) أنه كان يصليها قائما وذلك في الغالب (الثاني) أنه كان يصليها جالسا ويركع جالسا أيضاً (الثالث) أنه كان يصليها جالسا ويقرأ غالب القراءة جالسا ثم يقوم فيقرأ ما بقي قائما

ثم يركع ، هذه الأنواع الثلاثة صحيحة ، وأما الحديث الذي ورد بأن هيئة جلوسه في حالة الصلاة قاعداً التربع فقد طعن الحفاظ فيه وحمسوه على خطأ بعض الرواة .

(فصل) ثبت بروايات صحيحة أنه ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فرفع ثم يصلي ركعتين بين النداء والإقامة ، وفي مسند الإمام أحمد روى عن أم سلمة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس ، وأبو أمامة يروي كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما بإذا زلزلت الأرض . وقل يا أيها الكافرون . يوروى هذا المعنى أيضاً جماعة من الصحابة غير من ذكرنا ، وظاهره معارض بمحدث : اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً ، وقد أشكل على كثير من العلماء لاجرم أنكره الإمام مالك وقال الإمام أحمد : لا أصليها ولا أُمْنَعُ أحداً من صلاتها ، وقال جماهير العلماء : ضلها لبيان الجواز ليعلم أن بعد الوتر يجوز صلاة النوافل وأن الوتر لا يقطع صلاة النوافل وعلى هذا يكون قوله : اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً مبنياً على الاستحباب ، وقال بعض العلماء : هذه الصلاة ملحقة بالوتر وجارية مجرى سنة الوتر لاسيما على مذهب من يقول : بوجوب الوتر وكما أن صلاة المغرب وتر النهار مشفوعة من السنة بركعتين كذلك وتر الليل أيضاً مفشوع من السنة بركعتين .

(فصل) لم يرد في الصحيح أنه ﷺ قرأ القنوت في صلاة الوتر أصلاً قال الإمام أحمد : كل ما ثبت في القنوت فمجموعه في صلاة الصبح ولم يثبت في الوتر أصلاً بل لم يرو لكن جماعة من الصحابة كانوا يقرءون القنوت

في صلاة الوتر حديث مسند الإمام أحمد عن الحسن بن علي رضي الله عنهما
قال : علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر « اللهم اهديني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت
وقني شر ما قضيت إنك تفتضي ولا يقضي عليك إنه لا يذل من واليت ولا يعز
من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وصلى الله على النبي » قال الترمذي : هذا
أحسن حديث روى في باب القنوت ، وثبت عن أمير المؤمنين عمر ، وأبي
ابن كعب . وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا يقرءون القنوت في صلاة الوتر
ولم يرو عن النبي ﷺ قطعاً ، وكل ما روى فإنه مطعون ومفتري . وروى
الترمذي والنسائي كان رسول الله ﷺ يقول في آخر وتره : « اللهم إني
أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى
ثناء عليك أنت كما أثنت على نفسك » وهذه العبارة يحتمل أن يكون قالها
بعد التشهد وهذا أقرب بل هو متعين لما رواه النسائي كان يقول إذا غرغ
من صلاته وتبوأ مضجعه - وزاد في لفظ هذه الرواية : لا أحصى ثناء عليك
ولو حرصت ، وثبت في بعض الروايات الصحيحة أنه كان يقول هذا في
السجود ، فيحتمل أن يكون قاله في مجلسين . وفي مسند الحاكم من حديث
ابن عباس في صلاة رسول الله ﷺ ووتره فلما قضى صلاته سمعته
يقول : « اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن
يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي
نورا واجعل لي يوم لقائك نورا » وفي بعض الروايات : « وفي عصبي نورا
وفي لحمي نورا وفي شعري نورا وفي بشري نورا وفي لساني نورا واجعل
في نفسي نورا واعظم لي نورا واجزل لي نورا واعظمي نورا » وكان يقرأ
في صلاة الوتر في الركعة الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) وفي الركعة الثانية

(قل يا أيها الكافرون) وفي الركعة الثالثة (قل هو الله أحد) والمعوذتين ويقول عقب السلام : سبحان الملك القدوس ثلاثا يرفع صوته في الثالثة ويمد الحروف ثم يقول بعد ذلك : رب الملائكة والروح ؛ وكان يقرأ القرآن بالترتيل ويقف في آخر كل آية ألبتة وإن تعلقت بما بعدها ، وبعض القراء يقول : الوقف على مكان انتهاء الكلام وانفصاله أولى وأفضل ؛ وهذا القول غير مستحسن لأن متابعة الرسول ﷺ في كل حال أكمل وأفضل ، وللعلماء اختلاف في أفضلية القراءة المرتلة مع القلة على القراءة الكثيرة مع السرعة ، قال ابن عباس ، وابن مسعود : الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل ، وقال أمير المؤمنين علي ، وجماعة من الصحابة ، والتابعين ، والإمام الشافعي : كثرة القراءة أفضل لأن بكل حرف عشر حسنات ، وقال النبي ﷺ « لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » وقال بعض المتأخرين : ثواب القراءة بالترتيل والتدبر أكبر وأحسن وثواب كثرة القراءة أزيد وأكثر ، مثال ذلك شخص تصدق بجوهرة ثمينة . ومثال هذا شخص تصدق بآلء صغار أو بدراهم ودنانير كثيرة وما أشبه ذلك ، وكان يسر في قراءة الليل أحيانا ويجهر أحيانا ويطيل القيام أحيانا ويخفف أحيانا .

﴿ فصل في صلاة الضحى وعادة الرسول ﷺ في ذلك ﴾

قالت عائشة رضي الله عنها : رأيت رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعاً . وي زيد ما شاء الله ، وعن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ في سفر يصلي مسبحة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال : إني صليت صلاة رغبة ورهبة فسألت ربى ثلاثا ؟ فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يقتل أمتي

بالسنين ففعل ، وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا ففعل ، وسأله أن لا يلبسهم شيعاً فأبى على « صحيح رواه الحاكم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثم قال : اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي إنك أنت التواب الرحيم » حتى قالها مائة مرة ، وعن أم ذر قالت : رأيت عائشة تصلى الضحى وتقول : ما رأيت رسول الله ﷺ يصلى إلا أربع ركعات . وعن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ صلى صلاة الضحى ، وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ صلى الضحى ست ركعات وعن عائشة وأم سلمة قالتا : كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى اثنتى عشرة ركعة ، وعن علي رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلى الضحى ست ركعات ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وإن أوتر قبل أن أنام ، وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : يصبح على كل سلامى (١) من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليل صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وتجزىء من ذلك ركعتان تركعهما من الضحى ، وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس يرفعه من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى سبغ ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطايا وإن كانت مثل زبد البحر ، وعند الترمذى عن أبي هريرة يرفعه من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وعن نعيم بن همار قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : ابن آدم لا تعجز لى عن أربع

(١) هى بضم السين المهملة وتخفيف اللام - المفاصل والأعضاء وقد ثبت فى صحيح مسلم أنها ثلاثمائة وستون ، قال الفاضل عياض : وأصله عظام الكف والأصابع والأرجل ثم استعمل فى سائر عظام الجسد ومفاصله .

ركعات في أول النهار أكفك آخره» وعند الترمذى . وابن ماجه عن أنس يرفعه من صلى الضحى ثلث عشرة ركعة بنى الله له قصرأ في الجنة من ذهب . وعند مسلم عن زيد بن أرقم أنه رأى قوما يصلون الضحى في مسجد قباء فقال : أما لقد علموا أن الصلاة في غير الساعة أفضل أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الأوابين حين ترمض الفصال - أى يشتد حر النهار - فتهجر الفصال حر الرمضاء .

في الصحيحين أن النبي ﷺ صلى الضحى ركعتين في بيت عتيان بن مالك وعن أبي هريرة يرفعه لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب رواه الحاكم على شرط مسلم ، وعنده عن أبي هريرة يرفعه أن للجنة بابا يقال له : باب الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله . وعن أبي سعيد قال كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها ، وعن ابن عمر أنه قال لأبي ذر : أوصنى يا عم قال : سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال : من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانياً كتب من القانتين ومن صلى عشراً بنى الله له بيتاً في الجنة .

وقال مجاهد صلى رسول الله ﷺ يوماً الضحى ركعتين ثم يوماً أربعاً ثم يوماً ستاً ثم يوماً ثمانياً ثم ترك ، وعن أبي أمامة يرفعه من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر إلى صلاة أخرى كان له كأجر الحاج المحرم . ومن مشى إلى سبحة الضحى كان له كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين . وعن أبي أمامة يرفعه من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم ثبت فيه حتى يسبح فيه سبحة الضحى ثم يصلى الضحى كان له كأجر حاج

أو معتمر تام له حجه وعمرته ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بعث
النبي ﷺ جيشاً فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل : يا رسول الله
ما رأينا بعثاً قط أسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث فقال : ألا
أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة ؟ رجل توضعاً في بيته فأحسن وضوءه ثم
عمد إلى المسجد فصلى صلاة الغداة ثم أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة
وأعظم الغنيمة . مجموع هذه الأحاديث دليل على استحباب صلاة الضحى
وفضيلتها ، وهذا مذهب الجمهور من العلماء والمشايخ ، وقال جمع من العلماء
بكرامتها واستدلوا بالأثر الذى رواه البخارى عن ابن عمر أنه لم يكن يصليها
أبو بكر . ولا عمر قلت : فالنبي قال : لا أخاله ، وروى عن عبد الرحمن
ابن أبي بكر أن أبا بكر رأى جماعة يصلون صلاة الضحى فقال : إنكم لتصلون
صلاة ما صلاحها رسول الله ﷺ ولا عامة أصحابه ، وروى عن عائشة رضى
الله عنها أنها قالت . ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى وإنى لأسبحها
وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن
يعمل به فيفترض عليهم ، وقال قيس بن عبيد : ترددت إلى ابن مسعود سنة
فما رأيته صلى الضحى قط ، وعن مجاهد قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير
المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها وإذا الناس
يصلون فى المسجد صلاة الضحى فسألناه عن صلاتهم ، فقال : بدعة ونعمت
البدعة (١) ، وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : ما ابتدع المسلمون أفضل
من صلاة الضحى ، وقالت طائفة أخرى من العلماء : يستحب أن يصليها فى

(١) تطلق البدعة على الشيء البديع وعلى الشيء المبتدع المخالف للسنة ، وقد
جاءت النصوص بذكر البدع والمبتدع عموماً وخصوصاً فكل ما ورد من الآثار عن الصحابة
مما يؤهم استحسان البدع فمحذور على الشيء البديع أفهم ذلك وأحرص عليه فإنه ينفعك
فى كثير من المواضع .

بعض الأحيان ويتركها في بعض الأحيان واستدلوا بحديث عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة هل كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الضحى ؟ قالت : ما كان يصليها إلا إذا قدم من سفره ، وبحديث أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول : لا يصليها .

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس يصليها يوماً ويدعها عشرة أيام - يعني صلاة الضحى - وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان لا يصلي الضحى فإذا أتى مسجد قباء صلى وكان يأتيه كل سبت ، وعن منصور قال : كانوا يكرهون أن يحافظوا عليها كالمكتوبة ويصلون ويدعون - يعني صلاة الضحى - . وعن سعيد بن جبير قال : إني لأدع صلاة الضحى وأنا اشتبهها مخافة أن أراها حتماً على ، وقال مسروق : كنا نقرأ فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم نقوم فنصلي الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال : لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله إن كنتم لابد فاعلين في بيوتكم . فهذه الطائفة تعلقت بهذه الأحاديث وقالوا : لا ينبغي المداومة عليها والصواب أنه يستحب المواظبة عليها فان خوفهم توهم الفريضة قد ارتفع لكن الأولى أن يصليها في البيت ، وقالت عائشة : لو نشر لي أبواي ما تركتها ، واختار أكثر العلماء أربع ركعات لصحة أحاديثها ، وقال ابن جرير : أحاديث صلاة الضحى يظهر فيها اختلاف ، أما عند التأمل فيظهر التوافق والصحة ويرتفع التضاد ويندفع التعارض ، واختلاف العدد كان بحسب اختلاف الأيام والأحوال فحيناً كان يصلي ركعتين ، وحيناً أربعاً ، وحيناً ستاً ، وحيناً ثمان ركعات ، وحيناً عشرة وحيناً اثنتي عشرة ، فالشخص مخير في أي عدد أراد ، وحديث أبي ذر المتقدم يدل على هذا المعنى وهو قوله ﷺ : من صلى ركعتين لم يكتب من الغافلين

ومن صلى أربعاً كتب من العابدين إلى آخر الحديث وقد تقدم .
(فصل) كان من عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه إذا تجددت
نعمة أو اندفعت نقمة سجد لله تعالى شكرياً .

ثبت في مسند الإمام أحمد عن أبي بكرة أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر
يسره خر ساجداً شكرياً لله تبارك وتعالى ، وعن أنس أن النبي ﷺ بشر
بمحنة فخر ساجداً ، وروى البيهقي بإسناد صحيح أنه لما ورد كتاب أمير المؤمنين
علي من اليمن يتضمن أن قبيلة همدان أسلمت خر النبي ﷺ ساجداً من
ساعته وقال : السلام على همدان السلام على همدان . وروى عبد الرحمن
ابن عوف « أن النبي ﷺ لما بشر بأن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها
عشرراً وأن من سلم عليه مرة سلم الله عليه بها عشرراً سجد ﷺ من ساعته
شكرياً » . وفي سنن أبي داود « أن النبي ﷺ رفع يديه داعياً ثم بعد ذلك
سجد شكرياً لله ثلاث مرات وقال : شفعت في أمتي فوهبني الله ثلثها فسجدت
شكرياً لله ولما رفعت رأسي شفعت ثانياً فوهبني الله ثلثاً آخر فسجدت شكرياً
ولما رفعت رأسي دعوت الله ثالثاً فوهبني الثلث الباقي فسجدت شكرياً »
وثبت في مسند الإمام أحمد « أن النبي ﷺ رأى رجلاً نغاشاً - يعني قصير
الأرجل - حقيراً نزرأ دماً فسجد شكرياً » وكعب بن مالك لما أتاه البشير
بقبول توبته سجد شكرياً ، وأبو بكر الصديق لما سمع قتل مسيلة سجد شكرياً ،
وأمير المؤمنين علي لما رأى ذا الشدية رئيس الخوارج بين القتلى سجد شكرياً .
(فصل) لم يكن ﷺ يترك سجدة القرآن بل حيثما بلغ آية سجدة كبر
وسجد وقال في سجوده : « سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه
وبصره بحوله وقوته ، وربما قال : اللهم احفظ عني بها وزرا واكتب لي
بها أجراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود »

ولم يثبت أنه لما رفع رأسه من هذه كبر أو تشهد أو سلم وصح أنه سجد في ألم تنزيل السجدة . وفي ص . وفي النجم . وفي إذا السماء انشقت . وفي اقرأ باسم ربك ، وقال عمرو بن العاص : أقرأني رسول الله ﷺ خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث سجديات في المفصل وسجدة في الحج ، وقال أبو الدرداء : « سجدت مع النبي ﷺ في أحد عشر موضعاً ليس فيها شيء من المفصل بل في الأعراف ، والنحل ، وبني إسرائيل ، ومريم ، والحج ، والفرقان ، والنمل ، والم السجدة ، وص ، وسجدة الحواميم » وصح عن أبي هريرة أنه سجد مع النبي ﷺ في اقرأ باسم ربك . وفي إذا السماء انشقت ، ولما كان إسلام أبي هريرة متأخراً في سنة سبع من الهجرة رجحوا حديثه ، وقول ابن عباس لم يسجد رسول الله ﷺ في المفصل منذ تحول إلى المدينة أسقطوه لضعف إسناده ، وأبو هريرة مثبت وهو ناف .

﴿فصل في فضل يوم الجمعة وعبادات النبي ﷺ فيه﴾

عن أبي هريرة قال « قال رسول الله ﷺ : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله تعالى بنا فهدانا ليوم الجمعة فكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلاق » . وعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه يرفعه : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة » فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرُوا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا : يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ - يعني بليت - قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » رواه الإمام أحمد . وابن حبان . والحاكم . وعن أبي هريرة يرفعه « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة »

وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وفي صحيح الحاكم «سيد الأيام يوم الجمعة» وفي الموطأ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تغرب الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ؟ فقلت : بل في كل جمعة فقرأ التوراة فقال : صدق رسول الله ﷺ قال أبو هريرة : ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجاسي مع كعب فقال : قد علمت أية ساعة هي ؟ قلت : فأخبرني بها ، قال : هي آخر ساعة في يوم الجمعة ، قلت : كيف ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ؟ وتلك الساعة لا يصلي فيها قال ابن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي . وعند الشافعي رحمه الله في المسند : « أتى جبريل النبي ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة (١) فقال النبي ﷺ : ما هذه ؟ فقال : هي الجمعة فضلت بها وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيدي فقال النبي ﷺ يا جبريل وما يوم المزيدي ؟ فقال : إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح (٢) فيه كثيب من مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من

(١) أى أثر قليل كالنقطة (٢) كل موضع واسع يقال له أفيح .

ورائهم على ذلك الكتيب (١) فيقول الله عز وجل لهم : أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلوني أعظمكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك فيقول : قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ولدى مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات ، وهو اليوم الذى استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش (٢) ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة ، هذا الحديث رواه الإمام الشافعى فى مسنده ، وجمع أبو بكر بن أبى الدنيا طرقه ، ورواه بأسانيد متنوعة مختلفة ، وبالجملة فهو حديث عظيم صحيح يشتمل على فوائد وبشارات وحقائق كثيرة . وروى عن أبى هريرة * أنه سأل رسول الله ﷺ عن سبب تسميته بالجمعة ؟ فقال : لأن فيها طبعت طينة أبىك آدم ، وفيها الصعقة والبعثة ، وفيها البطشة ، وفى آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له ، وفى كتاب صفة الجنة تصنف أبى بكر بن أبى الدنيا بإسناد ثابت من رواية حذيفة أن النبى ﷺ قال : « أتانى جبريل وفى كفه مرآة كأحسن المرايا وأضوأها وإذا فى وسطها لمعة سوداء فقلت : ما هذه اللمعة التى أرى فيها ؟ قال : هذه الجمعة قلت : وما الجمعة ؟ قال : يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك

(١) فى مسند الامام الشافعى على تلك الكتب (٢) أقول إن كل ما جاء فى القرآن الحكيم أو صح عن الرسول الحبيب الحليم من صفات الرب تبارك وتعالى مما يؤهم التشبيه وحسب الايمان به وتلقيه التسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتشيل ، وما أشكل من ذلك يجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ويرد علمه إلى قائله ويجعل عهده على ناقله اتباعاً لطريق الراسخين فى العلم الذين أنشأ الله عليهم فى كتابه الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه بقوله جل جلاله وتزهت صفاته وأسماؤه (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) وهذه هى عقيدة السلف الصالح المنجية يوم القيامة من عذاب الجحيم ، وقد ظهرت طائفة فى عصرنا الحاضر يدعون انهم السلفيون وينفون كثيراً من صفات الرب ويؤولون ويخوضون فيها بغير علم ويتبعون ما تشابه منها فتشاً من ذلك ضلال وإضلال ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ، بل هم فى تقليد كبيرهم يعمهون ، واسماع أقوال غيره معرضون وعن الصراط المستقيم ماثلون ، لأنهم فى دعواهم كاذبون .

بشرفه وفضله في الدنيا ، وما يرجى فيه لأهله وباسمه في الآخرة (فأما) شرفه وفضله في الدنيا فإن الله جمع فيه أمر الخلق (وأما) ما يرجى فيه لأهله فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم - أو أمة مسلمة - يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه . (وأما) شرفه وفضله في الآخرة واسمه فإن الله تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جرت عليهم هذه الأيام وهذه الليالي ليس فيها ليل ولا نهار . فأعلم الله عز وجل مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة حين يخرج أهل الجنة إلى جمعتهم نادى أهل الجنة مناد : يا أهل الجنة اخرجوا إلى وادى المزيد ، ووادى المزيد لا يعلم سعته وطوله وعرضه إلا الله ، فيه كشبان المسك رموسها في السماء قال : فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت ، فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تعالى عليهم ريحاً تدعى المشيرة تنشر ذلك المسك وتدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم وتلك الرياح أعلم كيف يصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو رفع إليها كل طيب على وجه الأرض ، قال ثم يوحى الله تبارك وتعالى إلى حملة عرشه ضعوه بين أظهرهم فيكون أقل ما يسمعون منه أن يا عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى وصدقوا برسلى واتبعوا أمرى سلوا فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا فيرجع الله إليهم أن يا أهل الجنة إني لو لم أَرْض عنكم لم أسكنكم دارى فسلونى فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا أرنا وجهك ننظر إليه فيكشف عن تلك الحجب ويتجلى لهم عز وجل فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى أن لا يحرقوا لا حرقوا ، لما يغشاهم من نوره ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم فيرجعون إلى منازلهم وقد أعطى كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه فيرجعون إلى أزواجهم

وقد خُفُوا عليهم وخُفِين عليهم بما غشيتهم من نوره فاذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون : ذلك إن الله عز وجل تجلى لنا فنظرنا منه ، قال (١) : إنه والله ما أحاطه خلق ولكنه قد أراهم الله عز وجل من عظمتة وجلاله ما شاء أن يريهم قال : فذلك قوله : فنظرنا منه قال : فهم يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال رسول الله ﷺ : فذلك قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وفي لفظ : فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عز وجل من عرشه إلى كرسیه ويحف الكرسي منابر من نور فيجلس عليها النبيون وتحف المنابر بكراسي من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كسبان المسك لا يرون لأهل المنابر والكراسي فضلا في المجلس ، ثم يتبدى لهم ذوالجلال تبارك وتعالى فيقول : سلوني ، فيقولون بأجمعهم : نسألك الرضا يارب فيشهد لهم على الرضا ، ثم يقول : سلوني فيسألونه حتى تنتهي نهمته (٢) كل عبد منهم قال : ثم يغشى عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الجبار عن كرسیه إلى عرشه ويرتفع أهل الغرف إلى غرفهم وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زمردة خضراء ليس فيها فصم ولاوصم (٣) مطردة فيها أنهار متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها قال : فأهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما يتباشرون أهل الدنيا في الدنيا بالمطر .

(١) الضمير في قال عائد على جبريل عليه السلام (٢) أى الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة في الشيء . (٣) الفصم أن ينصدع الشيء فلا يبين ، والوصم الفتور والكسل .

(فصل) كان من عوائده الكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم ويحفه بأنواع العبادات كما سنبينه فيما هوأت ، وللعلماء في يوم الجمعة . ويوم عرفة قولان ، قال بعضهم : يوم الجمعة أفضل ، وقال بعضهم يوم عرفة أفضل ، وكان ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة سورة السجدة ، وهل أتى على الإنسان ، والمراد تذكير الأمة بما اشتملتا عليه مما كان وما يكون لما فيهما من خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وذكر المعاد ، وحشر الخلائق وأحوالهم في الجنة والنار وليس المراد تخصيص هذا اليوم بالسجدة كما ظنوا وقالوا : إن من لم يتبأله قراءتهما فليقرأ بعض سورة تشتمل على سجدة أو ليقرأ في الأولى بعض سورة السجدة وفي الأخرى باقيةا وإنما نشأ لهم هذا من عدم اطلاعهم على سر ما قرئتا له في هذا اليوم ، وقراءتهما في صلاة الصبح من خواص الجمعة (الخاصية الثانية) أنه يستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها ، وفي الحديث الصحيح : أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وليلة الجمعة (الخاصية الثالثة) صلاة الجمعة وهي من أعظم فروض الإسلام ومن تهاون في الاتيان بها ختم على قلبه ، وقرب بعض الأشخاص في يوم المزيد بحسب تقربهم إلى الله في يوم الجمعة (١) (الخاصية الرابعة) استحباب الغسل في ذلك اليوم وعند جماعة يجب ودليل وجوبه أقوى من دليل وجوب الوتر . ومن الوضوء من مس النساء ، ومن القهقهة ، ومن الرعاف ، ومن الحجامه ، ومن القيء ، ومن وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد (٢)

(١) في بعض النسخ بحسب قربهم من الامام يوم الجمعة .

(٢) يعني ان دليل هذه الاشياء أقل من دليل استحباب الغسل وقد حملت على الوجوب .

(الخاصية الخامسة) مس الطيب وهو في هذا اليوم أفضل منه في سائر الأيام (الخاصية السادسة) استعمال السواك في هذا اليوم مفضل على سائر الأيام (الخاصية السابعة) التكبير للصلاة (الخاصية الثامنة) الاشتغال بالصلاة والذكر والقراءة إلى أن يصعد الإمام إلى الخطبة (الخاصية التاسعة) الانصات للخطبة وهو واجب عند أكثر العلماء (الخاصية العاشرة) قراءة سورة الكهف لقوله ﷺ : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء إلى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين (الخاصية الحادية عشرة) عدم كراهية صلاة النافلة في وقت الزوال كما هي في سائر الأيام مكروهة ، وهذا مذهب أكثر العلماء لما روى أبو قتادة أن النبي ﷺ كان يكره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة ، وقال « إن جهنم تسجر (١) إلا يوم الجمعة » ورد في الحديث الصحيح استحباب الصلاة في يوم الجمعة إلى وقت الخطبة ، وروى الشافعي بأسانيد متنوعة « نهى النبي ﷺ عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة » وللعلماء في هذه المسئلة ثلاثة أقوال : (أحدها) أن وقت الزوال ليس بوقت كراهة مطلقا في حال من الأحوال ولا في يوم من الأيام وهذا مذهب الإمام مالك (الثاني) أنه وقت كراهة في الجمعة وغيرها وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة . وأحد قولي الإمام أحمد (الثالث) أنه وقت كراهة في جميع الأيام غير يوم الجمعة فإنه ليس بوقت كراهة وهذا مذهب الإمام الشافعي ، وجميع المحققين (الخاصية الثانية عشرة) استحباب قراءة سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة أو سورة سبح والغاشية لمواظبة النبي ﷺ على ذلك والاقتصار على بعض سورة الجمعة والمنافقين ليس بمستحب بل

(١) أى توقد فعلى من يؤمن بذلك ان يتق الله في جميع حالاته لاسيما في يوم الجمعة .

هو خلاف السنة ، وجهابذة الأئمة يداومون على ذلك (الخاصة الثالثة عشر)
 أنها عيد الأمة يكرر في كل أسبوع ، وروى ابن ماجه في مسنده عن أبي
 لبابة يرفعه أن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها وهو أعظم عند الله من
 يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، فيه خمس خلال : خلق الله عز وجل آدم فيه ،
 وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه توفي آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله
 العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ما لم يكن حراماً ، وفيه تقوم الساعة . ما من ملك
 مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر إلا وهن يشفقن
 من يوم الجمعة (الخاصة الرابعة عشر) استحباب لبس أحسن ثوب تصل
 القدرة إليه وأجوده ، ثبت في مسند الإمام أحمد « من اغتسل يوم الجمعة
 ومس من طيب إن كان له ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة
 حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه
 حتى يصلى كانت كفارة لما بينهما » وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام
 أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة : « ما على أحدكم
 لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » (الخاصة الخامسة عشر)
 استحباب تجمير المسجد باحراق العود واستعمال الطيب أمر أمير المؤمنين
 عمر رضي الله تعالى عنه بتجمير المسجد (١) في كل جمعة (الخاصة السادسة
 عشر) تحريم إنشاء السفر في يوم الجمعة بعد دخول الوقت على من لزمته
 الجمعة وهذا مذهب جماهير العلماء ، وعند أبي حنيفة يجوز ، لكن نقل
 السروجي في شرح الهداية عن أبي حنيفة كراهة ذلك ، وأما مذهب الشافعي
 فيحرم من قبل الزوال أيضاً لما روى الدارقطني أن النبي ﷺ قال : « من

(١) أي تبخيره ولم نراهدا يبخر المساجد يوم الجمعة في عصرنا هذا ولا ممن يدعى التمسك
 بالسنة ، والمسجد خاص بهم ولا أدري ما جوابهم اللهم إلا تقليدا لسكوت كبيرهم على ذلك .

سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب في سفره « وقال حسان بن عطية : إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجة ولا يصاحب في سفره (الخاصية السابعة عشر) هي أن من مشى إلى صلاة الجمعة كتب له بكل خطوة ثواب صيام سنة . في مسند الإمام أحمد ، ومسند عبد الرزاق « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر (١) ودنا من الإمام وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير (الخاصية الثامنة عشر) هي أن هذا اليوم مكفر للسيئات ، روى سلمان أن رسول الله ﷺ قال : أتدري ما يوم الجمعة ؟ قلت : هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم قال : لكني أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضى الإمام الصلاة إلا كان كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة « وورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة (الخاصية التاسعة عشر) هي أن جهنم تضرم في كل يوم عند منتصف النهار إلا في يوم الجمعة لأنه أفضل الأيام ، والعبادات والطاعات فيه أزيد من سائر الأيام والمعاصي فيه أقل وكثير من أهل الفجور المتغولين (٢) الآثام يجتنبون المعاصي في يوم الجمعة وليلتها بالكلية ، وهذا كأنه معنى الحديث الذي يشير إلى أن جهنم لا تضرم في هذا اليوم (الخاصية العشرون) هي أن في هذا اليوم ساعة إجابة وكل عبد سأل فيها حاجة قبل ، وثبت في الصحيحين « أن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه ، وقال بيده يقلها . »

وللعلماء في هذه الساعة خلاف على قولين (قال بعضهم : ليست بباقية بل ارتفعت في زمان الرسول ﷺ) (القول الثاني) وهو الصحيح إنها

(١) في الصحيح قالوا بكر أسرع وابتكر أدرك الخطبة من أولها وهو من الباكرة

(٢) لعنه « المتغولين » فوقع بها تحريف ، وقد تقيدها برسم النسخ التي بأيدينا .

باقية ، وفي تعين وقتها خلاف هل هي في وقت معين من يوم الجمعة أم ليس لها وقت معين من يوم الجمعة ؟ والذين قالوا بالتعيين اختلفوا في بيانه على أحد عشر قولاً (القول الأول) مروي عن أبي هريرة إنها بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر إلى المغرب (الثاني) القول عند الزوال ، وذا يروي عن الحسن البصري . وأبي العالية (القول الثالث) إذا شرع المؤذن في أذان الجمعة ، وذا يروي عن عائشة رضي الله عنها (القول الرابع) هي ساعة جلوس الإمام على المنبر إلى أن يفرغ من خطبته (القول الخامس) في زمان صلاة الجمعة (القول السادس) هي ما بين زوال الشمس إلى وقت صلاة الجمعة (القول السابع) هي ما بين صيرورة ظل الزوال شبراً إلى أن يصير ذراعاً (القول الثامن) من وقت العصر إلى غروب الشمس (القول التاسع) آخر ساعة من النهار ، وذا قول أكثر الصحابة ، والتابعين (القول العاشر) من حين خروج الإمام إلى أن يفرغ من الصلاة (القول الحادي عشر) في الساعة الثالثة من يوم الجمعة وأرجح الأقوال قولان (القول الأول) من حين يجلس الإمام على المنبر إلى أن تتم الصلاة ، ودليل ذلك في الحديث الصحيح هي ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تقضى الصلاة (القول الثاني) أنها بعد العصر وذا أرجح الأقوال ودليله الحديث الصحيح أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه وهي بعد العصر « وفي سنن أبي داود ، والنسائي من رواية جابر أن النبي ﷺ قال : يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه فالتسوها في آخر ساعة بعد العصر . وفي سنن سعيد بن منصور أن جماعة من الصحابة اجتمعوا وبحثوا في هذه الساعة ثم قاموا ولم يخالف منهم أحد في أنها آخر ساعة من يوم الجمعة ،

وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال : قلت - ورسول الله ﷺ جالس - إنا لنجد في كتاب الله ساعة في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي ويسأل الله فيها شيئاً إلا قضى له حاجته ، قال عبد الله : فأشار إلى رسول الله ﷺ أو بعض ساعة فقلت : صدقت يا رسول الله أو بعض ساعة قلت : أية ساعة هي ؟ قال : آخر ساعة من ساعات النهار ، قلت : إنها ليست ساعة صلاة قال : بل إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه (١) إلا الصلاة فهو في الصلاة « وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قيل للنبي ﷺ : « لآى شيء سمي يوم الجمعة ؟ قال : لأن فيها طبع (٢) طينة أبيك آدم ، وفيها الصعقة والبعث ، وفيها البطشة ، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له » (٣) (الخاصية الحادية والعشرون) هي أن للصدقة في هذا اليوم مزية على الصدقة في سائر الأيام (الخاصية الثانية والعشرون) هي أن صلاة الجمعة مقرونة بالخطبة مشروطة بشرائط ليست لغيرها مثل اشتراط الإقامة والاستيطان ، والجهر بالقراءة وغير ذلك . (الخاصية الثالثة والعشرون) هي أن يوم الجمعة يوم يستحب فيه التفرغ للعبادة ومزيته على سائر الأيام كمنية شهر رمضان على سائر الشهور ، وهو مخصوص بعبادات واجبة ومستحبة وكما أن لأهل كل ملة يوماً متخصصاً للعبادة والتخلي عن الأشغال الدنيوية ، كذلك تعين يوم الجمعة لهذه الأمة المعصومة ، وساعة الإجابة في هذا اليوم كليلة القدر في شهر رمضان ، ومن هذه الجهة قال العلماء : من حصل له في يوم الجمعة السلامة من الآثام سلم في الأسبوع ، ومن سلم في شهر رمضان من الآثام سلم في بقية

(١) في نسخة « لا تحبسه إلا الصلاة » . (٢) أى جمعت .

(٣) لأنها قد جمعت فضائل كثيرة .

العام ، ومن حصل له حج بيت الله الحرام وسلم من المخالفات سلم في جميع العمر فيوم الجمعة ميزان الأسبوع ، وشهر رمضان ميزان السنة ، وحج بيت الله ميزان العمر . (الخاصة الرابعة والعشرون) لما كان يوم الجمعة في الأسبوع كيوم العيد في السنة ، والعيد يشتمل على الصلاة والقربان والجمعة تشتمل على الصلاة جعل الحق جل شأنه التبكير إلى المسجد بدل القربان وقائماً مقامه ، وفي الحديث الصحيح « من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة » وفي هذه الساعات اختلاف حملها بعض العلماء على الساعات الفلكية وقال باستحباب التبكير بعد طلوع الشمس وذا مذهب الشافعي وأكثر العلماء ، وحملها البعض على الساعات العرفية وهي أجزاء لطيفة من بعد الزوال وذا مذهب الإمام مالك وطائفة من أهل المدينة (الخاصة الخامسة والعشرون) أنه يوم تجلى الحق جل شأنه على عبده في الجنة (الخاصة السادسة والعشرون) هي أن الله أقسم بهذا اليوم من بين سائر الأيام ، قال الله تعالى : « وشاهد ومشهود » قال ﷺ : اليوم الموعود : يوم القيامة ، واليوم المشهود : هو يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير إلا استجاب له أو يستعينه من شر إلا أعاده منه . (الخاصة السابعة والعشرون) هي أن السموات والأرضين والجبال والبحار ، والخلائق كلها غير بني آدم والشياطين يخافون من يوم الجمعة . قال كعب الأحبار : ألا أحدثكم عن يوم الجمعة إذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والأرض والجبال والبحور والخلائق كلها إلا ابن آدم والشياطين . (الخاصة الثامنة والعشرون) إنه يوم ادخره

الحق سبحانه هذه الأمة المرحومة ، فضلت عنه جميع الأمم . قال ﷺ : « يوم
ادخره الله لنا » وقال : « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم
الجمعة هدانا الله له وأضل الناس عنه ، فالتاس لنا فيه تبع » الحديث (الخاصية
التاسعة والعشرون) هي أن هذا اليوم خيرة الله من الأيام كما اختار رمضان
من الشهور ، وليلة القدر من الليالي ، ومكة من القرى . قال كعب : إن الله
عز وجل اختار الشهور فاختار شهر رمضان ، واختار الأيام فاختار (١) يوم
الجمعة ، واختار الليالي فاختار ليلة القدر (الخاصية الثلاثون) هي أن
أرواح المؤمنين في يوم الجمعة تقرب من قبورهم ، ويعرفون من يزورهم فيه
فضل معرفة على سائر الأيام . (الخاصية الحادية والثلاثون) كراهة صوم
هذا اليوم على انفراده عند أكثر العلماء . قال محمد بن عباد : سألت جابراً
أنهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم ورب هذه البنية ،
وفي الصحيحين قال ﷺ : « لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله
أو يوماً بعده » اللفظ للبخاري ، ولمسلم : « لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من
بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم » وعن جويرية بنت الحارث
أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال : « أصمت أمس ؟ قالت
لا . قال : تريد أن تصومي غداً ؟ قالت لا . قال : فافطري » وقال ﷺ :
لا تصوموا يوم الجمعة وحده ، وقال : يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا
يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده (الخاصية الثانية
والثلاثون) اختصاص هذا اليوم باجتماع المؤمنين للموعظة والتذكير (٢) .

(١) في بعض النسخ « واختار » بالواو

(٢) للامام جلال الدين السيوطي رسالة في فضائل وخصائص الجمعة سماها نور الجمعة

في خصائص الجمعة وقد نشرتها إدارة الطباعة المنيرية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١

﴿ فصل في الخطبة النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان ﷺ إذا خطب رفع صوته إلى غاية تحمر فيها عيناه المباركتان ، وكثيراً ما كان يقول في خطبته : « بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى » وبعد ذلك يقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا لأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلىّ وعلىّ » رواه مسلم ، وفي لفظ كانت خطبة النبي ﷺ : يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (١) : وفي بعض الأخبار كان يقول : الحمد لله نحمد الله ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً ، وكثيراً ما كان يقرأ سورة ق على المنبر ، قالت أم هشام بنت الحارث : ما حفظت سورة ق إلا من رسول الله ﷺ مما يخطب بها على المنبر ، وحفظ من خطبته ﷺ من رواية علي بن جدعان وفيها ضعف « يا أيها الناس توبوا إلى الله عز وجل قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامى

(١) قوله « وكل ضلالة في النار » ليست موجودة في نسخ صحيح مسلم .

هذا في شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من وجد إليها سبيلا ، فمن تركها فى حياتى أو بعدى جحودا بها واستخفافا ، وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا وضوء له ، ألا ولا حج له ، ألا ولا بر له حتى يتوب فإن تاب تاب الله عليه ، ألا ولا تؤمن امرأة رجلا ، ألا ولا يؤمن أعرابى مهاجرا ، ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا ، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه « وكان يقصر الخطبة ويطول الصلاة وقال : إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، وكان يبين فى الخطبة قواعد الإسلام ويعلم مهمات الدين ، وكان إذا عرضت له حاجة أو سأله سائل قطع خطبته وقضى الحاجة أو أجاب السائل ثم أتمها ، وكان إذا رأى فى الجماعة فقيرا أو ذا حاجة أمر بالتصدق وحرص على ذلك ، وكان إذا ذكر الله تعالى أشار بالسبابة ، وكان إذا اجتمعت الجماعة خرج للخطبة وحده ولم يكن بين يديه صاحب ولا خادم ولم يكن من عادته لبس الطرحة ولا الطيلسان ولا الثوب الأسود المعتاد ، وكان إذا دخل المسجد سلم على الحاضرين لديه وإذا صعد المنبر أدار وجهه إلى الجماعة وسلم ثانيا ثم قعد وإذا ذاك يشرع بلال فى الأذان وعند فراغه يقوم فيخطب قائما من غير فاصلة بين الأذان والخطبة ، ولم يكن يأخذ السيف والخربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر ، وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ أنه اعتمد على العصا ، ولا على القوس ولا على غير ذلك ، وكان يجلس بين الخطبتين لحظة ، وإذا فرغ من الخطبة أقام بلال الصلاة ، وكان فى أثناء الخطبة يأمر الناس بالتقرب والإنصات ويقول : إن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ، وكان يقول : من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل

الحجار يحمل أسفارا والذي يقول : أنصت ليس له جمعة ، وقال : يحضر الجمعة ثلاثة نفر . رجل حضرها ويلغو فهو حظه منها . ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكون ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهي له كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك أن الله عز وجل يقول : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ذكره أبو داود ، وكان إذا فرغ بلال من الأذان شرع ﷺ في الخطبة ولم يقم أحد لصلاة السنة ، وبعض العلماء قالوا بسنة الجمعة بالقياس على الظهر وإثبات السنة بالقياس غير جائز (١) والعلماء الذين صنفوا في السنن واعتنوا بضبط سنن الصلاة لم يرووا في سنة الجمعة قبل الصلاة شيئا . وأما بعد صلاة الجمعة فكان إذا رجع إلى المنزل صلى أربعاً وإن صلى في المسجد صلى ركعتين وقال : من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل بعدها أربعاً .

﴿ فصل في صلاة العيد ﴾

كان من عادة النبي ﷺ أن يصلي صلاة العيد في المصلي وهو مكان في ظاهر المدينة ، وصلى العيد مرة في المسجد لسبب المطر ، وكان يلبس في يوم الجمعة أجمل ثيابه ، وكان له حلة فاخرة برسم العيدين . والجمعة وفي بعض الأحيان كان يلبس بردا مخططا بخطوط خضر أو بخطوط حمر ، وكان يفطر في يوم العيد ، عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلي على تمرات عددن وتر ، ولم يكن يأكل طعاما إلا بعد المراجعة ، وكان يغتسل للعيد ، وورد في هذا الباب حديثان وكلاهما ضعيف لكن صح عن ابن عمر أنه كان يغتسل لكل

(١) أقول : ماذا يقول المنتسبون إلى الفقه والدين في هذا العصر من قولهم هذا سنة وهذا سنة ؟ وليس لذلك أصل في الدين ، وإنما هو سنة الفقهاء فأوهموا الناس أنها سنن الهدى وليس هذا من شأن العلماء ولا من الورع بل هو تلبيس إبليس نسال الله الهداية .

عيد، وشدة مبالغته في متابعة السنة تقتضى أن الحديث في هذا الباب صحيح وكان يسير إلى المصل ماشيا وتحمل بين يديه العنزة (١) فإذا بلغ المصل نصبت تجاهه لأن المصل لم يكن له إذ ذاك جدار ولا محراب وكان يؤخر صلاة الفطر ويعجل صلاة الأضحي، وعبد الله بن عمر الذي كان لا يهمل متابعة السنة في دقيقة كان يسير من بيته إلى المصل بعد طلوع الشمس وكان يكبر في جميع طريق المصل وكان النبي ﷺ إذا بلغ المصل شرع في الصلاة من وقته بلا أذان ولا إقامة ولا الصلاة جامعة، والسنة أن لا يكون شيء من هذا. وكان يكبر في الأولى سبع تكبيرات متتابعات يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة خفيفة. ولم يرد بين التكبيرتين ذكر ولا تسبيح معين، وكان يقرأ في الأولى سورة ق والقرآن المجيد، وفي الثانية اقتربت الساعة، وفي بعض الأحيان كان يقتصر على سبع اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية ولم يصح غير هذا، وكان إذا رفع رأسه من السجود إلى الركعة الثانية شرع في التكبير فكبر خمسا ثم شرع في القراءة. ويروى في بعض الأحاديث أنه وإلى بين القراءتين فكبر في الأولى ثم قرأ وركع فلما قام في الثانية قرأ وجعل التكبير بعد القراءة لكن هذا الخبر غير صحيح لأنه من رواية محمد بن معاوية وهو مجروح باتفاق أكابر علماء الحديث، وعن عمر بن عوف أن رسول الله ﷺ «كبر في العيدين في الأولى سبعا قبل القراءة وفي الآخرة خمسا قبل القراءة» سأل الترمذي البخاري عن هذا الحديث؟ فقال: ليس في الباب شيء أصح من هذا وبه أقول، وكان إذا فرغ من الصلاة قام وخطب قائما ولم يك ثم منبر، لكن ورد في الحديث الصحيح «فتزل نبي الله» وهذا يدل على أنه كان يخطب على تل

أو صُفحة أو مكان عال يقوم مقام المنبر . وروى في بعض الأحاديث على راحلته . وفي الصحيحين عن جابر قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، ولفظ تصدقوا فأكثر من تصدق النساء بالقرط والخاتم والشيء ، فإن كان له حاجة أو يريد أن يبعث بعثاً يذكره لهم وإلا انصرف ، وكان يفتتح جميع الخطب بحمد الله ، ولم يرد في حديث أنه كان يفتتح خطبة العيد بالتكبير . وفي سنن ابن ماجه مروي عن سعد مؤذن النبي ﷺ أن النبي ﷺ كان يكثّر التكبير بين أضعاف الخطبة ، وفي لفظ يكثّر التكبير في خطبة العيدين وهذا لا يدل على أن الافتتاح كان بالتكبير والله أعلم ، وكان يذهب إلى صلاة العيدين من طريق ويأتى من طريق أخرى وقالوا : السر في ذلك أن يسلم على أهل الطريقين أو لتشمل بركته الطريقين أو ليظهر شعار الإسلام في الطريقين أو ليغتم أهل النفاق بمشاهدة عزة الإسلام ورفعته أعلامه أو لتشهد بطاعته البقاع المختلفة والمواضع المتفرقة أو لمجموع ذلك أو لأسرار آخر تقصر عنها عقول أكثر الخلق .

﴿ فصل في عباداته ﷺ في حال الاستسقاء ﴾

ثبت في ذلك ستة أوجه : (الوجه الأول) أنه كان يوم الجمعة في أثناء الخطبة يستمطر ويقول : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم استقنا اللهم استقنا اللهم استقنا » (الوجه الثاني) أنه كان يعد الصحابة بالخروج في يوم معين إلى المصلى ويخرج في ذلك اليوم بعد طلوع الشمس بهيئة الخاشع المتواضع مبتذلاً فإذا وصل إلى المصلى صعد إلى المنبر وقرأ الخطبة والمحفوظ منها « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل

ما يريد اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت تفعل ما تريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوتا وبلاغا إلى حين » ثم رفع يديه وأخذ في التضرع والابتهال والدعاء وبالغ في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ثم استقبل القبلة واستدبر الحاضرين وقلب رداءه المبارك حتى صار طرف اليمين على الجانب الشمال وطرف الشمال على الجانب اليمين وما كان من الرداء داخلا صار خارجا وما كان خارجا صار داخلا ، وكان الرداء أسود اللون وأخذ في الدعاء كذلك ثم نزل وشرع في الصلاة فصلى ركعتين بغير أذان ولا إقامة جهر فيهما بالقراءة وقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سبح اسم ربك الأعلى . وفي الثانية هل أتاك حديث الغاشية (الوجه الثالث) أنه صعد منبر المدينة في المسجد واستسقى في غير يوم الجمعة ولم يرد في الاستسقاء صلاة بل مجرد خطبة ودعاء (الوجه الرابع) أنه استسقى في مسجد المدينة قاعدا من غير قيام ولا صعود على المنبر وحفظ من دعاء ذلك اليوم اللهم اسقنا غيثا مغيثا مزيعا طبعنا عاجلا غير راثت نافعا غير ضار (الوجه الخامس) أنه استسقى مرة خارج المسجد النبوى بالقرب من الزوراء بمكان يعرف بأحجار الزيت هو قريب من باب من أبواب المسجد يقال له : باب السلام ، إذا خرج شخص من باب السلام وعطف على الجانب الأيمن وسار نحو رمية حجر بلغ إلى المسكن المعروف بأحجار الزيت (الوجه السادس) كان في بعض الغزوات قد سبق المشركون ونزلوا على الماء واستولى العبطش على المسلمين فعرضوا حالهم على الرسول ﷺ وقال المنافقون : لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ هذا الخبر النبي ﷺ فقال : هكذا قالوا : فلا تياسوا فلعل الله جل ثناؤه أن يسقيكم ثم رفع يديه ودعا الله فظهرت سحابة في الوقت أظلمت الدنيا

ثم أمطرت إلى أن اختنقت الأودية العظيمة بالسيول ، والمحفوظ من ذلك الدعاء في الاستسقاء هذه الكلمات : اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا نافعا غير ضار عاجلا غير راث ، وفي كل وقت استسقى ﷺ أجيب وجاء المطر واستسقى مرة فقام رجل من الصحابة يعرف بأبي لبابة وقال : يا رسول الله التمر في المربد ونخشى أن يتلف ، فقال ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مربده (١) بإزاره فأمطرت فاجتمعوا إلى أبي لبابة فقالوا : إنها لن تقلع حتى تقوم عريانا فتسد ثعلب مربدك بإزارك كما قال رسول الله ﷺ ففعل فاسهتبت السماء ، وكانوا إذا كثرت المطر وأفراط طلبوا الصحو من رسول الله ﷺ ، وكان يقول في الاستسقاء : اللهم على الأكام (٢) والجبال والظراب (٣) وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وكان عند ابتداء المطر يميظ ثوبه (٤) عن بعض بدنه ليصيبه المطر ويقول : « لأنه حديث عهد بربه » وكان إذا سال وادى العقيق وغيره يقول : « اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهورا فنتطهر منه ونحمد الله تعالى عليه » وكان إذا رأى الريح والسحاب ظهرت الكراهة في وجهه المبارك وكان يتردد فاذا جاء المطر انبسط وزالت الكراهة . وثبت أنه قال في بعض أدعيته : اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا عاما طبقا سحائما ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللاواء والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض اللهم ارفع عنا الجهد

(١) المربد موضع يجفف فيه التمر ، وتعلبه ثقبه الذي يسيل فيه ماء المطر (٢) الأكام بالكسر جمع اكمة وهي الراية [٣] هي الجبال الصغار واحدا ظرب [٤] أى يزيله وينحيه

والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك ، اللهم
إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً ، وكان إذا دعا
في الاستسقاء رفع يديه نحو السماء ، وقال ﷺ : استجابة الدعاء عند التقاء
الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث ، وقال ﷺ : « تفتح أبواب
السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ، وعند نزول
الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبة .

﴿ فصل في عبادات السفر ﴾

أسفار رسول الله ﷺ لم تكن تخلو من أحد أربعة أنواع (إما) سفر
الهجرة من مكة إلى المدينة ، أو سفر عمرة ، أو سفر حج ، أو سفر جهاد ،
وهذا كان الغالب ، وكان إذا عزم على سفر ضرب القرعة بين أمهات
المؤمنين فمن ظهرت قرعتها سافر بها ، وأما في سفر الحج فانه سافر بالمجموع ،
وكان يسافر أول النهار ، ويجب أن يسافر في يوم الخميس ، وكان إذا جهز
جيشاً إلى الجهاد أمرهم بالمسير في أول النهار وأمر جميع المسافرين إذا كانوا
ثلاثة أن يحملوا أحدهم أميراً . ونهى عن الوحدة في السفر . وقال : الراكب
شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ولم يرد سفراً إلا قال حين ينهض
من جلوسه : « اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت ، اللهم اكفني ما أهمني
وما لم أهتم له . اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير أينما توجهت »
وكان إذا وضع رجله المباركة في الركاب قال : بسم الله ، وإذا استوى على
ظهر المركب قال : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى
ربنا لمنقلبون الحمد لله الحمد لله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحانك
أنى ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يَغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنا نسألك
في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا

هذا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل .
اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل
والمال ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ،
وكان صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا ، وكان
صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على بلدة أو قرية يريد دخولها قال : « اللهم رب السموات
السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين
وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين . أسألك خير هذه القرية وخير أهلها
وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » ، وفي بعض الأحيان كان
يقول : « اللهم إني أسألك من خير هذه القرية وخير ما جمعت فيها ، وأعوذ
بك من شرها وشر ما جمعت فيها . اللهم ارزقنا جناها ، وأعذنا من وبائها ،
وحببنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها إلينا » ، وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة
الرابعة في جميع أسفاره ولم يثبت أنه أتمها في وقت من الأوقات ، والحديث
المروى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في
السفر ويتم ، ويفطر ويصوم لم يبلغ الصحة ، وكان من العادة النبوية أن
يقصر في السفر على صلاة الفرض ، ولم يحفظ أنه في السفر صلى شيئاً من
السنن لا قبل الفرض ولا بعده إلا ركعتي الفجر والوتر ، وكان يصلى صلاة
التهجيد على ظهر المركوب ، وعن ابن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
في السفر على راحلته حيث توجهت يومئذ إيماء » يعنى صلاة الليل إلا الفرائض
ويوتر على راحلته ، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال قصر الصلاة أنه
ما كان يدع صلاة الليل لكن ثبت عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يصلون
السنة ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافرون فيعطون قبل المكتوبة

وبعدها ، وأما ابن عمر فكان لا يصلي السنة ولا يترك صلاة الليل كما كانت عادة النبي ﷺ فلو صلاها أحد جازت صلاته وكانت تطوعاً مطلقاً لا راتبة ، ونقل عن البراء بن عازب قال : سافرت مع النبي ﷺ ثمانية عشر سفراً فلم أره يترك ركعتين عند زيف الشمس قبل الظهر ، قال الترمذي : حديث غريب ، وسألت عنه محمداً - يعني البخاري - فلم يعرفه إلا من حديث الليث بن سعد ، ورآه حسناً ، وكان من عادته ﷺ إذا صلى السنة على راحته أن يتوجه حينما توجهت . وإن توجهت لغير القبلة ، وكان يومئذ في الركوع والسجود ، وثبت في سنن أحمد وسنن أبي داود أنه كان يوجه راحته إلى القبلة حال تكبيرة الافتتاح ثم يتم إلى حينما توجهت الراحلة ، وروى الترمذي في حديث مستقيم الإسناد أنه صلى الفرض مرة على ظهر مركبه واقتدت به الصحابة ركباً ، ولفظه : « انتهى النبي ﷺ إلى مضيق هو وأصحابه وهو على راحته والسماء من فوقهم والبلية (١) من أسفلهم فحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام ، ثم تقدم رسول الله ﷺ على راحته فصلى بهم يومئذ فجعل السجود أخفض من الركوع » وكان من عادته ﷺ إذا وقع الرحيل قبل الزوال أن يؤخر الظهر إلى وقت العصر فإذا نزل جمع بين الظهر والعصر ، وإن دخل وقت الظهر قبل الرحيل صلى الظهر ثم ركب ، وكذا في المغرب والعشاء إن كان في وقت المغرب والعشاء سائراً أخر الصلاة إلى وقت العشاء ليصلها معاً ، وفي بعض الأوقات جمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر ثم ركب ، وكذا في المغرب والعشاء ، ولم يكن يعتاد الجمع في السفر فيما علمت ، لكن إذا كان السير حثيثاً جمع ، وأما الجمع في حالة النزول

(١) البلية بالكسر النداءة ، ويفتحها نور العضاء قبل أن ينقصد ، والعضاء كل شجر عظيم له شوك ، والظاهر هنا الثاني ، والله أعلم .

والقرار فلم يرد ولم يعين للقصر والجمع مسافة ، ولم يرد في هذا الباب شيء صحيح بل رخص في مطلق السفر ، وكذا التيمم لم يرد فيه سفر محدود .

﴿ فصل في عادة الحضرة النبوية ﷺ حال قراءة القرآن ﴾

واستماعه وكال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه

كان له ﷺ في كل يوم وظيفة معينة يتلوها لا يتركها أبداً إلا لضرورة . وكان يقرأ مرتلاً مفسراً مبيناً حرفاً حرفاً ويقف عند آخر كل آية ويتم المد في حروف المد كالمد في الرحمن الرحيم فإنه كان يتم المد في كل ، وكان يقول في أول القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وفي بعض الأوقات يقول : (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، وكان يحب سماع القرآن من الغير ، وأمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن يقرأ عليه القرآن فلما أخذ في القراءة استمع له ﷺ وأخذ في الخشوع والتضرع والبكاء حتى جرى ماء عينيه) وكان يقرأ القرآن على كل حال قائماً وقاعداً ونائماً متوضئاً وغير متوضئ ولم يكن يمنعه شيء من قراءة القرآن غير الجنبابة ، وكان يتغنى بالقرآن في بعض الأوقات ، ويرجع في ذلك كما يفعله من الحفاظ من كان حسن الصوت ، وكذا قراءة سورة الفتح في يوم فتح مكة وكان ﷺ يقول : « زينوا القرآن بالأصوات الحسنة » وقال : « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » قيل لراوى الحديث : فإن كان شخص لا يحسن ذلك ؟ قال . يبذل طاقته فيما استطاع من تحسين القراءة ، وينبغي أن يعلم أن التطريب والتغنى على نوعين : نوع تقتضيه الطبيعة وتسمح به من غير تكلف وهو لا يحتاج إلى تمرين وتعليم بل لو خلى شخص وطبعه لصدر منه ذلك التطريب والتلحين ، وهذا النوع جائز بالإجماع ، ولو أعانته الطبيعة على زيادة تحسين وتزيين كما قال أبو موسى الأشعري لسيدنا رسول الله ﷺ : لو علمت أنك

تسمع لحبرته لك تحبيراً يعنى لو كنت أعلم أنك تستمع قراءتى لأتممت التزيين والتحسين (النوع الثانى) هو ما لا يحصل من سماحة الطبع بل يحتاج فيه إلى التعليم والتمرين والتكلف كأصوات المطربين إذا عمدوا إلى الإيقاع بأنواع الألحان وقرأوا بأصوات وإيقاعات مخصوصة ، وهذا النوع مكروه عند جماعات السلف وقد منعوا من القراءة به (١) .

﴿ فصل فى العادات النبوية فى تفتد المريض ﴾

كان صلى الله عليه وسلم يعود كل من مرض من أصحابه وكان إذا دخل على المريض قرب منه ، وقعد عند رأسه وسأله عن حاله ، وقال : كيف تجدك ، وكثيراً ما كان يقول : ما الذى تريد وما الذى تشتهيه طبيعتك فان اشتهى شيئاً لم يضره أمر له به ، وكان يجعل يده اليمنى على المريض ويقول : « اللهم رب الناس أذهب الباس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ، أمسح الباس رب الناس بيدك الشفاء ولا كاشف له إلا أنت » وكان يدعو المريض ثلاث مرات ، ولما عاد سعداً قال « اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً » وكان إذا دخل على مريض يعودده يقول لا بأس ظهور إن شاء الله ، وفى بعض الأحيان يقول : كفارة وطهور ، وكان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت قرحة أو جرح وضع النبی صلى الله عليه وسلم السبابة على الأرض ثم رفعها وقال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما - يعنى جمع نفسه وانفخ - يقرأ قل هو الله

[١] وهذا النوع واقع الآن فى قرائنا ، فان أحدهم يتكلف ليضطرب الناس ، فيخرج الحروف عن مجاريها الطبيعية ، ويتنى ويهن نفسه ، كأنه فى غناء وطرب ولهو وصخب ، وفى المجلس العلماء والنضاة والمحامون والمدرسون ، وهم على ذلك ساكتون ، بل ربما حثوه على الزيادة من ذلك وهم لاوى أنفسهم يتبعون . وبشرعهم يمشون ، ولموافقة الدوام يعملون نسأل الله السلامة فى ديننا والعافية فى دنيانا .

أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات قالت : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به فكنت آخذ بيديه وأمسح بهما لبركتيهما ، وفي رواية أخرى كان النبي ﷺ يقرأ ويتنفض وعائشة رضي الله عنها تأخذ بيديه وتمسح بهما بدنه كان غاية الضعف، والوجع كان يمنع من تحريكهما ، ولم يجعل للعبادة يوماً معيناً بل كان يعود في جميع الأوقات من الليل والنهار وقال : « عائد المريض في مخرفة الجنة » ١ « وفي رواية أخرى « لم يزل في خرفة الجنة وما من مسلم يعود مسلماً مريضاً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة » وكان ﷺ يعود من رمد العين . وكان يخدمه ﷺ شاب من اليهود فلما مرض عاده ولما مرض عمه أبو طالب عاده مع أنه كان مشركاً ، وكان عرض عليهما الإسلام فلم يقبل أبو طالب وأسلم اليهودي « ٢ » .

﴿ فصل في العادة النبوية في أحوال الميت وأداء حقوقه ﴾

كانت عادته ﷺ مشتملة على الإحسان العظيم إلى الميت ومعاملته بأمور تنفعه في القبر وفي القيامة ، وعلى الإحسان لأقاربه وأهل بيته ، وعلى تعليم الأحياء ما يؤدون به حق العبودية في معاملة الميت ، وأول الإحسان إلى الميت أنه كان يأمر بتجهيزه نحو آخرته على أحسن الأحوال وأفضل الصناعات ثم يقف ﷺ وجميع أصحابه صفاً يستغفرون للميت ويطلبون له الرحمة من حضرة ذي العزة ثم يسيرون معه إلى مدفنه ويقوم هو وأصحابه على قبره يدعون له ويسألون له التثبيت والرحمة عند أشد ما يكون محتاجاً إليها ثم

« ١ » أي بستان من بساتين الجنة وجنائنها . « ٢ » اسمعوا يا رؤساء العلم والدين والدنيا إلى فعل نبيكم صلى الله عليه وسلم وما كان يفعله مع الأمة واقتدوا به .

لا يزال يتعهد قبره ويخصه بالدعاء الذي يستوجب الروح والراحة والمغفرة والرحمة ، وكان يعود قبل موته ويذكره بالآخرة ويأمره بالتوبة والوصية ، ويأمر من حضر مريضاً مشرفاً أن يلقنه الشهادة ليكون آخر كلامه كلمة التوحيد ، وكان يمنع من عادات أمم الضلال الذين لا يؤمنون بالبعث والنشر بحال ، وينهى عن لحلم الحدود وشق الجيوب وخلق الرأس وأمثال ذلك ، ويردع عليه ردعا بليغاً ، ويأمر بالحمد والاسترجاع والرضا ، ولا ينهى عن جرى الدمع وحزن القلب ، ومع أنه كان أَرْضَى الخلق لقضاء الحق وأشكرهم وأصبرهم ، أجرى الدمع وبكى لما توفي ولده إبراهيم وعمره سنتان وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » وكان من كمال عاداته النبوية أن يأمر بتجهيز الميت وتطهيره وتنظيفه ودفنه بسرعة وأن يكفن في ثياب بيض ، وكانت الصحابة مدة إذا احتضر شخص وأشرف على الموت دعوا حضرة الرسالة فحضر صلى الله عليه وسلم هناك إلى أن يتوفى ويجهزه ويصلى عليه ويشيعه إلى القبر ، فلما رأت الصحابة ما في ذلك من المشقة اقتصروا على أن يعلموه بعد وفاة الشخص ليحضر التجهيز والصلاة والدفن ، ثم رأوا أن هذا لا يخلو من مشقة فكانوا يجهزون الميت ويحملونه إليه صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه حيناً بالمسجد وحيناً خارجه وكلاهما يجوز . وفي الحديث المروى عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له » غلط ، وصوابه ما رواه الخطيب البغدادي وقال : هو في الأصل فلا شيء عليه ، وقال بعض أئمة الحديث : هذا الحديث ضعيف لأنه من أفراد صالح مولى التوءمة ، وقد صلى على أبي بكر وعمر في المسجد بحضرة جميع المهاجرين والأنصار ولم يصدر من أحد إنكار ، وكان يأمر أن يغسل الميت ثلاثاً أو خمساً أو أكثر على حسب

ما يقتضيه رأى الغاسل ، وأن يجعل في الغسلة الآخرة شيئاً من الكافور ،
وكانوا لا يغسلون الشهيد وينزعوا عنه السلاح والملبوس ، ويستعملون شيئاً
من الطيب ، وإذا قصر الكفن غطوا رأسه وجعلوا على رجله شيئاً من
الآب (١) ، وكان من العادات إذا أحضر واميتاً سأل صلى الله عليه وسلم هل عليه دين ؟ فإن لم
يكن عليه دين صلى عليه وإلا أمر أصحابه فصلوا عليه ، ولما كثرت الفتوحات ،
وظهرت الغنائم صلى صلى الله عليه وسلم على المديون وقضى دينه ، وكان إذا شرع في الصلاة
قرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى والمحفوظ من الدعاء الذي كان يقرأ في
الصلاة على الميت هذا : « اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم
نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى
الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من
أهله وزوجاً خيراً من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن
عذاب النار » ، وحيناً كان يقول : « اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا
وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على
الإسلام والسنة ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره
ولا تضلنا (١) بعده ، وفي بعض الأوقات كان يقول : « اللهم إن فلان بن
فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل
الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم » وحيناً كان يقول :
« اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت
قبضت روحها تعلم سرها وعلايتها جئنا شفعا فاعف لها » ، وكان يكبر
في بعض الأحيان أربعاً وفي بعضها خمساً وفي بعضها ستاً ، والذين يمنعون

(١) هو المرعى المهيأ للرعى ، قيل : هو من المرعى للدواب كلفاكهة للانسان (٢) في
نسخة « ولا تفتنا بعده » ..

من الزيادة على أربع يقولون : ثبت أن آخر صلاة صلاها الرسول ﷺ كان أربعاً ، وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الملائكة لما صلوا على آدم كبروا أربعاً وقالوا : هذه سنتكم يا بنى آدم ؟ وكان يخرج من الصلاة بتسليمتين ، وقد يقتصر على واحدة (١) ، وكان يرفع يديه فى كل تكبيرة ، وحيثما فاتته صلاة الجنازة على شخص صلى على قبره فصلى مرة على قبر بعد يوم وليلة ، وأخرى بعد ثلاثة أيام ، وأخرى بعد شهر ، وحديث الصلاة على التبر صح من طرق ستة ، وكان يصلى على الطفل الميت ويقول : صلوا على أطفالكم فانهم من أفرادكم ، وكان لا يصلى على من أهلك نفسه ولا على من كان يخون فى الغنائم ويصلى على من قتل بحد شرعى ، ثبت أنه صلى على الجهنمية التى رجمها فقال عمر : تصلى على من زنى ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل الجنة لكففتهم ، وأى توبة أفضل من توبة من وضع نفسه فى طريق الحق ؟ وكان إذا صلى على الميت سار معه إلى المدفن ماشياً ، وقال : عجّلوا فى الذهاب ، وكان لا يجلس حتى توضع الجنازة عن رقاب الرجال ، وقال : إذا اتبعتم الجنازة فلا تجلسوا حتى توضع ، وكان لا يصلى على كل غائب ، لكن صح أنه صلى على النجاشى وقد توفى بالحبشة وأمر الصحابة بذلك ، وقال : توفى أخ لكم فصلوا عليه ، وصلى على معاوية الليثى صلاة الغائب ، واختلف الفقهاء فى هذا فقال الشافعى وأحمد : الصلاة على الغائب سنة مطلقاً ، وأبو حنيفة ومالك يمتنعان مطلقاً ، وبعض المحققين يقول : إن كان قد مات فى بلد لم يصل عليه صلينا وإن صلى عليه فقد سقط الفرض فلا حاجة ، وكانت العادة أن لا يدفن الميت وقت طلوع الشمس ولا وقت غروبها ولا وقت استوائها ، وكانوا لا يرفعون القبر ولا يبنون

« ١ » قبل : هذا ثابت من فعل ابن عمر رضى الله عنه ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

عليه بآجر ، ولا نورة ، ولا حجر ، ولا ابن ، ولا غير ذلك ، وكانوا لا يجعون على هذا القبر عمارة ولا قبة ، وهذا كله بدعة ومكروه ومخالف للطريقة النبوية (١) ، وبعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب أن لا يدع تمثالا إلا طهسه ولا قبراً مشرفاً إلا سواه ، ونهى أن يتخذ على القبر مسجد أو يشعل عليه سراج ، ولعن فاعل ذلك ، ونهى عن الصلاة عند المقابر ، وعن الصلاة على التبر ، ونهى عن إهدانة القبور ، وعن أن تداس أو يتسكأ عليها أو يجلس عليها ، ومن العادات النبوية زيارة القبور والدعاء والاستغفار ومثل هذه الزيارة تستحب ، وقال : « إذا رأيتم المقابر فقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية) ، وكان يقرأ وقت الزيارة من نوع الدعاء الذي كان يقرؤه في صلاة الميت وقد ذكرناه فيما تقدم ، وكانت العادة أن يعزى أهل الميت ويأمرهم بالصبر ولم تكن العادة أن يجتمعوا للميت ويقرأ له القرآن ويختتموه عند قبره ولا في مكان آخر ، وهذا المجموع بدعة ومكروه ، ولم يكن من عادة أهل الميت أن يرسلوا للناس طعاماً ، بل كان يأمر الناس أن يرسلوا لأهل الميت طعاماً لأنهم من المصيبة في شغل كاف (٢) .

(١) فما شاهدناه في عصرنا الحاضر أعنى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف رجل من باعة الكتب العوام المثرين اجتهد في عمل مدفن له قبل موته في مصر وصرف عليه أموالاً طائلة وبني عليه قبة عظيمة جداً وكتب عليها هذا قبر العارف بالله فلان . . . فلم يكتف بما كان عليه في حياته ؟ بل أضاف إلى ذلك بعد موته ما يقع العامة ومن يجيء بعد هذا العصر في الاعتقاد الخيالف للواقع فيتخذونه وتناكبا كانت تفعله الجاهلية في ظلمة الأزمان ومن العجيب أن مثل هذا يفعل وعلماء المسلمين ساكتون فانا لله وإنا إليه راجعون . « ٢ » وهذه المنكرات كثرت في هذا العصر لاسيما في مصر وادت إلى ارتكاب أمور مضرّة بالدين والدنيا ولا منكر لها ولا معيب ويحضر هذه المجتمعات جملة من علماء الدين من مفت وقاض ومدرس إذا كان الميت من أرباب الدنيا فكما ازداد الميت ثروة ازدادت المنكرات وتنوعت فهل في قومي من محب وسامع ومطيع يهزه الدين وتحركه الانسانية إلى إنكار ذلك ؟ لكن القوم في رقود .

(فصل) كان إذا دخل وقت الصلاة في حال القتال ، والعدو إلى جانب القبلة تقدم صلى الله عليه وسلم واصطففت الأصحاب عقبه ، وشرعوا في الصلاة ، وركعوا بحملتهم ورفعوا الرؤوس من الركوع بحملتهم ثم أخذوا في السجود بعد هذا سجد معه أهل الصف الأول واستقام أهل الصف الثاني تجاه العدو حتى إذا فرغ النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الصف الأول من الركعة الأولى وقاموا إلى الركعة الثانية ، هناك يسجد أهل الصف الثاني ، ثم يقومون ويتقدمون إلى مكان أهل الصف الأول ، ويتأخر أهل الصف الأول إلى مكان أهل الصف الثاني سجدتا الركعة الثانية ، ليحصل لـ كلتا الطائفتين فضيلة الصف الأول ، وليحصل لأهل الصف الثاني مع النبي صلى الله عليه وسلم - كما حصل لأهل الصف الأول - سجدتا الركعة الأولى فيتساويان في الفضيلة ، وإذا غاية العدل ، فإذا جلس في التشهد سجد أهل الصف المؤخر ثم لحقوه في التشهد وسلم المجموع بالاتفاق . (وأما) إذا لم يكن العدو في جهة القبلة جعل الناس طائفتين : طائفة تجاه العدو وطائفة معه ، وصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعة ثم صاروا إلى مكان تلك الطائفة فأدركوا الركعة الثانية مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم سلم هو ، وقضى كل من الطائفتين ركعة بعد سلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفي بعض الأحيان كان يصلي بالطائفة الأولى ركعتين فإذا تشهد خرج المأمومون من الصلاة وتوقف الرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد إلى أن تأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم ركعتين ويسلموا جميعاً ، فيكون قد صلى صلى الله عليه وسلم أربعاً وهم ركعتين ، وحيناً كان يصلي بكل طائفة ركعتين مستقبلاً ويسلم ، وحيناً كان يصلي بكل طائفة ركعة ، والطائفة الأولى يخرجون من الصلاة بعد تمام ركعة وتأتي الطائفة الأخرى فيصلون مع الرسول صلى الله عليه وسلم ركعة ويخرجون معه من الصلاة ، فتكون كل طائفة قد صلت ركعة وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم ركعتين ،

وهذه الوجوه كلها جائزة ، وبعض علماء الحديث روى هذه الصلاة على خمسة عشر وجهاً لكن أصح الوجوه هذا الذي بيناه ، وبالله التوفيق .

(فصل) كان من العادة النبوية في الزكاة مراعاة الفقراء مع مراعاة أصحاب الأموال والنظر في مصلحة الجانبين بأقصى الغاية وأوجب الزكاة في أصناف أربعة من المال دورانها بين الخلق أكثر واحتياج الناس إليها أوفر : (الصنف الأول) الزروع والثمار (الصنف الثاني) بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم (الصنف الثالث) الذهب والفضة اللذان بهما قوام معاش العالم (الصنف الرابع) أموال التجارة من أى صنف ، وأمر أن تؤدى في السنة مرة . وفي الزرع والثمار يوم حصاده على الفور وذا غاية العدل ، وبحسب سعى الشخص في تحصيل المال وسهولته ومشقته تفاوت الواجب فيما بين صلى الله عليه وآله وسلم ، لا جرم أوجب الخمس في مال يحصل من غير مشقة وتكلف كما إذا وجد كنز ولم يعتبر السنة في ذلك بل حال ما يجده يجب عليه إخراج الخمس ، وما لا بد في تحصيله من مشقة وكلفة ما أوجب فيه نصف ذلك كالزراع والثمار الحاصلة من ماء المطر . وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج في تحصيله إلى زيادة بتكلف من دولاب أو بر أو شراء ماء . وأوجب نصف ذلك فيما يحتاج إلى عمل وتعب دائم كارتكاب مشقة الأسفار وركوب البحار والترحال والانتظار وما أشبه ذلك ، وأيضا عين في كل نوع من المال نصابا بحسب مصلحة الحال . ففي الفضة مائتا درهم وفي الذهب عشرون مثقالا وفي الغلات والثمار ثمانمائة مد شرعى ، وذلك وقر خمس من الإبل العرب ، وفي الغنم أربعون ، وفي البقر ثلاثون ، وفي الإبل خمس ، ولما لم يحتمل هذا النصاب المواساة من جنسه عين شاة في كل خمس من الإبل أما إذا بلغ خمسا وعشرين احتمل أن يؤدى من جنسه لا جرم يكون

مخيراً بين خمس شياه وبعير ومن علم أنه من أهل الزكاة أعطاه منها وإن طلب شخص من الزكاة شيئاً ولم يعلم حاله أعطاه أما إذا علم غناه أخبره أن لاحظ فيها الخنى ولا لقوى مكتسب . وكانت العادة أنهم إذا أخذوا الزكاة من مدينة أو قرية صرفوها على فقراء ذلك المكان فإن فضل شيء أتوا به إلى حضرة الرسول ﷺ فيصرونه لفقراء المدينة ولم يكن من العادة النبوية أخذ الزكاة من الخيل ، والرقيق ، والبغال ، والحمير ، والبقول ، والبطيخ ، والخيار والعسل والفواكه التي لا تدخل المكيال ولا تصح للدخار إلا الرطب والعنب فإنه كان يأخذ الزكاة منهما لا يفرق بين الرطب واليابس ومن أتى بزكاته إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ دعا له وقال : اللهم بارك فيه وفي إبله ، وكان ينهى المتصدق أن يشتري صدقته وكان يدوخ إبل الصدقة بيده المباركة ، وفي الغالب كان يدوخ على الأذن ، وربما اقترض لمصالح الإسلام وأحال على مال الصدقة ، وفي أوقات الضرورة كان يطلب زكاة سنتين تقدمة .

(فصل في زكاة الفطر)

كان ﷺ يرسل منادياً ينادى في الأسواق والمحلات والأزقة من مكة : ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة ذكر أو أنثى حر أو عبد صغير أو كبير ، مدّان من قمح أو سواه صاعاً من طعام . وثبت في سنن النسائي أنه لما أفضت نوبة الخلافة إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : أما إذا وسع الله عليكم فأوسعوا اجعلوا صاعاً من بر وغيره ، وفي لفظ أبي داود فلما قدم علي رضي الله عنه رأى رخص السعير فقال : قد أوسع الله عليكم فلو جعلتموه صاعاً من كل شيء . ومن العادة النبوية أن تؤدى زكاة الفطر قبل صلاة العيد وكان يقول : من أداها قبل صلاة الفطر فهي صدقة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات ، وفي

الصحيحين عن ابن عمر أنه قال : « أمر رسول الله ﷺ بركة الفطر أن
تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » وظاهر هذه الأحاديث أنها بعد
الصلاة لا تجزى ، وكان يخص المساكين بهذه الصدقة ولا يقسمها على الأصناف
الثمانية ، ولم يرد بذلك أمر نصا ، وبه قال بعض العلماء ، ويجوز الصرف
للأصناف الثمانية . وأما صدقة التطوع فإنه كان يحبها حباً شديداً وكان يسر
بأدائها أشد من سرور الفقير بأخذها ، وكان لا يستكثر ما يصرفه في طريق
الحق بل يحسبه قليلا وماسأله أحد شيئا حاضرا إلا أجابه ولم يعده كثيراً
قل أو جل ، وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر ولا يبالي بالعدم ، وإذا
رأى محتاجا أثره بطعامه وشرابه ، وكان يتنوع في العطاء والصدقة فحينما يهب
وحيثما يتصدق وحيثما يهدى وحيثما يشتري شيئا ويدفع ثمنه ثم يهبه لبائعه
وحيثما كان يقترض ويؤدى أكثر من المبلغ وحيثما كان يشتري شيئا
ويؤدى أكثر من الثمن وحيثما كان يقبل الهدية وينعم بأضعافها وكان
الغرض إيصال أنواع الإحسان إلى الخلق مهما أمكن وكان يأمر الناس
بالصدقة ويحرض عليها وكان يدعو إلى السماحة والسخاوة بحاله ومقاله
بحيث أن البخيل الشحيح إذا رآه أثر فيه وتخلق بالكرم والبذل وكل من
خالطه وصاحبه لم يكذب يملك نفسه حتى يغلبه الإحسان والبذل ، ولهذا لم يزل
منشرح القلب طيب النفس منبسط الخاطر ﷺ .

فصل في أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله ﷺ الذى
أنزلت فيه سورة - ألم نشرح لك صدرك - للامتنان بتلك النعمة ﴿
ينبغي أن يعلم أن أجل أسباب انشراح الصدر هو التوحيد . وبحسب
كماله وتكماله وقوته وزيادته يزيد انشراح الصدر قال الله تعالى : (أفمن شرح
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) وقال الله تعالى : (فمن يرد الله

أن يهديه بشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) فلا جرم أن يكون التوحيد ، والهداية من أعظم أسباب انشراح الصدر ، والشرك والضلالة من أعظم أسباب ضيق الصدر والقلب ، ومن جملة أسباب انشراح الصدر نور يجعله البارئ تعالى في قلب العبد ضياء وذلك نور الإيمان ، فتى ما وقع في قلب العبد دخله الفرح والسرور والانشراح وسعة القلب وظهر فيه ، وإذا فقد ذلك النور وقع في ضيق القلب وابتلى بالشدة والمشقة ، وقال ﷺ : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا : وما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله » وينبغي أن يعلم أن نصيب الشخص من انشراح الصدر وسعة القلب بحسب نصيبه من كثرة النور ومن هذه الجهة للنور المحسوس أيضاً من فرح الخاطر وشرح الصدر حظ وافر ، والظلمة المحسوسة بعكس ذلك ، ومن جملة أسباب ذلك أيضاً العلم فإن العلم يجعل كل زاوية من زوايا القلب أوسع وأشرح من السماء والأرض وكلما زاد علم الشخص زاد انشراح صدره ، وليس المراد من هذا كل علم بل العلم الموروث من الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، أشار إلى ذلك العلم .

وأهل ذلك العلم أوسع قلباً وأطيب عيشاً وأحسن خلقاً من سائر الخلق ومن هذا العلم تتولد الإنابة ومحبة الحق وللمحبة في شرح الصدر مدخل عظيم وكلما نمت المحبة وقويت زاد شرح الصدر وكل ، وأعظم أسباب ضيق الصدر وأقوى موجباته الإعراض عن الحق وتعلق القلب بغير ذلك الجنب والغفلة عن ذكر الحق ومحبة غيره ، ومن أحب غير الحق عذب به وحبس معه ، ولم يك في العالم أسوأ حظاً منه ، ولا أمر عيشة ولا أكثرهما ، لأن

المحبة محبتان ﴿إحداهما﴾ سرور النفس ولذة القلب ونعيم الروح ودواء
الهموم وهى محبة الحق سبحانه وتعالى بكل قلب ، والأخرى عذاب الروح
وهم النفس وحبس القلب وضيق الصدر ومادة كل بلاء وهى محبة غير الحق ،
وأيضاً جملة أسباب شرح الصدر دوام ذكر الحق فى كل حال ، وأيضاً
الإحسان إلى خلق الله مهما أمكن من جار ومال وغير ذلك ، وأيضاً
الشجاعة ، وأيضاً تطهير القلب من الصفات المذمومة ، والرسول ﷺ كان
صاحب الكمال فى مجموع هذه الخصال ، ومن جعل اتباعه قصده يكون أكمل
الخلق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

﴿ باب صيام النبي ﷺ ﴾

كان أجود الناس وأجود ما يكون فى رمضان ، وكان يستغرق أوقاته
بالذكر والصلاة والاعتكاف والتلاوة ، ويخص هذا الشهر العظيم بأنواع
العبادات ، وكان يواصل فى بعض لياليه وينهى غيره عن الوصال ، فقالوا :
أتواصل وتنهانا يا رسول الله ؟ قال : « لست كهيتكم إني أبيت عند ربي » ،
وفى لفظ : « أظل عند ربي يطعمنى ويسقيني » وللعلماء فى ذا الطعام أقوال :
(أحدها) أنه طعام وشراب محسوس فإن هذا حقيقة اللفظ ، وليس فى
الظاهر ما يوجب العدول عن الحقيقة فتعين الحمل على الحقيقة (الثانى) أن
المراد غذاء روحانى يحصل من المعارف ، ولذة المناجاة ، وفيضان اللطائف
الإلهية الواردة على قلبه الكريم وتوابعها من نعيم الأرواح ومسرة النفس
والروح والقلب ونور البصر ، ويحصل بذلك من القوة والمسرة ما يستغنى به
عن الغذاء الجسمانى :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك فى أعقابها حادى

إذا اشتكت من كلال السير واعدتها روح القدوم فتجيا عند ميعاد
وهذا القول الثاني هو المختار لأنه يتصور الوصال لو حمل على حقيقة
الطعام والشراب بل يبطل الصيام ، وكان من العادة أن لا يشرع في صيام
رمضان إلا بعد رؤية الهلال على التحقيق أو بشهادة الواحد العدل كما صام
مرة بشهادة ابن عمر ، ومرة بشهادة أعرابي ، واكتفى بمجرد إخبارهما ، ولم
يكلفهما لفظ الشهادة ، فإن لم ير ولم يشهد به أتم شعبان ثلاثين يوماً ثم صام
وأمر الناس أن يصوموا بشهادة شخص واحد ، ويفطروا بشهادة شخصين ،
وكان يعجل الفطر ويواظب على السحور ويؤخره ، وأمر الأمة بالسحور
وتأخيره ، وأمر أن يفطر الصائم بثلاث رطبات ، فإن لم يجد فثلاث تمرات ،
فإن لم يجد فالماء ، وهذا غاية الشفقة على الأمة ، لأن الطبيعة أوان خلو المعدة
تقبل على الطعام أتم إقبال ، فإذا كان الحلو أول واصل إلى المعدة ينتفع
البدن بقبوله غاية الانتفاع على الخصوص القوة الباصرة ، فإن انتفاعها بالحلو
يكون أزيد من انتفاع سائر القوى ، ولما كان التمر حلو الحجاز وطبائعهم
قد نشأت عليه كان انتفاعهم به أزيد من انتفاعهم بغيره من أنواع الحلواء (١)
من جهة الطب (وأما) من جهة الشرع وأسرار ذلك فالحق جل شأنه جعل
تمر المدينة ترياقاً لكل السموم ، ودواءاً لكل الهموم ببركة سيد العالم صلوات
الله عليه وسلامه ، ومن ثم قال : « إن في عجوة العالية شفاء من كل داء وأنها
ترياق أول البكرة » وقال في موضع آخر : « من تصبغ بسبع تمرات مما بين
لا بتيها لن يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » وليس يظهر للأطباء الرسميين في
هذا المقام غير التحير ودوران الرأس ، وسر ذلك يعلمه أطباء القلوب ،
وفي وقت الإفطار كان يقول هذا الدعاء : « اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرننا

(١) الحلواء الذي يؤكل تمد ويتصر ، وفي بعض النسخ « الحلوات » .

فتقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وفي إسناده مقال . وثبت في سنن أبي داود أنه كان يقول : « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت » وجاء في بعض الروايات أنه كان يقول : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر » وكان ينهى الصائم عن الرفث وعن الجهل ، وقال : إن قاتله أحد أو شتمه فليقل إنى صائم ، وللعلماء في هذه المسئلة ثلاثة أقوال (قال) بعضهم : السنة أن يقول في جوابه هذا اللفظ بلسانه وإذا أظهر الأقوال (وقال) بعضهم : يقول بقلبه ويذكر نفسه أنه صائم لئلا يشتغل بالجواب (وقال) بعضهم : إن كان صومه فرضاً يقول بلسانه وإن كان سنة يقول بقلبه ليكون أبعد عن الرياء .

(فصل) كان صلى الله عليه وسلم إذا سافر في رمضان أفطر في بعض الأحيان ، وصام في بعضها ، وخير الناس في الصوم والإفطار ، وكان إذا اقترب من العدو وأمر بالإفطار وإن وقع مثل هذا في الحضر ، وإن كان في إفطار العسكر تقوية على العدو حل الإفطار ، وكان من العادة النبوية في ليالي رمضان أنه إن احتاج إلى الغسل اغتسل في الليل ، وفي بعض الليالي كان يؤخر ويغتسل بعد الصبح ، وكان يقبل أمهات المؤمنين في أيام رمضان ، والحديث الذي رواه ابن ماجه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل قبل امرأته وهما صائمان ؟ فقال : « قد أفطر » إسناده ليس بثابت ولم يبلغ درجة الصحة ، ومن أكل الطعام أو شرب الماء ناسياً لم يأمره بالقضاء ، وكان يقول : إن الله هو الذي أطعمه وسقاه ، وكان يعد هذا الأكل والشرب بمنزلة أكل النائم وشربه ، وكان يحتجم في رمضان ويستاك وكان لا يبالغ في المضمضة والاستنشاق ، ولم يصح في النهي عن السواك والاكتحال حديث ، وورد في هذا الباب حديثان :

« اكتبحل رسول الله ﷺ وهو صائم » والآخر قال في الكحل : « ليتقه الصائم » وهذان الحديثان ضعيفان لا يصالحان للاحتجاج .

﴿ فصل في صيام النافلة ﴾

كان رسول الله ﷺ يصوم نافلة حتى يظنوا أنه لا يفطر ويفطر حتى يظنوا أنه لا يصوم نافلة بعدها ، وكان لا يدع شهراً خالياً من الصيام وما يفعله العوام من صيام الأشهر الثلاثة لم يرد فيه شيء ، ونهى عن صيام رجب ، وقال في ستة شوال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » وكان يصوم عاشوراء ألبتة ، ولصيام عاشوراء ثلاث مراتب (أفضلها) وأكملها أن يصوم ثلاثة أيام العاشر ويوم قبله ويوم بعده (المرتبة الثانية) أن يصوم التاسع والعاشر (المرتبة الثالثة) أن يصوم العاشر على انفراده ، وأما صوم التاسع على انفراده فإنه لا يجزى عن السنة وأما يوم عرفة فإن كان في الحج أفطر ليتقوى على الدعاء والاجتهاد ولأن الإفطار في السفر أفضل ، وأيضاً فإنه كان يوم الجمعة وإفراد صوم الجمعة مكروه ، وأيضاً فإن يوم عرفة لأهل الموقف عيد فإنهم كانوا يجتمعون فيه كما يجتمع غيرهم في مواطن الأعياد ، وورد في الحديث النبوي « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام » وكان في بعض الأوقات يصوم يوم السبت والأحد ، وغرضه مخالفة اليهود والنصارى ، وفي حديث أم سلمة حيث قالوا : أي الأيام كان رسول الله ﷺ أكثرنا صياماً ؟ قالت : يوم السبت والأحد ، ويقول : إنهما عيد للمشركين فأنا أحب أن أخالفهم ، ولم يكن من العادة النبوية دوام الصيام ، بل نهى عن صوم الدهر ، وقال في حق الصائم : « لا صام ولا أفطر » كان في غالب الأيام إذا دخل بيته سال هل عندكم ما يركل ؟ فإن قالوا : لا قال : فإني صائم ونوى الصيام ، وكان في بعض

الأوقات ينوى صوم التطوع ولا يتم الصيام ، بل يفطر ، وقال : « من نزل على قوم فلا يصوم من تطوعا إلا بإذنهم » لكن طعنوا في إسناد هذا الحديث ، وكان يكره تخصيص يوم الجمعة بصوم ، ويقول : « إنه يوم عيد فلا تصوموه إلا أن يتقدمه يوم أو يعقبه يوم فلا يكره إذا » وقد بين سر هذا في باب الجمعة .

(فصل) لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر والانقطاع عن الغير إلى الحق ، والإقبال على العبادات ، وموجب البعد عن الخلق ، وواسطة لزوال التفرقة والهموم المغيرة ، وهذه المقاصد في حالة الصيام أكمل وأفضل (١) ، لا جرم أنه ﷺ بين للأنام تشريع الاعتكاف في أفضل أيام الصيام ، وهي العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم يرد أنه اعتكف بخير صيام أبداً ، وكانت عائشة رضی الله عنها تقول : لا اعتكاف إلا بصوم ، واعتكف في جميع الرمضانات في العشر الأواخر ، ولم يفته إلا رمضان واحد قضى اعتكافه في شوال ، واعتكف مرة في العشر الأول ، ومرة في العشر الأوسط ، ومرة في العشر الأخير ، ولما علم أن ليلة القدر في ذا العشر واظب اعتكافه إلى آخر الحال ، وكان إذا قصد الاعتكاف صلى الصبح ودخل معتكفه وهو خيمة كانت تنصب له في المسجد ليختل فيها ، وكان لا يأتي منزله إلا لقضاء الحاجة وكان في بعض الأحيان يخرج رأسه من المسجد إلى حجرة عائشة .

(١) الاعتكاف من السنن المؤكدة التي واظب عليها الرسول عليه الصلاة والسلام في المسجد ولا نرى لها أثراً الآن في الوجود حتى ولا عند من يدعى أنهم المؤمنون المتبعون الامام المعصوم تطوف المساجد كلها لا تجدد واحداً يعتكف ويظهر معالم الدين في شهر رمضان ، فهل هيئة العمامة وتحسينها أكد من الاعتكاف في شهر رمضان حتى تفعل ويترك ، ولكن القوم لشهوات أنفسهم يميلون ، ولما هو علامة عليهم يميلون ، وبكبيرهم يقتدون ، ولسنة رسوله وهديه يتركون ، فأني يفلحون ، ومتى يفتنهم ، أسأل الله إيقاظ المسلمين ، وتركهم تقليد الآباء الجاهلين ، والمشايخ العاطلين .

رضى الله عنها لترجل له رأسه وتغسله ومن أراد من أمهات المؤمنين زيارته ﷺ في حال الاعتكاف جاءت إليه وحين قيامها للرجوع كان يقوم معها ويعانقها ويقبلها ، وهذا المجموع كان في الليل ، وكان لا يباشر في مدة الاعتكاف وكان إذا أراد الاعتكاف يوضع له سرير في معتكفه ، ويفرش له عليه وكان إذا دخل منزله لقضاء الحاجة لا يشتغل بأحد ، وكان يمر في بعض الأحيان على المريض من أهل بيته ، فلا يقف عنده ولا يسأل عن حاله ، وكان يعتكف في كل عام عشرة أيام ، وفي العام الأخير اعتكف عشرين يوما وكان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة وفي العام الأخير عرضه مرتين ، وبالله تعالى التوفيق .

﴿ باب حج النبي . عمره ﷺ ﴾

جماهير العلماء على أنه حج بعد الهجرة حجة ، وتلك حجة الوداع ، ولا خلاف أنها كانت في السنة العاشرة من الهجرة ، وأما قبل الهجرة فثبت في جامع الترمذي أنه حج حجتين ، ونقل صاحب المحلى أنه زاد على ثلاث وأربع لكن لم يحفظ العدد ، ولما فرض الحج في العام التاسع اشتغل بتجهيز أسباب السفر في الفور ، وأما قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة) الآية ، فإنها نزلت في العام السادس ، وذا لا يدل على فريضة الحج والعمرة ، بل هو أمر بإتمام الحج والعمرة بعد الشروع فيه .

﴿ فصل في سياق حج الرسول ﷺ ﴾

لما عزم ﷺ على الحج أعلم أصحابه بذلك ، فاستعدوا للسفر بأجمعهم ، ووصل الخبر إلى القرى والضياع القريبة من المدينة ، فتجهز المسلمون بأجمعهم نحو المدينة ، وفي حال المسير إلى مكة تلاحق الناس من كل الأطراف ، حتى تجاوزوا الحصر والعد : وسافر في يوم الخميس أو السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة بعد أن صلى الظهر في مسجد المدينة ، وكان خطب

قبل ذلك ، وعلم الناس شرائط الحج وأركانها وآدابها ، وكان ذلك في يوم الجمعة ، وذا يؤيد أن السفر كان في يوم السبت ، لكن ورد في الحديث الصحيح أنه « كان يحب إنشاء السفر في يوم الخميس » وثبت في صحيح البخاري « ما كان رسول الله ﷺ يخرج في سفر إذا خرج إلا في يوم الخميس » وبعد أن صلى الظهر رجل رأسه ودهنه ، وشد إزاره ، وسار بين الصلاتين حتى نزل بذي الحليفة ، وقصر صلاة العصر هناك ، وبات بها ، وصلى المغرب والعشاء ، والصبح والظهر ، فتم له بها خمس صلوات ، واستصحب معه أمهات المؤمنين كلهن ، وطاف عليهن في تلك الليلة ، واغتسل لصلاة الصبح ، ثم اغتسل بعد الظهر أيضاً للإحرام ، واستعمل الخطمى والأشنان ، وقدمت إليه عائشة رضي الله عنها طيباً مركباً من أجزاء طيبة الرائحة ، وفيه مسك فطيب منه بدنه ورأسه حتى كان يرى ويص المسك في مفرقه المبارك ولحيته الشريفة بعد الإحرام ، ثم بعد ذلك لبس رداء إحرامه ، وصلى الظهر قصرأ وأحرم في المكان الذي صلى فيه ، ولم ينتل أنه صلى قبل الإحرام صلاة خاصة لأجل الإحرام غير صلاة فرض الظهر ، وقبل الإحرام قلد البدنة بنعلين ، وشق سنامها من الجانب الأيمن ، ومسح الدم ، واختلف في إحرامه وكيفية تلبيته ، فأكثر الأحاديث الصحيحة مصرحة بأنه أحرم بحج وعمره ، وقال : « أتاني آت من ربي عز وجل ، فقال : صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة » والأحاديث الصريحة في هذا المعنى تزيد على عشرين ، وأيضاً وردت أحاديث كثيرة شهدت بأن إحرامه كان بإفراد الحج ، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أهل بحج مفرداً ، وثبت في الصحيحين : « خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج » وعند مسلم عن ابن عمر : « أهملنا مع رسول الله ﷺ بالحج مفرداً » وورد في التمتع أحاديث صحيحة وطريق التوفيق بين تلك الأحاديث هو أن الإحرام كان بالحج أولاً ، ثم

أدخل العمرة في الحج ، فصار قارناً ، وقال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » والذي قال بالتمتع مراده التمتع اللغوي : وهو الانتفاع والالتذاذ ولا شك أن الانتفاع والالتذاذ حاصل في القرآن ، لأنه يكتفى عن نسكين بنسك واحد ، ولا يحتاج إلى أفراد عمل لكل واحد من الحج والعمرة (وأما) أصحابه رضي الله عنهم ، فقد كانوا على ثلاثة أقسام (قسم) أحرموا بالحج والعمرة أو بمجرد الحج ومعهم هدى وبقوا على إحرامهم (وقسم) ثان لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج فأمر الرسول ﷺ بأن يجعلوا الحج عمرة يعني يقلبون الإحرام بالحج إلى الإحرام بالعمرة ، ويتممون أفعال العمرة قبل يوم عرفة ، ثم يحرمون بالحج من مكة ، ويمضون إلى عرفة (وقسم ثالث) هم جماعة لم يكن معهم هدى وأحرموا بالحج ، فأمرهم الرسول ﷺ أن يقلبوا الإحرام إلى العمرة ، وهذا هو فسخ الحج بالعمرة .

(فصل) وقع السهو لخمس من الطوائف في صفة حج رسول الله ﷺ (الطائفة الأولى) هم القائلون بأنه حج مفرداً ولم يعتمر إذ ذاك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه تمتع بالعمرة ثم أحل ثم أحرم بالحج (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه تمتع ولم يحل من إحرامه لأنه ساق الهدى (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه كان قارناً قرأنا جمع فيه بين طوافين وسبعين (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأنه كان مفرداً ثم بعد ذلك أحرم بالعمرة من التسعيم (وأما) إحرام الرسول ﷺ فوقع فيه سهو لخمس طوائف أيضاً (الطائفة الأولى) هم القائلون بأنه لبى بعمرة مجردة واستمر على ذلك (الطائفة الثانية) هم القائلون بأنه لبى بالحج مفرداً واستمر عليه (الطائفة الثالثة) هم القائلون بأنه لبى بعمرة ثم أدخل عليها الحج (الطائفة الرابعة) هم القائلون بأنه لبى بالحج مفرداً ثم بعد ذلك أدخل عليه العمرة وهذا من

مخصائصه (الطائفة الخامسة) هم القائلون بأن إحرامه كان مطلقاً ولم يعين
نسكاً ثم بعد ذلك جاء الوحي بالتعيين ، ولما صلى الظهر أحرم ولبي ثم ركب ناقته
ولما انبعثت ناقته لبي أيضاً ثم لما صعد على طرق البيداء لبي أيضاً وكان حينما يقول
لبيك بحجة وعمرة ، وحينما يقول لبيك بحجة ، وكان يقول : لبيك اللهم لبيك
لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وكان
يرفع صوته ليسمع جميع الصحابة ويقول : ارفعوا أصواتكم ، وكان راكباً
على بعير ، عليه رحل وليس عليه شقذ ولا محارة ولا محمل ولا هودج
ولا مخنة وداوم يلبى على هذه القاعدة ، والصحابة يزيدون وينقصون في
التلبية ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ وجمع شعر رأسه ﷺ في مدة
الإحرام ولبده بالخطمي والغسل - بكسر الغين المعجمة - وهو عبارة عن
دواء يجتمع به الشعر ، ولما وصل إلى منزل الروحاء رأى حمار وحش
مجروحاً فقال : دعوه فسيأتى الذى جرحه عن قريب ، فأتى على الفور
وقال : يا رسول الله إفعلوا بصيدى ما شئتم فأمر أبا بكر فقسمه على الرفاق ،
ثم لما وصل إلى منزل إثابة - وهو منزل بين الروية والعرج - رأى ظبياً
نائماً في ظل شجرة فأمر شخصاً أن يكون بالقرب منه لئلا يتعرض له أحد
من المحرمين ، ولما بلغ العرج تخلف غلام لأبى بكر كان معه جمل هوزامة
الرسول وأبى بكر فانتظروه زماناً ولما وصل لم يروا الجمل معه ، فقال
أبو بكر : أين البعير ؟ قال : فقدته ، فقام إليه أبو بكر وضربه على سبيل
التأديب وهو يقول : جعلناك على بعير واحد فضيعته والرسول ﷺ
يتيسم ويقول : أنظر إلى هذا المحرم ما يصنع ولم يزد على هذا ، ولما بلغ
الأبواء جاء إليه صعب بن جثامة بحمار وحش هدية ، فلم يقبله منه ولما رأى
الكراهة في وجهه قال : لم نرد هديتك لكننا محرمون ، ولما بلغ وادى

عفان قال : يا أبا بكر أتعلم أى واد هذا ؟ فقال : وادى عفان ، قال : لقد مر بهذا الوادى هود . وصالح عليهما السلام على جملين أحمرين خطامهما من ليف ، وعليهما إزاران من صوف ، ورداءان من صوف هما عباءتان وهما يلبيان بالحج ، ولما بلغ سرف حاضت عائشة فحزنت وبكت فقال : لما تبكين ؟ لعلك حضت قالت : نعم ؟ قال لا تهتمين هذا شيء كتبه الله على بنات آدم ، وليس فى حجك نقص أعملى كل ما يعملها الحاج لكن لا تطوفى بالبيت وكانت عائشة قد أحرمت بالعمرة فقط ، فقال رسول الله ﷺ : اغتسلي وأحرمنى بالحج ففعلت ، ولما رأت الطهر طافت وسعت (١) فقال رسول الله ﷺ : قد أحللت من الحج والعمرة فقالت : إني لأجد فى نفسى دغدغة لأنى ما طفت العمرة إلا بعد الوقوف فأمر أخاها عبد الرحمن أن يمضى بها لتحرم من التمتع وتأتى بعمرة . وللعلماء فى هذه العمرة أقوال (قال) بعضهم : هى عمرة زيادة أمر بها لتطيب خاطر عائشة رضى الله عنها وجبر قلبها والافطوا فيها وسعيها كاف عن حجها وعمرتها وهى كانت متمتعة وأدخلت الحج على العمرة ، فصارت قارئة وذا أصح الأقوال والأحاديث لا تذلل على غيره . (وقال) بعض العلماء : لما حاضت أمرها برفض العمرة الأولى التى كانت أحرمت بها وهذا قول الإمام أبى حنيفة وأصحابه . ولما وصل الرسول ﷺ سرف قال : من لم يسق الهدى وأراد أن يجعل نسكه عمرة فليفعل ومن ساق الهدى فليمض على نسكه . ولما وصل مكة قال على طريق الجزم والوجوب : من لم يسق الهدى فليجعل نسكه عمرة وليحل

(١) الأحاديث الصحيحة تدل على أنها جعلت إحرامها بالحج عمرة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لما تعذرت عليها العمرة قال لها صلى الله عليه وسلم : كوفى على إحرامك عسى الله أن يرزقكها .

من إحرامه ومن ساق الهدى فليقيم على إحرامه ، وقال : لولا أنى سقت الهدى لأحلت ، ولما وصل إلى ذى طوى قبل دخوله مكة نزل ثم بات ليلة الأحد الخامس (١) من ذى الحجة وصلى الصبح هناك واغتسل ودخل مكة بعد طلوع الشمس بهيئة من طريق الحجون (٢) ، ولما وصل إلى باب بنى شيبة وشاهد الكعبة أخذ يدعو بهذا الدعاء « اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة » وفي بعض الروايات أنه لما نظر إلى الكعبة رفع يديه وكبر وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه واعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرأ » ولما دخل المسجد ، قصد نحو الكعبة ولم يصل تحية المسجد ولما حاذى الحجر الأسود استلمه ولم يرفع يديه ولم يكبر كما يفعله الجهال ثم أخذ في الطواف وجعل الكعبة على جانبه الأيسر ولم يرد شيء من الأدعية في مكان بعينه بإسناد صحيح إلا الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود فإنه قال هناك : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار) ورمل في ثلاثة أشواط ، والرمل أن يسرع في مشيته ويقارب بين خطواته كما يفعله المصارعون ، وأخرج رداءه من تحت أبطه الأيمن وجعله على كتفه الأيسر وسار في بقية الطواف على هيئة ، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه بمحجن كان في يده ثم قبل رأس ذلك المحجن ، والمحجن عصا قصيرة في رأسها أعوجاج ، وكان إذا حاذى الركن اليماني ، أشار إليه بالاستلام ولم يثبت أنه إذ ذاك قبل يده أو قبل المحجن ، وأما الحجر الأسود فإنه قبله ووضع وجهه المبارك عليه . وفي

(١) لعله الرابع فقد صح أنه دخل لأربع خلون من ذى الحجة ، وأن الوقوف كان يوم

الجمعة انظر صحيح مسلم ج ١ ص ٣٥٥ (٢) هو جبل مشرف بمكة ، وقبل موضع بمكة .

بعض الأحيان كان يضع يده عليه ثم يقبلها ، وكان يقول في حال الاستلام
« بسم الله والله أكبر » وكلما حاذى الحجر الأسود قال : « الله أكبر » وكان
في بعض الأحيان يضع جبهته عليه ساجداً ثم يقبله كل هذا ثابت في
الصحيح ، وكان إذا فرغ من الطواف قام خلف المقام وتلا قوله تعالى
(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ثم صلى ركعتي الطواف والمقام إذ ذاك
كان موضوعاً قريباً من الكعبة ، وقرأ في الركعة الأولى الفاتحة . وقل
يا أيها الكافرون . وفي الثانية الفاتحة . وقل هو الله أحد ، ثم بعد الصلاة
توجه إلى الحجر الأسود وجاء فاستلمه ثم خرج من أوسط أبواب الصفا
وهي خمسة ثم قصد الصعود ولما قرب منه تلا قوله تعالى : (إن الصفا
والمروة من شعائر الله) ثم قال « أبدأ بما بدأ الله به » وفي رواية النسائي
« أبدأ » على صيغة الأمر ثم صعد على الصفا قدر ما يتمكن معه من مشاهدة
الكعبة ثم استقبلها وكبر الله وقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر
عهده وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا وقال : « اللهم إنا نسألك موجبات
رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي
ذنبا إلا غفرتة ولاهما إلا فرجتة ولا كربا إلا كشفتة ولا حاجة إلا قضيتها
ثم هلال ثلاثا ثم دعا بما أحب ثم هبط .

وروت صفية بنت شيبة أنه كان يقول بين الصفا والمروة : « رب اغفر
وارحم إنك أنت الأعز الأكرم » ، وكان يسعى ماشياً يسير من الصفا إلى
المروة ، ومن المروة إلى الصفا . فلما اشتد الزحام ركب ناقته وتمم سعيه راكباً
وأما طواف القدوم فانه كان فيه ماشياً كما ذكرنا لما روى جابر أنه رمل
في الأشواط الثلاثة الأول وذا لا يتصور للراكب ، وأما طواف الركن فانه

أتى به راكباً لعذر وكان يختم السعى بالمروة ، وكلما وصل إليها قرأ الأذكار والدعوات التي قرأها على الصفا ، ولما تم السعى قال للصحابة : ألا من لم يسق الهدى فليجعلها عمرة ، وفرض عليهم التحلل التام من وطء وطيب ولبس مخيط ثم أقاموا على ذلك إلى يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لولا أنى سقت الهدى لأحلت » وأما ما ورد في بعض الروايات من أنه صلى الله عليه وآله وسلم أحل فانه لم يثبت بل هو غلط ، وهنا دعا فقال : اللهم ارحم المحلقين ثلاث مرات ، والمقصرين قالها مرة ، وسأل سراقه بن مالك رسول الله ﷺ عن الفسخ والإحلال أخاص هو في هذا العام أم حكم دائم ؟ فقال : بل حكم دائم إلى الأبد ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلى ، وطلحة ، والزبير لم يحلوا من إحرامهم لما ساقوه من الهدى وأمهات المؤمنين أحلن ، وكذا فاطمة رضي الله عنها فانها لم يكن معها هدى ، وفي هذه المدة حيث أقام قصر الصلاة بمنزله ظاهر مكة ، ولما مضت أربعة أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وتضحى النهار من يوم الخميس توجه بجميع الناس إلى منى ، وأحرم إذ ذاك بالحج من كان قد أحل كل واحد من منزله ، ولما وصل ﷺ إلى منى نزل وصلى الظهر والعصرو بات بمنى ، وكانت ليلة الجمعة ، ولما ارتفعت الشمس سار من منى على طريق ضب إلى عرفة ، وكان بعض الصحابة يكبر وبعضهم يلبى ، ولم ينكر ﷺ على أحد ولما بلغ إلى نمرة - وهو موضع قريب من عرفات - وجد قبته قد ضربت هناك ، فنزل وأقام حتى زالت الشمس ، ثم أمرهم بشد رجل ناقته وركبها ، وخطب خطبة بين فيها قواعد الإسلام بأسرها ، واقتلع أساس الشرك والجاهلية بالكلية ، وذكر ما كان محرماً في جميع الملل ، وجعل أوضاع الجاهلية بأسرها ، وكل ربا كان فيها تحت قدمه ، ووصى أمته بملاطفة النساء

وأمرهم بالتمسك بكتاب الله ، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ما داموا به متمسكين
ثم سألهم ماذا تقولون ، وبماذا تشهدون ؟ قالوا : نشهد أنك بلخت الرسالة ،
وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، فرفع صلوات الله وسلامه أصبعه نحو السماء ، وقال :
« اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » ، ثم قال : ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب
ثم نزل وأمر بلالا بالأذان والإقامة ، وصلى الظهر والعصر جمعاً وقصرأ ،
وصلى معه أهل مكة كما صلى ، ثم بعد ذلك ركب وسار إلى عرفات ، وما
قرب من الصخرات السكبار استقبل القبلة ووقف على راحلته ، وأخذ
في الدعاء والتضرع والابتهال إلى أن غربت الشمس . ثم سار وقال : عرفات
كلها موقف لا يخلص مكان دون مكان ، وكان في حالة الدعاء قد رفع يديه
نحو صدره كالسائل المسكين ، ومن جملة ما حفظ عنه من دعوات ذلك
الموقف « اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخير مما نقول ، اللهم لك صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ، ولك رب تراثي ، اللهم إني أعوذ بك
من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر . اللهم إني أعوذ بك
من شر ما تجيء به الريح . اللهم أنك تسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سرى
وعلايتي ولا تخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير
الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبي . أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك
ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضريب ، من خضعت لك رقبتك
وقاضت لك عيناه ، وذلل جسده ، ورغم أنفه لك . اللهم لا تجعلني بدعائك
رب شقياً ، وكن لي رؤوفاً رحيماً يا خير المسترولين ، ويا خير المعطين ، هذا
الدعاء ثابت في معجم الطبراني ، وروى الإمام أحمد في مسنده أن أكثر دعاء
النبي صلوات الله وسلامه في يوم عرفة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
بيده الخير وهو على كل شيء قدير » ، وفي سنن البيهقي أن النبي صلوات الله وسلامه قال :

أكثر دعائي ودعاء الأنبياء في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له
إله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي
نوراً وفي بصري نوراً اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري أعوذ بك
من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر . اللهم إني أعوذ بك من
شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، ومن شر
بوائق الدهر ، ونزل من الآيات في عرفات (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ، وفي ذلك اليوم سقط رجل عن
راحلته بعرفات فأمر النبي ﷺ أن يغسل بالماء والسدر ، وأن يدرج في ثوبي
إحرامه ، وأن لا يطيب ولا يغطي رأسه ولا وجهه ، وقال : إنه يبعث ملبياً
ولما أفاض بعد تمام الغروب كان أسامة بن زيد رديفه ، وكان ﷺ يجذب
زمام الراحلة إليه بحيث إنه كان رأسها يحك الرجل وكان يقول : أيها الناس
ابتدوا مهلاً مهلاً ليس الخير في السوق ولا التقوى في العجلة ، وكان يرجع
في طريق المأزمين يقصد ما قصده في الخروج إلى مصلى العيد من طريق ،
والرجوع من أخرى ، وفي أثناء ذلك ربما أرخى زمام راحلته ليكون السير
بين السريع والبطيء ، وإذا وصل إلى مكان وسيع حركها بسرعة ، وإذا بلغ
أشراً من الأرض أرخى لها لتسير الهوينى ، وكان يلي في طريقه ، ومال إلى
بعض الشعاب ، ونقض وضوءه ثم توضأ وضوءاً خفيفاً ، فقال أسامة :
الصلاة يا رسول الله ، فقال ﷺ الصلاة أمامك ، ثم ركب حتى أتى المزدلفة
فتوضأ وضوءاً كاملاً ، ثم أمر بالأذان والإقامة وصلى المغرب قبل أن تحل
الرحال . بل قبل أن تناخ الجمال ، ولما حلوا رحلهم أقيمت الصلاة وصلى
العشاء أيضاً بغير أذان ، ولم يصل بين هذين الفرضين صلاة أصلاً ثم بات
بالمزدلفة إلى أن تنفس الصبح ولم يحكي تلك الليلة ولم يصح شيء من الأحاديث

في إحياء ليلة العيد ، ورخص لضعفاء قومه أن يتقدموا إلى منى قبل طلوع
الفجر ولا يرمون إلا بعد الطلوع ، وأما قول عائشة : إن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم أرسل أم سلمة في ليلة النحر فرمت الجمار قبل الفجر ثم مضت
فطافت طواف الركن ثم رجعت إلى منى ففي إسناده مقالات ، وأنكره
الأساطين من المحدثين ، وأرسل جمعاً من النساء فرموا الجمار في الليل لخوف
الزحام ، وللناس في هذه المسألة ثلاثة أقاويل يحوز عند الشافعي وأحمد ، رمى
جمرة العقبة بعد نصف الليل لسل ، وأبو حنيفة يقول : لا يحوز إلا بعد
طلوع الفجر ، وقال جماعة : لا يحوز للقادر إلا بعد طلوع الشمس بخلاف
المعذور فانه يحوز له ذلك ، ولما طلع الفجر صلى الصبح لأول وقتها لا قبل
الوقت كما يظنه البعض ، ثم ركب وجاء إلى المشعر الحرام وهو تل في وسط
المزدلفة عليه عمارة محدثة ، وأما قول بعض مشايخ الحديث والفقهاء : هو
جبل صغير على يسار الحاج ، وهذا المقام المشهور ليس بالمشعر فسهو منهم ،
والصحيح أن المشعر الحرام هذا المعروف بالمعمور ، ثم وقف صلى الله عليه وسلم في المشعر
الحرام واستقبل القبلة ، واشتغل بالدعاء والتضرع والابتهاال ، والتكبير ،
والتهليل إلى قريب طلوع الشمس ، ثم دفع وقد أُرْدِف الفضل بن العباس ،
وأسامة يمشى بين قریش ، وفي هذا الطريق أمر الفضل بن العباس أن يلقط له
حصى الجمار . فالتقط سبعة أخذها صلى الله عليه وسلم على كفه المبارك ، وجلا عنها
الغبار ، وقال : أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من
كان قبلكم الغلو في الدين ، وفي هذه الطريق اعترضته امرأة جميلة من خثعم
وقالت : إن أبي شيخ كبير لا يسمسك على البعير فأمرها بالحج عنه فلا حظها
رديفه الفضل بن العباس فجعل صلى الله عليه وسلم يده وقاية لئلا يتلاحظا ، واعترضته
أيضاً امرأة وأخبرت أن أمها في غاية العجز ، وأنها إن ربطت على البعير

فربما هلكت فقال رسول الله ﷺ : لو كان على أمك دين كنت تقضيه عنها أم لا ؟ فقالت : نعم كنت أقضيه قال : فدين الله أولى بالقضاء . ولما بلغ بطن محسر - وهو واد في أول منى - ساق راحلته سوقاً شديداً وأسرع الخروج منه ، وهكذا جرت العادة النبوية في جميع المواطن التي أنزل الله فيها البلاء على أعدائه ، وفي بطن محسر جرى على أصحاب الفيل ما هو في القرآن ، وسمى محسراً لأن الفيل حسر فيه عن الحركة ، وعجن عن السير نحو مكة ، وبطن محسر برزخ بين منى والمزدلفة ، وليس منهما كما أن عرنة ونمرة برزخ بين عرفة والمشعر الحرام ، وكذلك لم يزل يحرك راحلته في الطريق الوسطى إلى أن هبط في الوادي الذي تجاه جمرة العقبة ، فقام - والكعبة على يساره ومنى على يمينه ورمى الجمار سبعة - وهو راكب واحدة بعد واحدة في محل الجمرات يكبر مع كل واحدة وبعد رمي الجمار قطع التلبية وفي ركابه أسامة بن زيد وبلال أحدهما أخذ بزمام الراحلة ، والآخر يظله بمظلة ليقية حر الشمس ، ثم رجع إلى منزله بالقرب من مسجد الخيف ، وخطب خطبة بليغة بلغ صوته إلى جميع أهل الخيام في خيامهم ، وهذا من جملة المعجزات النبوية أعلم فيها بحرمة يوم النحر ، وفضله عند الله سبحانه وتعالى ، وأمرهم بتعلم مناسك الحج ، وقال لعل : لا أحج بعد عامي هذا وأمر بالسمع والطاعة للأمراء الداعين إلى كتاب الله ، وأنزل الأنصار والمهاجرين منازلهم ، وقال : لا تكفروا بعدى يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ومن جنى جناية فعلى نفسه ، وقال : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ، وودع الناس وقال : ليبلغ الشاهد منكم الغائب . ثم سار إلى المنحر - وهو موضع مشهور في وسط سوق منى - ونحر ثلاثاً وستين بدنة بيده ، و هن قيام معتمولات . وهذا عدد سني عمره

المبارك ، وأمر أمير المؤمنين علياً بنحدر تمام المائة ، فنحدر سبعة وثلاثين ، وأمره أن يتصدق بجلالها وجلودها ، وأن لا يعطى أجرة الجزار منها ، بل من ماله صلوات الله وسلامه (وأما) حديث أنس أنه نحدر سبعة فتوهم بعضهم أنه معارض لهذا الحديث ، وجوابه أن أنساً شاهد سبعة ، ثم غاب ، وجابر شاهد تمام ثلاث وستين ، وقال بعضهم : نحدر سبعة بيده المباركة إلى تمام ثلاث وستين كان طرف الحربة بيد النبي صلوات الله وسلامه وطرفها الآخر بيد على ، وبعد ثلاث وستين نحدر أمير المؤمنين سبعة وثلاثين على انفراده ، ولما فرغ من النحر أعلم أن منى كلها منحدر ، وأن فجاج مكة كلها سبل ، وأن المنحدر والمنحدر لا يختص ببعض الأماكن ، وأمر بطلب الحلاق فخلق رأسه ، ولما وقف الحلاق - وهو معمر بن عبد الله بن نضلة على رأس رسول الله صلوات الله وسلامه وأخذ موسى بيده - قال له : يا معمر أمكنك رسول الله صلوات الله وسلامه من شحمة أذنيه ، وفي يدك موسى؟ فقال معمر : نعم وإن ذلك لمن نعم الله على ومنه ، قال : أجل ، ثم أشار إلى الحلاق أن يبدأ بالجانب الأيمن فلما فرغ منه قسم الشعر على من حضر فى ذلك الجانب ، ثم أشار إليه أن يحلق الجانب الأيسر ، فأعطى جميع ذلك لأبى طلحة ، وكان قد أخذ نصيباً من الجانب الأيمن قبل كل أحد ، ولما فرغ من الحلق - وكان قد أصاب كل أحد شعرة أو شعرتين - قلم أظفاره وقسم ذلك أيضاً على الناس ، وحلق أكثر الصحابة ، وقصر أقلهم ؛ ثم بعد ذلك سار إلى مكة قبل الزوال فطاف ، وهذا الطواف يسمى طواف الإفاضة وطواف الزيارة ، وطواف الصدر ، وما ورد فى بعض الأحاديث من أنه صلوات الله وسلامه آخر طواف الزيارة إلى الليل ، فشايخ الحديث يقولون : هو غلط ، ولما فرغ من الطواف جاء إلى بئر زمزم فوجدهم ينزعون الماء ، فقال : لولا أنى أخشى أنكم تغلبون لنزعت معكم ، وأعنتكم على السقاية ، فعرضوا عليه

دلوأ ، فتناولها منهم وشرب قائماً ، وشربه قائماً : إما لبيان جواز ذلك ، وإما للضرورة والحاجة ، وقد كان نبي الله في هذا الطواف راكباً راحلته وسبب الركوب قال بعضهم : كثرة الازدحام أو ليكون مشرفاً على الناس ليراه الحاضرون ، فيتعلموا الطواف وآدابه ، وقال بعضهم : كان في رجله المباركة عارض يؤذيه ، فركب ضرورة ورجع من حينه إلى منى ، وصلى الظهر بها كذا في الصحيحين ، وفي صحيح مسلم أنه صلى الظهر بمكة ، وأكثر العلماء يرجحون أنه صلى الظهر بمكة ، لأن هذا الحديث رواه صحابيان جابر وعائشة ، وذاك رواه ابن عمر (الثاني) أن عائشة أخص وأعلم بأحواله ، وبعضهم يرجح حديث ابن عمر لأنه متفق عليه ، وليس فيه اضطراب ، ورجال إسناده أعظم وأجل ، ولما رجع إلى منى بات بها وأقام في اليوم الثاني إلى أن زالت الشمس فسار على قدميه قبل أداء صلاة الظهر نحو الجرة الأولى ، وهي التي تلي مسجد الخيف ورمى سبعا يكبر مع كل ، ولما فرغ من الرمي تقدم قليلاً إلى السهل ، واستقبل القبلة ، ودعا قدر سورة البقرة ، ولما فرغ من الدعاء أتى الجرة الوسطى ، ورمى كما فعل في الأولى ، وأخذ على الطريق اليسرى ، ومشى خطوات نحو وسط الوادي ، ودعا قدر ما دعا في الأولى ، وسار نحو جرة العقبة واستقبلها ، وجعل السكبة على يساره ، ومنى على يمينه ، ورمى ورجع من حينه ، ولم يشتغل بالدعاء ، ولهذا وجهان : (أحدهما) أنه كان زحام عظيم ، ولم يتيسر الوقوف (الثاني) أن دعاء هذه العبادة كان قد أتى به في صلب العبادات ، والدعاء في صلب العبادة أفضل منه في غير العبادة ، وكذا دعاء الصلاة غالباً كان في آخر التشهد قبل السلام ، ولم يتعجل في النفر بل أقام ثلاثاً ، وبعض الرابع السبت والأحد والاثنين ، وبعد الزوال من يوم

الثلاثاء رمى وسار إلى المحصب - وهو موضع خارج مكة يقال له الأبطح أيضاً - فنزل به حيث كان أبو رافع المقدم على أحماله قد نزل ثمة ، وضرب الخيمة بحسب الاتفاق لآعن أمر فنزل ﷺ وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء هناك ونام قليلا ، فلما استيقظ ركب وسار إلى مكة وطاف للوداع ولم يرم ، وفي هذه الليلة رغبت عائشة في العمرة فأجازها ليلا ، وأرسل معها عبد الرحمن إلى التنعيم - وهو خارج عن الحرم - فأحرمت وجاءت إلى مكة وتتمت عمرتها قبل مضي الليل ، ورجعت إلى المحصب فقال رسول الله ﷺ فرغتم؟ فقالوا : نعم ، فأمر بالرحيل فرحلوا بأجمعهم وطاف رسول الله ﷺ طواف الوداع ، ثم توجه إلى المدينة . واختلف العلماء في التحصيب (قال بعضهم : أمر اتفاقى ، ولم يكن من السنن ولا من الآداب) وقال بعضهم هو من سنن الحج وتمام المناسك لأن النبي ﷺ قال : إنا نازلون غداً بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر ، والمراد بخيف بنى كنانة المحصب لأن قريشاً وبنى كنانة تعاهدوا وتحالفوا هناك على أن لا يخالطوا بنى هاشم ، ولا يناكحوهم ، ولا يواصلوهم حتى يسلموا لهم رسول الله ﷺ فقصد ﷺ أن يظهر شعائر الإسلام حيث أظهروا شعائر الكفر ، والله أعلم .

﴿ فصل فى دخول الكعبة والوقوف بالملتزم فى طواف الوداع ﴾

قال جماعة من العلماء والفقهاء : لما حج رسول الله ﷺ دخل الكعبة ودخل الكعبة من سنن الحج ، والأحاديث والآثار دالة على أن دخول الكعبة لم يكن فى هذه السنة بل فى عام فتح مكة ، وفى الصحيحين قال ابن عمر دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقه لأسامة حتى أناخ بفناء الكعبة فدعا عثمان بن طلحة بالمفتاح فجاء ، ودخل النبي ﷺ وأسامة ، وبلال ، وعثمان بن طلحة ، فأجافوا عليه الباب ملياً ، ثم فتحوه فبادرت الناس ، قال

ابن عمر : فوجدت بلالا على الباب فقلت : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال : بين العمودين المقدمين قال : ونسيت أن أسأله كم صلى ؟ وهذا الحديث صريح في أن دخول البيت كان عام ففتح مكة ، وقال : إني دخلت البيت وددت أني لم أكن دخلت إني أخاف أن أكون قد أتعبت أمتي من بعدي وسألت عائشة دخول البيت فقال ﷺ : صلى في الحجر ركعتين فكأنما صليت في الكعبة (وأما) الوقوف في المأتم ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قائماً بين الركن والباب ، واضعاً صدره على جدار الكعبة باسطاً ذراعيه وكفيه ، وهذا يحتمل أن يكون عام الفتح ، يحتمل أن يكون عام الحج ، وكأنه كان في العامين ، لأن مجاهداً والإمام الشافعي وجماعة من العلماء قالوا بأنه يستحب بعد طواف الوداع أن يقف المأتم ويدعو لأنه ما وقف به أحد ودعا إلا استجيب له ، ولما صلى رسول الله ﷺ الصبح تجاه الكعبة قرأ في الصلاة سورة ق والطور ثم توجه إلى المدينة ، ولما وصل إلى منزل الروحاء ليلة الجمعة رأى جمعاً فسلم عليهم وسألهم عن شأنهم . فقالوا : نحن مسلمون . فمن أنت ؟ قال : أنا رسول الله فجاءت امرأة وقدمت طفلاً وقالت : أصبح حج هذا الطفل ؟ قال : نعم وتثاين أيضاً ، ولما بلغ إلى ذي الحليفة نزل بها وبات فلما أصبح سار ، ولما شاهد المدينة كبر ثلاثاً ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخل المدينة .

(فصل) اعلم أن الذبائح التي تحصل بها القرية ثلاثة أنواع (أحدها) للهدى (الثاني) الأضحية (الثالث) العقيقة ، والنبي ﷺ كان يرسل للهدى الغنم الإبل ، وكان يهدي عن أمهات المؤمنين البقر ، ولما حج ساق الهدى معه

ولما اعتمر أيضاً ساق معه الهدى ، وكان إذا قام في بعض الأعوام أرسل الهدى مع من يذهب إلى مكة ، ولم يكن في حالة إرسال الهدى يحرم عليه شيء ، وكان من عادته إذا أهدى غنماً أن يقلدها ، وإذا أهدى إبلاً قلدها وأشعرها ، وقد تقدم بيان ذلك ، وكان إذا أرسل الهدى على يد أحد أمره إذا أشرف شيء على الهلاك أن يذبحه ويصبغ نعله بدمه ويضرب به صفحته ولا يأكل منه هو ولا من في تلك الصحبة وإن حضر أجنب قسم المذبح بينهم ، وكان يهدى البدنة والبقرة عن سبعة ، وكان يذبح ركوب الهدى وقت الحاجة ما لم يجد غيره ، وينحر الإبل قائمة معقولة اليسار ، ويقول عند النحر « بسم الله والله أكبر » وكان إذا ذبح الغنم جعل قدمه المبارك على صفحتها وأباح لأمنه أن يأكلوا من هديهم ويتزودوا ، وكان يقسم الهدى حيناً ، وحيناً يقول : من له حاجة فليقطع لنفسه ، واستدل بعضهم بهذا على جواز الانتهاب في النحر ، وما ساق من الهدى في العمرة نحره عند المروة إليه ، وما ساق في الحج نحره في منى ، ولم ينحر أبداً إلا بعد صلاة العيد ، ولم ينحر قبل يوم العيد أبداً ، وهذه الأمور مرتبة هكذا في يوم العيد رمى جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف .

(فصل في قربان رسول الله ﷺ)

لم يترك الأضحية قط ضحى بكباشين من الضأن ذبحهما بعد صلاة العيد وقال : من ذبح قبل صلاة العيد فليعد فانها ليست بقربة وإنما هي شاة لحم حصلها لأهله وقال : يحزى من الضأن ما كان لسنة ومن غيره ما كان لسنتين فصاعداً ومجموع يوم العيد وثلاثة أيام التشريق أيام ذبح . ومن السنة النبوية أن من قصد الأضحية في يوم العيد أن لا يأخذ من شعره إذا هل هلال ذى الحجة ولا من ظفره وأن يكون كالبحر وأن يختار لأضحيته السمين

سالم من العيوب لا العوراء ولا العمماء ولا معضوبة الأذن ولا مقطوعتها .
كان من العادة النبوية أن يذبح الضحايا في المصلى قال جابر : حضرت
رسول الله ﷺ لما فرغ من الصلاة خطب ولما فرغ من الخطبة ونزل عن
المنبر جاءوا بكبش فذبحه ﷺ بيده وقال : « بسم الله والله أكبر هذا على
رغمي لم يضح من أمتي » وثبت في سنن أبي داود أنه ضحى بكبشين أقرنين
أملحين موجوعين فلما وجههما قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم منك ولك
عن محمد وأمة بسم الله والله أكبر ثم ذبح » وأمر الناس بالإحسان في الذبح
وقال : « إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة
وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليجد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » ومن
الإحسان أن لا يذبح بحضور البعض وأن لا يشرع في السليخ إلا بعد
كمال الموت .

﴿ فصل في السنة النبوية في العقيقة ﴾

العقيقة اسم أول شعر نبت على رأس الطفل لأنه يعق اللحم والجلد
أى يشقهما ويخرج ، وكان الرسول ﷺ يكره هذا الاسم سئل عن العقيقة
قال : لا أحب العقوق فقالوا : نجعل نسكا عن الولد ؟ فقال : من أحب
أن يؤدى نسكا عن الولد ، فعن الغلام شاتان وعن الجارية شاة ، وورد في
الحديث الصحيح « أن الغلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق
رأسه ويسمى » قال الإمام أحمد : معنى الحديث أن الولد محبوب عن أن
يشفع لوالديه ما لم يؤدى عنه العقيقة . وقال بعضهم : هو ممنوع ومحبوس
عن الخيرات والزيادات ما لم يؤدوا عنه العقيقة ، ووقع في بعض الروايات

بدل - ويسمى - ويدعى ، وقال قتادة : تفسيره إن الشاة إذا ذبحت أخذ قليل من صوفها وجعل في الدم السائل من المذبوح ثم وضع على رأس الطفل ليسيل من الدم على رأسه مثل الخيط ثم يغسل ويحلق رأسه (والصواب) أن هذا تحريف من بعض الرواة لأن النبي ﷺ علق عن الحسن والحسين بشاتين ولم يفعل ذلك وهذا الفعل بعوائد الجاهلية أشبهه والله أعلم . وصح أنه ﷺ علق عن الحسن بشاة . وعن الحسين بشاة وأمر فاطمة بحلق رأسه وأن تتصدق بوزن شعره فضة ، ولما وزن كان قدر درهم ولكن حديث : عن الغلام شاتان أقوى وأصح لأنه يرويه جماعة من أكابر الصحابة ، وأيضاً الفعل يدل على الجواز والقول أقوى من الفعل وأتم لأن الفعل يحتمل الاختصاص ، وأيضاً الفعل يدل على الجواز والقول على الاستحباب ، وأيضاً قصة ذبح العقيقة عن الحسن والحسين متقدمة على حديث أم ذر لأنها عام أحد والعام الذي بعده ، وحديث أم ذر عام الحديدية ، وأيضاً الحق جل شأنه فضل الذكر على الأنثى في الميراث وفي جميع الأمور وإذا يقتضى الفرق في هذا الباب أيضاً ، وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ ذبح العقيقة عن نفسه بعد النبوة ولكن في إسناده ضعف ، وقال أبو رافع : رأيت النبي ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة ، وأما تسمية المولود فالسنة أن يكون في اليوم السابع ، وأما الحتان فابن عباس رضى الله عنهما يقول : كانت الصحابة يختنون أولادهم بعد البلوغ ، وقال مكحول : ختن إبراهيم ﷺ ابنه إسحاق عليه السلام في اليوم السابع ، وإسماعيل عليه السلام في السنة الثالثة عشر فبقيت السنة في ولد إسماعيل أن يختنوا في الثالثة عشر ، وكان من العادة النبوية أن يسمى الولد باسم حسن ، وقال : إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله ، وعبد الرحمن ،

وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة ، وقال إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، وقال : لا تسمين غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجيحاً ، ولا أفلح ، فإنك تقول : أثم هو؟ فلا يكون ، فيقول : لا ، إنما هن أربع فلا تزيدن عليها ، وكان إذا سمع اسماً مستكرهاً غيره باسم حسن ، غير اسم عاصية ، وقال : إنما أنت جميلة ، وبرة سهاها جويرية ، وقال لشخص ما اسمك؟ فقال : أصرم فقال : بلى أنت زرعة ، وقال آخر : حزن ، قال أنت سهل ، وسمى حرباً سليماً ، وسمى المضطجع المنبعث ، وبنو الرتبة بنو الرشدة ، وشعب الضلال سهاه شعب الهدى ، وغير أسماء كثيرة غير ما ذكرنا ، وأمر الأمة بتحسين الأسماء ، وفي هذا تنبيه على أن الأفعال ينبغي أن تكون مناسبة للأسماء لأن الأسماء قوالب الأفعال ودالة عليها . لا جرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما ارتباط وتناسب ، وأن لا يكون بينهما تعلق بوجه من الوجوه ، لأن الحكمة تأبى ذلك ، والواقع المشاهد غير ذلك وتأثير الأسماء في المسميات والمسميات في الأسماء ظاهر وبائن ، وإلى هذا المعنى أشار القائل :

وقل إن أبصرت عينك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه
وكان رسول الله ﷺ يأخذ تعبير الرؤيا من معاني الأسماء كما فعل مرة في منام رآه قال : رأيت في منامى كأتى في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا ، والعاقبة لنا في الآخرة ، وأن ديننا لله طاب يعني أن الذي اختاره الله لهم قد أرطب وطاب ، ومرة أخرى أشار أن تحاب شاة ، فقام شخص ليحلبها . قال : ما اسمك؟ قال : مرة . قال أقعد ، فقام آخر فقال : ما اسمك؟ قال : حرب . قال : أقعد . فقام آخر فقال : ما اسمك؟ فقال : يعيش . قال : احلب ، وكذا الطرق والمنازل المسكروحة

الأسماء كان يتجنب عبورها والنزول بها لسبب ارتباط بين الأسماء ومسمياتها ، وكان إياس بن معاوية إذا رأى شخصاً قال ينبغى أن يكون اسمه كذا ، وقلها يخلط في ذلك . ولما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم أشرف الخلق وأكملهم ، وأخلاقهم وأعمالهم أشرف الأخلاق والأعمال ، وأسماؤهم أشرف الأسماء ، فلهذا الوجه أمر صلى الله عليه وسلم بالتسمي بأسمائهم ، وفي سنن النسائي « تسموا بأسماء الأنبياء » ، وأما الكنية ففيها نوع إكرام وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيباً أبا يحيى ، وأمير المؤمنين علياً أبا تراب مع كنيته الأولى أبو الحسن وكانت أحب كناه إليه ، وكنى صنو أنس الطفل أبا عميرة ولم يثبت في المنع عن التكني شيء إلا حديث « تسموا باسمي ولا تسكنوا بكنتي » وللهاء في هذه المسألة أقوال : (فبعضهم) يقول : لا يجوز أن يتكنى أحد بأبي القاسم مطلقاً ، سواء كان اسمه محمداً أو غير محمد ، وهذا القول منقول عن الشافعي (القول الثاني) : أنه لا يجوز الجمع بين اسمه صلى الله عليه وسلم وكنيته كما ورد في حديث الترمذي « من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنتي ومن تسكنى بكنتي فلا يتسمى باسمي » وهذا الحديث مقيد ومفسر لذلك الحديث (القول الثالث) : أن الجمع بين الاسم والكنية جائز ، وهذا مذهب مالك واستدلالة بحديث أمير المؤمنين علي حيث قال : « يا رسول الله إن ولد لي من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنتك ؟ قال : نعم قال علي : وكانت رخصة لي » صححه الترمذي ، وحديث عائشة قالت : « جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إني قد ولدت غلاماً فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم فذكر لي أنك تذكره ذلك . فقال : ما الذي أحل اسمي وحرّم كنتي ، أو ما الذي حرّم كنتي وأحل اسمي ؟ » وهذه الطائفة تقول : أحاديث المنع منسوخة بهذين الحديثين (القول الرابع) أن التكني بأبي القاسم كان

ممنوعاً في حياة رسول الله ﷺ ، وأما بعد وفاته فجائز لأن سبب المنع أن شخصاً بالبتيع نادى شخصاً ، وقال : يا أبا القاسم فالتفت رسول الله ﷺ فقال المنادى : يا رسول الله أنادى غيرك فقال : « تسموا باسمي ولا تسكنوا بكنيتي » فيكون مخصوصاً بزمانه ﷺ ، وحديث علي يشير إلى هذا المعنى ، وقال بعض العلماء ممن لا يعرج على قوله : ثبت النهي عن التكني بكنية رسول الله ﷺ فلا يجوز التكني بكنيته ، وكذا التسمي باسمه ، فلا ينبغي أن يجوز ، والصواب من هذه المقالات أن التسمي باسمه جائز ، بل مستحب لقوله : « تسموا باسمي » والتكني بكنيته ممنوع ، والمنع كان في حياته أقوى وأشد ، والجمع بين اسمه وكنيته ممنوع ، والجواب عن حديث عائشة رضي الله عنها أنه غريب فلا يعارض الصحيح ، وفي حديث علي نظر ومع ذلك ثبت أنه قال : رخصة لي وذا دلالة بقاء المنع ، والله تعالى أعلم .

(فصل) ونهى رسول الله ﷺ أن يسمى العنب كرمًا ، لأن الكرم قلب المؤمن ، وفي هذا النهي وجهان : (أحدهما) أن النهي عن تخصيص العنب بهذا الاسم (الوجه الثاني) المنع عن تسمية العنب كرمًا ، لأن تسمية الشجرة التي هي أصل أم الخبائث بالكرم والخير يؤدي إلى مدح المحرمات وتهيج النفوس إلى ذلك والله أعلم ، ومنع ﷺ أن تسمى العشاء العتمة ، وقال : لا تغلبنكم الأعراب على اسم صارتكم ألا وإنها العشاء وأنهم يسمونها العتمة ، وورد في حديث آخر : « لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » قال بعضهم : المنع منسوخ بالجواز (وقال) بعضهم : الجواز منسوخ بالمنع ، والصواب أنه ليس بين الحديثين تعارض ، بل لم ينه أن يطلق اسم العتمة بالكلية ، بل نهى أن يهجر اسم العشاء ، ويكتفى بالعتمة ولو سماها بالعشاء تارة ، وبالعتمة تارة جاز ، والله أعلم .

(باب أذكار النبي ﷺ)

قالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه يعني في جميع أوقاته ، وكان لا يعوقه شيء عن ذكر الحق سبحانه لأن جميع كلامه كان في ذكر الله ، والأمر والنهي والتشريع للأمة ، وكله ذكر وبيان الأسماء والصفات ، وأحكام الله تعالى ، والوعد والوعيد ، وكل هذا ذكر ، والثناء والدعاء والتمجيد ، والتحميد والتسبيح ، والسؤال والترهيب والترغيب بالكلية ذكر الحق سبحانه ، وحال سكوته أيضاً كان قلبه وضميره في الذكر فتكون أنفاسه مشتملة على الذكر ، وحالة قيامه وقعوده ورقوده ، وذهابه وإيابه ، وجميع حالاته لا ينفك فيها عن ذكر الله ، وكان إذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » وروت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ كان إذا هب من الليل كبر عشراً وحمد عشراً ، وقال : سبحان الله وبحمده عشراً ، وقال : سبحان الملك القدوس عشراً ، واستغفر الله عشراً ، وهلل عشراً ، ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا ، وضيق يوم القيامة عشراً ، ثم يفتح الصلاة ، وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ قال : لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذني وأسألك رحمتك اللهم زدني علماً ولا تنزع قلبي بعد إزهديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » وهذا الخبران ثبتا في سنن أبي داود ، وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « من تعار من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ، وقال ابن عباس : بت ليلة في بيت خالتي ميمونة « فرأيت رسول الله ﷺ

لما استيقظ من النوم نظر إلى السماء وقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب) إلى آخر السورة ، ثم قال : اللهم أنت نور السموات والأرض ومن فيهن فلك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، فلك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله ، روت عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ من نومه قال : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وكان في بعض الأحيان يفتح الصلاة بهذا الدعاء ، وكان إذا فرغ من صلاة الوتر قال : « سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس » وكان إذا أراد الخروج من بيته يقول : « بسم الله توكلت على الله اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أجهل أو يجهل علي » ، وقال ﷺ : من قال يعني إذا خرج من بيته : « بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له : كفيت ووقيت وهديت وتنحي عنه الشيطان » ، وقال ابن عباس : لما بت في بيت خالتي ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من حجرته يريد صلاة الصبح في المسجد يقول : « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل من

خلفي نوراً ومن أمامي نوراً واجعل من فوقى نوراً ومن تحتي نوراً اللهم اغطني نوراً » قال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد خرج من بيته يريد الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك فإني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إلا قيض الله له سبعين ألف ملك يسألون له الرحمة وأقبل الله بوجهه الكريم عليه حتى يفرغ من صلاته » . وفى سنن أبي داود من قال عند دخول المسجد : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وساطنائه القديم من الشيطان الرجيم إلا قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم » ، وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك » وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال اللهم صل على محمد وسلم ، اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ؛ وكان إذا صلى الصبح جلس فى مصلاه إلى طلوع الشمس ، ثم صلى ركعتين : وورد فى فضل ذلك أحاديث كثيرة تزيد على عشرة ، وقال . هذا عمل يعدل حجة وعمره تامة تامة ، وكان يقول عند الصباح « اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور أصبح الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير رب أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده ، وأعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، وكان يقول عند المساء « أمسينا وأمسى الملك لله » إلى آخره .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله علمنى كلمات أقولها

في الصباح والمساء ، قال : قل : « اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » قل هذا عند الصباح والمساء ووقت النوم ، وقال : ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء » وقال : من قال حين يمسي وإذا أصبح : « رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً كان حتماً على الله أن يرضيه » ، وقال : من قال حين يصبح أو يمسي : « اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أعنتك الله ربعة من النار ومن قالها مرتين أعنتك الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعنتك الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعاً أعنتك الله من النار » وقال : من قال حين يصبح : « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » ولم يكن ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحة ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما بعده » وكان إذا صار المساء يقول : أمسينا وأمسى الملك لله إلى آخره . وقال لبعض بناته قولي :

حين تصبحين : سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فان من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح . وقال لبعض الصحابة : ألا أعلمك كلمات أن قلتن أبدل الله همك وأدى دينك ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . قال الراوى : ففعلت فأبدل الله تعالى همى وغمى فرجا وقضى دينى ، وقال : من قال عند الصباح والمساء . اللهم إني أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتى على نعمتك وعافيتك وسترك كفاه الله هموم الدنيا والآخرة . وجاء شخص إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني تصيبني آفات كثيرة فقال ﷺ قل عند كل صباح : بسم الله على نفسى وأهلى فانك لا تصاب . وقال لفاطمة رضى الله عنها : ما الذى يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حى يا قيوم بك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . وقال : من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسي « حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » سبعاً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة . وقال ﷺ : من قال فى أول النهار : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ماشاء الله وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها فى أول الليل لم تصبه مصيبة حتى يصبح »

وقال ﷺ : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر إلا أنت » من قالها في أول النهار موقفا بها ثبات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها ثبات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ، وقال : ومن قال حين يصبح وحين يمسي : « سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال : مثل ما قال أو زاد عليه » وقال : من قال : « إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل ﷺ وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه له عشر درجات وكان في حوز من الشيطان حتى يمسي وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح ، ومن قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وثبت في مسند الإمام أحمد « أن النبي ﷺ علم زيد بن ثابت هذا الدعاء وأمره بالمواظبة على ذلك كل صباح ، ليبيك اللهم ليبيك وسعديك والخير كله في يديك ومنك وإليك اللهم ما قلت من قول أو حلفت من حلف أو نذرت من نذر فشيئتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير اللهم ما صليت من صلاة فعلي من صليت وما لعنت من لعن فصل من لعنت أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فاني على عهدك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً

أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد
وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك
حق ولقاءك حق والساعة حق آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من فى القبور
وإنك أن تكفى إلى نفسى تكفى إلى ضعف وعورة وخطيئة وإنى لا أثق
إلا برحمتك فاغفرلى ذنوبى كلها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب على إنك
أنت التواب الرحيم « وكان يقول عند الصباح : « اللهم إنى أصبحت
لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو أصبح الأمر بيد غيرى
وأصبحت مرتبها بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ
بى صديق ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ
علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا
وبك نموت وإليك المصير اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات
والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر
نفسى ومن شر الشيطان وشركه سبحانه الله وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله
ها شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد
أحاط بكل شيء علماً فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى
السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج
الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون اللهم إنى أسألك
العفو والعافية فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى
ودنياى وأهلى ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى اللهم احفظنى من بين
يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال
من تحتى اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وحملة
عرشك (١) وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك

(١) يلاحظ أن كلمة « حملة عرشك » مكررة فى جميع النسخ التى بايدينا .

قَلِّك الحمد ولك الشكر أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، وكان يقول :
اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله
لا إله إلا أنت اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء
القضاء ، وشماتة الأعداء ، وأعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن
نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وأعوذ بك من زوال نعمتك
ومن تحول عافيتك ونجاة نعمتك ومن جميع سخطك اللهم إني أعوذ بك
من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك
توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا
أنت اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر
قلبي ومن شر عيني اللهم إني أعوذ بك ومن التردى ومن الغرق والحرق والهدم
وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك من أن أموت
في سبيلك مديراً وأعوذ بك من أن أموت لديغاً أعوذ بكلمات الله التامات
من شر غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون اللهم
ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء
أعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله
الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبرأ اللهم اغفر لي
جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ، اللهم أصلح لي ديني الذي
هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي
فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من
كل شر اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رب أعني ولا تعن علي

وانصرني ولا تنصر على وامكر لي ولا تمكر على واهدني ويسر لي الهدى
وانصرني على من بغى على رب اجعلني لك شاكراً لك ذاكراً لك رهاباً لك
مطواعاً لك محبباً إليك أو اها منيباً رب تقبل توبتي وأجب دعوتي واغسل
حوبتي وثبت حجتي وسدد لسانى وأيد قلبى واسلل سخيمة صدرى اللهم
مارزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب اللهم مارزوت غنى مما أحب فاجعله
فراغاً لى فيما تحب اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك
ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا
ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل
ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم
بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيراً لى وتوفى إذا
علمت الوفاة خيراً لى وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة
الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفد
وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد
الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك فى غير ضراء
مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهدين اللهم
اجعلنى أعظم شكرك وأكثر ذكرك وأتبع نصحك وأحفظ وصيتك اللهم
إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر اللهم طهر
قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة فانك
تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى
واجعل علانيتى صالحة اللهم إنى أسألك من صالح ما توفى الناس من الأهل
والمال والولد غير الضال والمضلل اللهم اهدنى وسددنى اللهم رب السموات

السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنا الدين واغننا من الفقر يا أرحم الراحمين اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . ومهما أمكن ينبغي أن يصلى على النبي ﷺ ، وكيفيات الصلاة المنقولة عن حضرتته ﷺ كثيرة ذكرناها في كتاب الصلاة والبشر (أحدها) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد السلام عليك ورحمة الله وبركاته (الكيفية الثانية) اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم صل علينا معهم اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك علينا معهم صلوات الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الأمي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وجميع ما عدا من الكيفيات ثمان وأربعون مروى منها عن سيدنا رسول الله ﷺ ست وثلاثون والباقي من الصحابة والتابعين . وللعلماء خلاف في أيها أفضل ، قال الشيخ محي الدين النواوي في كتاب الأذكار : أفضلها أن يقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ،

لأنها جامعة للعبارات التي وردت في الأحاديث الصحاح (وقال) الإمام إبراهيم المروزي : أفضلها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كلما ذكره الذاكرون ، وكلما سمها عنه الغافلون .

(فصل) كان صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوباً جديداً قرأ هذا الدعاء « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » وقال : « من لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من لبس ثوباً جديداً فقال : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأتجمل به في حياتي ، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في حفظ الله وفي كنف الله وفي سبيل الله حياً وميتاً » وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أنه إذا استجد ثوباً سماه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداءً ، ورأى صلى الله عليه وسلم على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ثوباً فقال : أجديد هذا أم غسيل ؟ فقال : بل غسيل ، فقال : لبس جديداً وعش حميداً وميت شهيداً .

(فصل) كان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى بيته قال : « الحمد لله الذي كفاني وآوانى والحمد لله الذي أطعمني وسقاني والحمد لله الذي من علي أسألك أن تجبرني من النار » وقال : إذا وج الرجل بيته فليقل « اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهل بيته » وقال أنس بن مالك : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازياً في سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يردده بما نال

من أجر أو غنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه
فدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام
فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى ، وكان ﷺ يقول إذا دخل الرجل
بيته وذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال : الشيطان لا مبيت لكم
ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم
المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يقول عند دخول الخلاء : اللهم إني أعوذ بك
من الخبث والخبائث وبأمر بقوله ، وفي حديث آخر « لا ينبغي أن يمجر
أحدكم إذا أراد دخول الخلاء أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس
النجس الخبيث الخبث الشيطان الرجيم » ومر رجل به ﷺ وهو يقول
فسلم عليه فلم يرد عليه ، وقال : إن الله يبغض العبد إذا - يعني الكلام في الخلاء -
وحالة البول - وكان ﷺ يقول : لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بيول
ولا بغائط ، وروى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، وأما حديث الرخصة
الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة أنها قالت : ذكر عند رسول الله
ﷺ ، إن جماعة كرهوا استقبال القبلة حالة البول فقال منكر لذلك :
أو قد فعلوا ؟ فليجعلوا القبلة تجاه أديارهم ، قال بخاري إمام أهل الحديث
يطعن فيه ولم يثبت أنه أحد من الأئمة الكبار وكلام أحمد لا يقتضي إثباته وتحسينه
وأيضاً هو منقطع ومرسل وبعض رواته ضعيف ، وكان إذا خرج من
الخلاء قال : الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ، وأما أذكار الوضوء
فقد ذكرناها في أول الكتاب .

﴿ فصل في أذكار الأذان ﴾

شرح لنا ﷺ خمسة أشياء (أحدها) أن السامع يقول مثل ما يقول

المؤذن إلا في لفظ حي على الصلاة حي على الفلاح فانه يبدل ذلك بلا حول ولا قوة إلا بالله ، والحديث الذي ورد في الجمع بين الحوالة والحيعة لم يصح وكذا ما ورد في الاختصار على الحيعة (الثاني) أن يقول رضىت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وهذا القول يوجب المغفرة (الثالث) أن يصلى على الرسول ﷺ بعد إجابة المؤذن (الرابع) أن يدعو بهذا الدعاء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد (الخامس) أن يدعو لنفسه بما فيه صلاح آخرته ودنياه ، وفي بعض الروايات في مسند الإمام أحمد « من قال بعد أذان المؤذن اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عنى رضا لا تسخط بعده ثم دعا استجيب له » وقالت أم سلمة : « علمنى رسول الله ﷺ أن أقول وقت أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك ، وأصوات دعائك فاغفر لى » ، وقال أبو أمامة : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الأذان قال « اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى توفنى عليها ، وأحبنى عليها ، واجعلى من صالح أهلها عملاً يوم القيامة » وكان ﷺ يقول : لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة ، قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة .

(فصل) فى عشر ذى الحجة كان ﷺ يكثّر الدعاء فيه ويأمر بالتهايل والتكبير والتحميد ، وجاء فى بعض الروايات أنه ﷺ يكبر دبر كل صلاة من الفرائض من صبح عرفة إلى عصر أيام التشريق ، ويقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، وهذا الحديث وإن لم يبلغ إسناده درجة الصحة ، لكن عمل أهل الإسلام عليه ، ونقل عن

الإمام الشافعي أنه لو زاد على هذا فقال الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله والله أكبر يكون حسناً .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربّي وربك الله ، وفي بعض الأحيان كان يقول « الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ربنا وربك الله ، وفي سنن أبي داود أن قتادة بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك آمنت بالذي خلقك آمنت بالذي خلقك الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ، وفي إسناده ضعيف .

﴿ فصل ﴾ كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً سمى الله ، وكان يأمر بذلك ، وقال « إذا أكل أحدكم فليذكر الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره » وعند المحققين من أهل الحديث أن التسمية في أول الطعام واجبة لأن أحاديث الأمر صحيحة سالمة من المعارضة . (أما) إن كان في جماعة فهل تجزى تسمية أحدهم أم لا ؟ (قال) جماعة من العلماء : تجزى ، وحديث حذيفة لا يوافق قولهم ، لأنه قال : « حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ بيدها ثم جاء أعرابي فأخذ بيده وقال ﷺ إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده إن يده لفي يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله وأكل » وثبت في سنن الترمذي من حديث

عائشة أنها قالت : أكل النبي ﷺ الطعام مع ستة من الصحابة فدخل أعرابي بخته ، وأكل الطعام في لقمتين فقال ﷺ : لو أن هذا الأعرابي قال : بسم الله لكفناكم هذا الطعام » ومحقق أن النبي ﷺ كان قد سمي الله وكذلك أصحابه ، فلو أن تسمية الواحد تكفي عن الباقي لما احتيج إلى تسمية الأعرابي ، وورد في حديث ضعيف « من نسي أن يسمي على طعامه فليقرأ قل هو الله أحد إذا فرغ » وكان إذا فرغ من الطعام يقول « الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » وأحياناً كان يقول « الحمد لله الذي كفانا وآوانا » وكان ﷺ يقول : من أكل أو شرب فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ماتقدم من ذنبه » وأحياناً كان يقول : « اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت » وكان يقول في بعض الأحيان : « الحمد لله الذي منّ علينا وهدانا والذي أشبعنا وآوانا وكل الإحسان آتانا » وثبت في حديث آخر أنه ﷺ قال « إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » وكان ﷺ إذا شرب الماء شربه على ثلاثة أنفاس ، يقول في أول كل نفس : بسم الله ، وفي آخره الحمد لله ، ونهى أن يتنفس في الإناء .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ في بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول : هل عندكم طعام فإن أحضروا شيئاً وكان موافقاً لمزاجه أكل وإلا ترك وما عاب طعاماً قط ، إن اشتهى أكل وإلا تركه ، وكان يمدح الطعام في بعض الأحيان كتموله : نعم الإدام الخل وغير ذلك ، وإن لم يحضروا شيئاً ينوى الصيام ويتمول : إني اليوم صائم ، وكان يتكلم على الطعام ، ويكرر عرض الطعام على الضيفان كما هو عادة الكرام كما ورد في حديث أبي هريرة وقصة شرب

اللبن ، وقوله ﷺ : اشرب فشرب ، فقال : اشرب فشرب فقال : اشرب فشرب ، ولم يزل يكرر حتى قال : لا والذي بعثك بالحق نبياً لا أجد له مسلماً ، وكان ﷺ إذا أكل طعام قوم دعا لهم فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم ، وفي بعض الأحيان كان يقول « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » وصنع أبو الهيثم بن التيهان طعاماً فدعا النبي ﷺ وأصحابه فلما فرغوا قال : أثيبوا أخاكم ، قالوا يارسول الله وما إثابته قال إن الرجل إذا دخل بيته وأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته ، وكان ﷺ يقول : إذا أكلتم طعاماً فأذيبوه بذكر الله عز وجل والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا به قلوبكم ، وأخذ ﷺ بيد مجذوم فوضعا معه في القصعة فقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكلاً على الله ، وثبت أنه قال « فر من المجذوم كما تفر من الأسد » والتطبيق بينهما ظاهر ، وكان يأمر بالأكل باليمين ، وينهى عن الأكل بالشمال لأن الشيطان يأكل ويشرب بشماله ، وشكروا إليه فقالوا : إننا نأكل ولا نشبع قال : فلعنكم تفرقون ؟ قالوا نعم . قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه .

﴿ فصل في السلام والآداب النبوية في هذا الباب ﴾

ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال « أفضل الإسلام وخيره إطعام الطعام وأن تقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف » وفي الصحيح أيضاً « لما خلق الله آدم قال له : اذهب فسلم على أولئك القوم - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحبونك فأنها تحيتك وزينتك فقال : السلام عليكم فقالوا السلام عليكم ورحمة الله فزادوا ورحمة الله » ، وكان النبي ﷺ دائماً يأمر بإفشاء السلام ، ويقول : أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا

السلام بينكم تحابوا ، وقال : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وفي صحيح البخارى قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار » وهذا الكلام يتضمن جميع أصول الخيرات وفروعها ، لأن الإنصاف يوجب أداء حقوق الخالق والمخلوق على الوجه الأكمل ، وبذل السلام لجميع الناس يتضمن أن لا ينكر أحد على أحد ، وإنفاق المال عن قلة وفقر يتمتضى كمال الوثوق بالله ، وأنت إذا جمعتها علمت أنها جامعة فروع الإيمان وأصوله ، وكان صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وأيضاً كان يسلم على العجائز والمساكين ، وكان يقول : « يسلم الكبير على الصغير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشي ، والقليل على الكثير ، فإن تساووا فى هذه الصفات فالبادى أفضل ، وقال : أقرب الخلق إلى الله وأولاهم به الذى يبدأ بالسلام » وكان من العادة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم إذا دخل سلم ، وإذا رجع سلم وقال : إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة ، وقال فى موطن آخر : « إذا لقي أحدكم صاحبه فليسلم عليه فإن حال بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً » ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد ابتداءً بتحية المسجد فصلى ركعتين ثم سلم على الحاضرين ، لأن حق الله فى مثل هذه الصورة مقدم على حق العباد ، وكان إذا جاء إلى البيت ليلى سلم سالماً يسمعه المستيقظون ، ولا ينتبه منه الراقدون ، وقال : السلام قبل الكلام ، ولا تدعوا أحداً إلى طعام حتى يسلم . وإثنى كان فى إسناد هذا الحديث ضعف فعمل أهل الإسلام عليه ، وفى حديث آخر « السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال فلا تجيبوه » وفى بعض الروايات إنه كان لا يأذن بالدخول لمن لا يسلم ، وقال « لا تأذنوا

لمن لم يبدأ بالسلام ، وقال كعدة بن حنبل أرسلني صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بهدية لبن وجداية (١) وضغابيس (٢) فوُلجت عليهم قبل السلام والاستئذان . فقال : ارجع ثم قل السلام عليكم وادخل ، وكان إذا أتى باب قوم لا يقوم تجاه الباب بل يقيم أو يتياسر فيقول السلام عليكم ويبدأ من لقيه بالسلام ، وكان يتحمل السلام إلى غديره ، ويبلغه كما تحمل سلام الله سبحانه وتعالى إلى خديجة ، حيث قال له جبريل عليه السلام ها خديجة قد جاءتك بطعام فقل لها : الرب يسلم عليك ويبشرك ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وقال مرة أخرى لعائشة : هذا جبريل حاضر يبلغك السلام فقالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس فقال ﷺ عشر . ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه ، فجلس ، فقال عشرون . ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فقال ثلاثون . وفي بعض الروايات جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد وقال : أربعون هكذا تكون الفضائل ، وفي إسناده ضعف ، وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ، وإن بدأه أحد رد عليه مثل ذلك أو أفضل على الفور من غير تأخير إلا أن يمنع من ذلك عذر كالصلاة أو قضاء الحاجة وكان يجيب السلام بحيث يسمع المسلم ، ولا يكتفي بالإيماء والإشارة إلا أن يكون في الصلاة ، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه كان إذا سلم عليه أحد وهو في الصلاة أشار إليه بأصبعه المباركة جواب السلام ، وليس

(١) هي من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة ذكراً كان أو أنثى بمنزلة الجدى من المعز . (٢) هي صغار الفناء وأحدها ضغبوس ، وقيل هي نبت يلبت في أصول النعام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل اه نهاية .

لهذه الأحاديث معارض إلا حديث مجهول وهو من أشار في صلاته إشارة تفهم عنه فليعد صلاته ، وهذا الحديث لا يصلح المعارضة ، وكان يبتدىء السلام بقوله السلام عليكم ورحمة الله ، وكان يكره في الابتداء أن يقال : عليكم السلام ، قال أبو جري الهجيمي : أتيت رسول الله ﷺ وقلت عليك السلام يا رسول الله . فقال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى ، يعنى إن عادة الشعراء وغيرهم أن يحيوا الموتى بهذه الصيغة ، فينبغى أن يتحرز من أن يخاطب بها الأحياء ، وكان يقول في جواب السلام : وعليك السلام بالواو ، وقال بعض الفقهاء لو أجاب أحد بغير واو لا يكون مجيباً ولا يسقط الفرض عنه لأنه مخالف للسنة ، وعند أكثر العلماء يسقط واستدلوا بنص التنزيل (قالوا سلاماً قال سلام) ونهى ﷺ أن يبتدأ بالسلام على أهل الكتاب . روى أبو هريرة لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطربوهم إلى أضيقة ، وللعلماء في هذه المسألة قولان (الجماهير) يمنعون من ابتدائهم بالسلام ، (وبعضهم) يجوز ، وفي وجوب رد السلام عليهم قولان (الجمهور) على وجوبه (وبعضهم) يقول : لا يجب كما لا يجب رد سلام أهل البدعة ، وثبت في الصحيح أنه ﷺ مر على أخلاط من الناس منهم المسلمون والمشركون وعبداء الأوثان فسلم عليهم (وأما) الحديث الذى فى سنن أبى داود « يحزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويحزى عن الجلوس أن يرد أحدهم » فأحد رواه سعيد الخزاعى ، وقد ضعفه جماعة ، وكان من عادته ﷺ إذا بلغه شخص سلام غيره أن يرد على المبلغ والمبلغ عنه كما ثبت فى السنن « أن رجلاً قال إن أبى يقرئك السلام ، فقال فى جوابه عليك وعلى أهلك السلام » وكان من عادته ﷺ أنه إذا ظهر من شخص منكراً عظيماً أن يعرض عنه ، وأن

يحرمه السلام ورد السلام ، ولما كان السلام الذي هو أعظم شعار أهل الإسلام في هذه البلاد الهندية مهجوراً إلى الغاية ، وقام مقامه الانحناء ، والانتشاء ، اللذان هما شعار أهل البدع ، صار التلفظ بالسلام عند أكثرهم يعد من سوء الأدب وعدم التمييز ، فلزم ذمة أرباب الولاية وحكام منصب الرياسة لزوماً مؤكداً أن يسعوا في إفشائه إلى النهاية ، وأن يبذلوا الجهد إلى أقصى الغاية ، وأن يتلطفوا في إحياء هذه الشعيرة العظيمة من شعار الدين وأن يعدوا ذلك من أعظم القرب ، وأشرف الوسائل عند رب العالمين .

﴿ فصل في الاستئذان ﴾

ثبت في الصحيح أن السلام كان قبل الاستئذان فعلاً وتعليماً استأذن شخص على النبي ﷺ وهو في بيت فقال : أأج؟ فقال ﷺ لخادمه : اخرج إلى هذا فعله الاستئذان فقل له : قل « السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل ، فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل ، وقال ﷺ : إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ، وكان ﷺ يقول : لو أن شخصاً نظر في بيت قوم جاز لهم قلع عينه ولادية ولا قصاص ، وكان يكره للمستأذن إذا سئل ممن أنت يقول : أنا بل يذكر اسمه أو كنيته أو لقبه ، وفي حديث أبي هريرة المروى في سنن أبي داود ورسول الرجل إلى الرجل إذنه ، وفي لفظ إذا دعي أحدكم إلى طعام ثم جاء مع الرسول ، فإن ذلك له إذن ، وكلما أراد ﷺ الاعتزال في محل خلوة عين شخصاً للجلوس على الباب وأمر أن لا يدع أحداً يدخل إلا بإذن .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ إذا عطس وضع يده المباركة أو ثوبه على فيه وخفض صوته وقال : « التثاؤب الرفيع والعطسة الشديدة من الشيطان » وقال : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله

كان حقاً على كل مسلم سماعه أن يقول له يرحمك الله ، فإن الثأوب إنما هو من الشيطان ، فإذا ثأب أحدكم فليرد ما استطاع فإن أحدكم إذا ثأب ضحك منه الشيطان » وفي صحيح البخارى أنه ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » وعطس رجلان عند رسول الله ﷺ « فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر ، فقال الذى لم يشمته : عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتنى ؟ فقال : هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله » وفي صحيح مسلم قال : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه » وقال : حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » وفي سنن أبى داود « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال ، وليقل أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، ويقول هو : يهديكم الله ويصلح بالكم » وظاهر الأحاديث يدل على أن التشميت فرض على كل من سمع حمد العاطس ، وأن تشميت الواحد لا يجزى عن الباقيين ، وهذا قول جماعة من أكابر العلماء وهو ظاهر ، وهذا الشعر مهجور فى بلاد الهند إلى الغاية والنهاية ، ولا يأتى بها إلا خواص من الصلحاء ، ومن قصد متابعة السنة النبوية ، وأما عامة الخلق فإنهم لا يعرفون هذا المعروف ولا يعلمونه ، ونسأل الله السلامة ، وفي سنن أبى داود « عطس رجل من القوم عند رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ : وعليك وعلى أمك ، ثم قال : إذا عطس أحدكم فليحمد الله ، وليقل له من عنده يرحمك الله ، ويرد - يعنى عليهم - يغفر الله لنا ولكم (وقوله) فى الجواب عليك وعلى أمك إشارتان (إحداهما) أن سلامك فى هذا المحل لغير موقع

كما لو سلم على أمك (الثانية) تذكيره أن هذا من أدب الأئمين ومن أدب أناس حرمووا تربية الرجال ونشأوا في حجر الأمهات وتشريع الحمد في وقت العطاس لأن العطسة نعمة وحصول منفعة إذ بها تخرج البخارات المحتقنة من الدماغ ، وبقاؤها يورث أمراضاً وأوجاعاً ، وعطس شخص عند رسول الله ﷺ فقال له يرحمك الله ، ثم عطس أخرى ثانية ، فقال رسول الله ﷺ الرجل مزكوم ، وجاء في حديث آخر شمت أخاك ثلاثاً ، فما زاد فهو زكام ، وفي لفظ « إذا عطس أحدكم ، فليشمته جليسه ، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا تشميت بعد ثلاث ، فإذا لم يحمد العاطس ينبغي للحاضرين أن يحمدوا تذكيراً له ، وقال بعض العلماء : يحمدوا تعزيراً له ، لأنه لو كان سنة كان النبي ﷺ أولى بفعلها .

﴿ فصل في أذكار السفر ﴾

قال ﷺ : « إذا هم أحدكم الأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل « اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته » ، ولما كانت عادة أهل الجاهلية إذا قصدوا سفراً أو أمراً أن يستقسموا بالأزلام وأن يزجروا بالطير والعيافة والفأل والتطير وأمثال هذه الأمور التي هي شعار أهل الشرك والكفر عوض صاحب الشرع عن ذلك بالتوحيد والافتقار والعبودية والتوكل وسؤال الرشيد والفلاح من

الواهب المطلق الذى أزمته الخيرات فى يد قدرته . وفى مسند الإمام أحمد من رواية سعد بن أبى وقاص « سعادة ابن آدم استخارة الحق والرضا بقضائه وشتاؤه ابن آدم فى ترك الاستخارة وعدم الرضا بقضائه » وفى حديث أنس « أن النبى ﷺ ما عزم على سفر قط إلا قال عند إرادة القيام اللهم بك انتشرت وإليك وجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم وما أنت أعلم به منى عن جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدنى التقوى واغفر لى ذنوبى ووجهنى للخير أينما توجهت » والذى قاله بعض المحققين من المشايخ الكبار وكتبه : يستحب للشخص أن يجعل فى كل يوم وقتاً معيناً يصلى فيه صلاة الاستخارة ويقول : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فانك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يمينى من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه فى حقى وفى حق غيرى وجميع ما يتحرك فيه غيرى فى حقى وفى حق أهلى وولدى وما ملكت يدي من ساعتى هذه إلى مثلها من الغد شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ، والاستخارة على هذه الكيفية ولو لم توجد فى الأحاديث لكن العمل بها موافق لحديث الاستخارة ومناسب لاتباع السنة .

(فصل) كان ﷺ إذا استوى على الراحلة قال : « الله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحان الله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى

ربنا لمنقلبون ، اللهم إني أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم أصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » وإذا رجع من السفر قال « آيئون تائبون إن شاء الله عابدون ولربنا حامدون » ولفظ الدعاء في مسند الإمام أحمد « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من الضنّة (١) في السفر والكآبة في المنقلب اللهم اقبض لنا الأرض وهون علينا السفر » وإذا أراد الرجوع قال : « آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون » وإذا دخل البلد قال : « توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً » ولفظ الدعاء في صحيح مسلم « اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم أصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم ومن سوء المنظر في المال والأهل » وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم وضع رجله في الركاب وقال : بسم الله ، فلما استوى على الظهر قال الحمد لله الحمد لله الحمد لله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر سبحان الله سبحان الله سبحان الله لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . وكان صلى الله عليه وسلم إذا ودع مسافراً قال : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك » وقال رجل من الصحابة . يا رسول الله إني أريد سفرأ فزودنى ، فقال : زودك الله التقوى ، قال : زودنى ، قال : وغفر لك ذنبك ، قال : ذودنى ، قال : ويسر لك الخير حيثما كنت » . وقاله : رجل يا رسول الله . إني أريد أن أسافر فأوصني ، قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) فلما ولى الرجل ، قال اللهم ازول له الأرض وهون عليه

(١) الضنى : المرض ، وبابه صدى . (٢) الشرف : العلو ، والمكان العالى .

السفر ، وكان ﷺ إذا علا شرفاً في سفر كبير وإذا هبط سبج ، وفي بعض الأحيان كان يقول على الشرف : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال . ونهى عن السفر منفرداً . وعن استصحاب الكلب والجرس (١) وقال . « من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » وكان إذا سافر فأقبل الليل في بعض الأحيان يقول : « يا أرض : ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسد (٢) وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ومن شر والد وما ولد » . وقال . إذا سافرت في الخصب فأعطوا الإبل حقها أو قال : حظها من الأرض . وإذا سافرت في السنة فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها . وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل . وكان إذا دنا من العمران وأشرف على قرية أو مدينة قال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر ما فيها » وكان في سفره إذا تنفس الصباح يقول : سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فأقبل علينا عائداً بالله من النار يقولها ثلاثاً بصوت رفيع ، ونهى أن يسافر بالقرآن إلى دار الحرب وبلاد الكفر ونهى النساء عن مطلق السفر ولو يريدن إلا بذى رحم محرم ، وإذا قضت حاجتها فلا تسرعن الأوبة إلى أهلها . وكان إذا علا شرفاً قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر

(١) في الحديث « لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس » (٢) الأسود : العظيم من الحيات .

عبدہ ، وهزم الأحزاب وحده . ومنع بالقول والفعل أن يطرق الغائب أهله ليلاً ، وكان يدخل بكرة أو وقت العصر ، وكان إذا رجع من السفر خرجوا لملاقاته معهم الأولاد والأطفال ، وكان يركبهم وراءه أو أمامه ، أركب عبد الله بن جعفر أمامه ، ثم جاءوا بالحسن بن علي فأردفه ودخل المدينة على هذه الحالة ، وكان يعتنق القادمين في بعض الأحيان ، وإن كان من أهله قبل وجهه ، وفي بعض الأحيان يقبل جبهته قالت عائشة : لما قدم جعفر وأصحابه تلقاه النبي ﷺ فقبل ما بين عنيه واعتنقه . وكان أصحاب رسول الله إذا قدموا من السفر تعانقوا . وكان ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين قبل دخول بيته .

(فصل) كان ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تسمعون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ، قال شعبة : قلت لراوى الحديث : هذه خطبة نكاح أم غير نكاح ، فقال : هذه خطبة كل الحاجات . وقال ﷺ : « إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً ، فليأخذ باصيتها قائلاً بسم الله ، ثم يدعو ويقول : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه » وكان إذا رأى الإنسان تزوج قال « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير » وقال « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا

الشیطان وجنب الشیطان مارزقنا ، فقضى بينهما بولد لم يضره شیء (١) أبداً .
وقال : « من رأى مبتلى فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى
على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء » وقال : « ما أنعم الله على
عبد نعمة فى أهل ومال وولد ، فقال : ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، فىرى آفة
دون الموت » وقال : إذا رأيت من الطيرة شيئاً تذكرهونه فقولوا : اللهم
لا يأتى بالحسنات ولا يدفع السيئات إلا أنت ، لا حول ولا قوة إلا بك ،
أويقول اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا رب غيرك ولا حول
ولا قوة إلا بك ، فلا يصل إليه ضرر ، وإن رأى فى منامه ما يكرهه فلينفث
عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ - والنفث فوق النفخ ودون البزق -
فهو بينهما ، ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن شر ما رأى ، ولا يحدث
به فأنها إن تضره (٢) ، وإن ابتلى بوسوسة الشيطان ، فليدفع ذلك بالتعوذ ،
وإن غلبه الغضب فليتعوذ ، وإذا رأى ما يسره يقول : الحمد لله الذى بنعمته
تم الصالحات ، وإن رأى ما يكرهه يقول ، الحمد لله على كل حال ، وإن
تقرب إلى حضرته ﷺ أحد بما يسره من خدمة ، أو أمر محبوب دعا له
بالخير كما أن ابن عباس هياً ماء لوضوءه فقال ﷺ : اللهم فقهِه فى الدين
وعليه التأويل ، ودعا لأبى قتادة ليلة لازم خدمة ركابه الشريف وكان يجعل
نفسه دعامة له ﷺ عندما يغلبه النعاس فقال : حفظك الله بما حفظت به
نبيه . وقال : من صنع إليه معروفًا فقال لفاعله ، جزاك الله خيراً ، فقد
أبلغ فى الثناء ، واستدان من عبد الله بن أبى ربيعة فلما وفاه دينه قال : بارك
الله لك فى أهلك ومالك وقال « إذا سمعتم صياح الديكة فسيبوا الله من فضله
فأنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نباح الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ،

(١) فى بعض النسخ « شيئاً » (٢) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ، ولعله « فأنه إن يضره » .

فانها رأت شيطاناً ، وإذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبر يطفئه ، وينبغي أن لا يجلس مجلساً إلا ويذكر اسم الله فيه ، وكان إذا أراد القيام من المجلس يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، فسمعه بعض الصحابة ، فقال : يا رسول الله سمعت كلاماً لم أكن أسمعه قبل ، قال : هو كفارة لما وقع في المجلس « وشكا خالد بن الوليد الأرق ، فقال له ﷺ : « إذا أخذت مضجعتك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جاراً من شر خلقك كلهم أجمعين أن يفرط على أحد منهم ، أو أن يبغى ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله إلا أنت » وشكا شخص الفزع في النوم فقال ﷺ : « قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ، وعقابه ، وشر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضرون » ونهى أن يقال ما شاء الله وشاء فلان ، ومرة قال شخص : ما شاء الله وشئت ، فقال ﷺ : جعلتني لله ندا . ومن هذا القبيل نحن في كنف الله وكنفكم واعتمادنا على الله وعليكم . هذه الألفاظ وأمثالها منهي عنها يشم منها رائحة الشرك (١) ومن المنهيات التي منع منها ﷺ لا تسبوا الديك ولا تسبوا الريح ولا يسب بعضكم بعضاً أيها المسلمون دعوا طريق الجاهلية كالنخوة ودعوة القبائل ولا يتناجى اثنان دون ثالث ولا تباشر المرأة المرأة ، فتصفها لزوجها ، كأنه ينظر إليها (٢) لا تملى : اللهم اغفر لي إن شئت . لا تكثروا الحلف ، لا تحلفوا بغير الله ، لا تقولوا بوجه الله قسماً ، لا تسموا المدينة يثرب ، لا يسئل الرجل ، فيم ضرب امرأته إلا عن ضرورة ، ونهى عن تسمية القوس الذي يظهر في السماء قوس قزح .

(١) ماذا يقول النوريون ؟ فلا ياخذوا بقول هذا الامام ، ويتكون حنادات غير الله تعالى في قضاء حاجاتهم ويلتجئون إلى الله وحده فيما إذا أصابهم أمر اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون سر الالهية . (٢) انظر تفسير سورة النور الطبعة الميرية .

﴿ فصل في ألفاظ ليس في كراهتها خلاف ﴾

ملك الملوك ، قاضى القضاة ، سيد الناس ، سيد الكل ، عبدى عابدى ، عمر السلطان يكون طويلاً ، أيامكم طويلة ، عش ألف سنة دائمة . ولا ينبغي أن يقول فى المسائل الاجتهادية ، أحل الله كذا ، أو حرم كذا ، بل يقول ذلك فيما ورد النص بتحريمه أو تحليله ولا يقال فى أدلة القرآن والحديث الظواهر اللفظية ، وكذا لا يقال فيها مجازات لأن هذه ألفاظ تزيل الحرمة من قلوب الجاهلة لاسيما عند قوم يسمعون شبه الفلاسفة والمتكلمين ، بل البراهين العقلية والحجج القواطع نحوذ بالله من الخذلان .

﴿ باب فى عموم أحواله ﷺ ومعاشه وهو مشتمل على فصول ﴾

﴿ فصل فى طعامه ﷺ ﴾

كان من كريم عاداته إذا حضر طعاماً لا يردده ، ولا يتكلف فى طلب مفقود ، ورمى حضر طعام صالح من طيبات الأطعمة لا بد أن يتناول منه ، وما عاب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وكان يكثر أكل الحلوى والعسل ويحب ذلك ، وكان يشرب فى كل يوم قدحاً من ماء وعسل يتجرعه ويصبر حتى تغلب عليه شهوة الطعام ، ثم يأكل قليلاً من خبز الشعير بالماء أو بإدام ويكتفى بذلك ، وثبت فى الصحيح أنه أكل لحم الإبل ، ولحم الغنم ، ولحم الدجاج ، ولحم الخبارى ، ولحم الأرنب ، ولحم السمك ، ولحم العنبر البحرى ، والرطب ، والتمر ، وشرب الحليب المحض وممزوجاً ، وأكل الخبز بالتمر ، والخبز بالخل ، والخبز بالشحم المسلى ، ونقيع التمر ، والرطب بالخيار وكبد الغنم مشوياً ، واللحم القديد ، والدباء مطبوخة ، والجن والثريد والخبز بالزيت ، والتمر بالزبد ، والرطب بالبطيخ . ثبت أنه ﷺ تناول هذه الأشياء كلها ، وفى الجملة مهما حضر من الطيبات لم يردده ، وإن لم يجد شيئاً صبر حتى

أنه شد الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع ، وكان يمر عليه الهلalan
والثلاثة لا يوقد في بيته ناراً ، وإذا حضر الطعام وضعوه على السفرة ،
وبسطوها على الأرض ، ولم يأكل على خوان مرتفع ، وكان يأكل بثلاثة
أصابع ، وإذا فرغ لعق أصابعه . وكان لا يأكل متكئاً ، والالتكاء على ثلاثة
أنواع (أحدها) أن يضع جنبه على الأرض . (الثاني) أن يقعد مربعاً .
(الثالث) أن يعتمد بإحدى يديه على الأرض ، ويأكل بالآخرى ، وكلها
مذمومة ، وكان إذا فرغ من الطعام قال : « الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً
فيه غير مكفى ولا مودع ، ولا مستغنى عنه ربنا » وفي بعض الأحيان يقول :
« الحمد لله الذى أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العرى ،
وهدى من الضلالة ، وبصر من العمى ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً
الحمد لله رب العالمين » ، وفي بعض الأحيان يقول : « الحمد لله الذى أطعم
وسقى وسوغه » ولم يكن من العادة أن يغسل الأيدي بعد الطعام دائماً ،
وكان يشرب الماء قاعداً فى الغالب ، وكان يمنع من يشرب قائماً ويزجره
وشرب قائماً مرة . قال بعضهم : إنما شرب قائماً لبيان الجواز ، وقال بعضهم
بل لعذر ، لا جرم قال أكثر العلماء : لا ينبغي أن يشرب قائماً ، وإذا منع
عذر من القعود جاز الشرب قائماً ، وكان إذا شرب الماء دفع الباقي لمن
هو عن يمينه وإن كان الذى عن يساره أسن وأدري .

﴿ فصل فى لباسه ﷺ ﴾

كان غالب لباسه القطن ، وكذا أصحابه الأخيار ، وفي بعض الأحيان
كان يلبس الصوف والكتان أو مهما حضر وتيسر اكتفى به جبة كان
أو قباء أو قميصاً ، وكان يلبس السراويل والرداء ، والخفين ، والنعلين ،
يلبس كل ذلك ، وكان يجعل للعامة عذبة فى بعض الأحيان ، ويرخيها بين

كتفيه ، وقد يلبسها بغير عذبة ، وكان يتحنك في بعض الأحيان (١) وكان إذا استجد ثوباً سماه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء ، ثم يقول : اللهم أنت كسوتنيه ، أسألك خيره ، وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ، وشر ما صنع له ، وإذا لبس ثوباً ابتداءً بالجانب الأيمن في السكم ونحوه ، وكان في بعض الأحيان يلبس ثوباً من شعر . قالت عائشة : خرج من البيت ، ولبس ثوباً من الشعر الأسود ، وقال قتادة : سألت أنساً عن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ فقال : الحبرة - والحبرة برد يميني - وكان في بعض الأحيان يلبس ثوباً من كتان مصر . قالت عائشة : صنعت له ثوباً من صوف فلبسه وعرق فيه ، فشتم رائحة الصوف فألقاه عنه في الحال لأنه كان يكره الرائحة الكريهة إلى الغاية ، ويجب الريح الطيبة . قال ابن عباس : رأيت رسول الله ﷺ في أحسن حلة ، وقال أبو رزمة : رأيت النبي ﷺ يخطب وقد لبس برداً أخضر - والبرد الأخضر هو برد فيه خطوط خضر لأنه أخضر خالص - ووسادته من أديم حشوها ليف ، وأكثرت الناس قد صاروا فئتين (فئة) اختاروا البعد عن الملابس الجميلة ، واقتصروا على المرقعات والمحترات ، (وفئة) اختاروا أغفر الملابس ، وأشرف الثياب ، ولبسوا الناعم المزين ذا الشهرة ، وهاتان الفئتان مخالفتان لسنة النبي ﷺ لأنه قال : من لبس ثوب شهرة لبس يوم القيامة ثوب مذلة .

﴿ فصل ﴾ النبي ﷺ لبس السراويل ، ولبس العمامة بغير قلنسوة ، ومع القلنسوة ، والقلنسوة بغير العمامة ، وكان يجعل العذبة بين كتفيه

(١) ماذا يقول أصحاب العذبة في التحنك ، وهل أحاديثه أقل من أحاديث العذبة ؟ ومن الغريب أننا لا نجد أحداً منهم تحنك لا الرئيس ولا المرءوس في عصرنا ، ولا ندري ما جوابهم ؟ اللهم إلا أن يقولوا : العادة حكمت علينا وجريتنا تبعاً لهوانا وكبرنا .

في أكثر الأحوال ، وجاء في بعض الأحاديث « أنه ﷺ قال : رأيت رب العزة في النوم فقال : يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ فقلت : لا أدري قال : فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض فلما أصبح ﷺ جعل العذبة بين كتفيه (١) » وكان كم قميصه لا يجاوز رصغته ، وكان أحب الثياب إليه القميص ، ولبس حلة حمراء ، والحلة عبارة عن ثوبين ، والمراد بالأحمر هنا ما فيه خطوط حمراء لا أنه أحمر خالص ، لأن الأحمر الخالص منهي عنه . لبس عبد الله بن عمرو بن العاص ثوباً أحمر فقال ﷺ : ما هذا ؟ قال : فعرفت ما كره ، فأنظمت فأحرقته . فلما جئت في اليوم الثاني قال لي ما فعلت بثوبك ؟ قالت : أحرقته قال : هلا كسوته بعض أهلِكَ فإنه لا بأس به للنساء ، وفي الصحيح قال عبد الله بن عمرو : رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال : إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها ، وفي الجملة ينبغى الاحتراز من لبس الثياب الأحمر الخالصة ، وكان ﷺ يلبس الثوب المعلم ، والثوب الساذج ، والثوب الأسود ، والفرو المعلم على أطرافه بالسندس ، والنعل ، والتاسومة ؛ كل هذا لبسه ولبس الخاتم ، والروايات مختلفة ، ففي بعضها أنه لبسه في اليد اليمنى ، وفي بعضها في اليد اليسرى ، وكان نقشه على هذه الهيئة :



وقال : لا ينقش أحدكم على نقش

خاتمي هذا ، ولبس الدرع من الزرد ، والخود والجوشن وضاعف بين درعين

(١) الحديث رواه الترمذي ، ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل موطولاً ولا أدري ما يقول أرباب السدل هل ينفون صفات الله تعالى ، ويخالفون طريق السلف ، ويتبعون جهم بن صفوان رئيس النفاة أم يثبوتون له ذلك ويذهبون ويكفونون على مذهب —

في بعض الأحيان ، وكان له جبة خسر وانية مفرجة عليها يحف من الديباج مخيطة ، وأما الطيلسان فانه كان يلبسه حال الحر كما في اليوم الذي أمر فيه بالهجرة ، فانه جاء في نصف الليل إلى بيت أبي بكر وهو مطيلس ، وأما حديث أنس كان يكثر القناع - يعنى يلبس الطيلسان كثيراً - فحمله بعضهم على أوقات الضرورة ، وفي السفر ، وكان يلبس جبة ضيقة الكمين ، وكان يلبس الإزار والرداء في بعض الأحيان ، طول الرداء ستة أذرع وعرضه ثلاثة أذرع وشبر ، وطول الإزار أربعة أذرع وشبر وعرضه ذراعان وشبر والله تعالى أعلم .

((فصل في العادة النبوية في معاشرة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن))
قال عليه السلام : حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة ، وبعض المصنفين يزيد لفظ ثلاث وذلك غلط ، وحيث لم يستقم أولوه بتأويلات كلها سهو فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا ، وأحب الأشياء إليه من أمور الدنيا النساء والطيب ، وفي كثير من الليالي كان يطوف على جميع نسائه التسع ، وأكرمهم الله بقوة ثلاثين رجلاً من الأقوياء لا جرم أبيح له ما شاء من النساء ، وكان يسوى بينهن في المبيت والإواء ، والنفقة ، وجميع الأمور (وأما) في المحبة فقال : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك - يعنى في المحبة والجماعة - وفي وجوب رعاية المساواة بينهن عليه قولان (أحدهما) وجوب القسم (الثاني) أنه كان يجوز له أن يعاشرهن بغير قسم وذا من خصائصه ، وطلق بعضهن وراجع وآلى مؤقّتا ،

— أهل السنة والجماعة وخيار الأمة من صحابة وتابعين وأرباب المذاهب ومن هو القدوة في ذلك ويعقلون الحكمة في سدل العذبة بين الكتفين؟ اللهم سحقاً سحقاً لمن لا يرى الحق حقاً فيتمه ويرى الباطل باطلاً فيتجنبه فهذا اجدى على الدين من التمسك بالمظاهر . واسلم عاقبة ، هداًنا الله الطريق المستقيم .

بشهر، ولكن مظاهر، وبعض الفقهاء قال ظاهر أيضاً، وهو غلط واضح وسهواً واضح، وسيرته معهن أحسن السير، وقد قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وكان يسوق بنات الأنصار إلى عائشة ليلاعبوها وإذا التمت امرأة ليس فيه محذور وافق وتابع، وشربت من كوز فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضع شفته موضع شفتها ثم شرب ورفعت عظام فنهشت مما عليه من اللحم فأخذه صلى الله عليه وسلم من يدها، وأكل من موضع فمها، وكان يتسكىء عليها ويقرأ القرآن، وكان يجعل رأسه في حضنها، ويتلو، وإن كانت حائضاً وفي حالة الحيض كان يأمرها بشد الإزار ثم يعانقها فوقه، ويأصق سائر بشرته بها وكان يقبلها في أيام الصيام، ومن كمال لطفه وغاية مكارم أخلاقه مع أهل بيته أنه كان يمكنها من اللعب باللعب (١) كما هي عادة البنات واتسكأت على كتفه لتنظر إلى الحبشة ورقصهم، وفي السفر سابقها مرتين راجلاً سبقتة عائشة في المرة الأولى وفي المرة الثانية كانت عائشة قد بدنت فسبقها صلى الله عليه وسلم فقال: هذا بذلك، وخرجا مرة من الحجرة معاً وتدافعا عند محل الباب حتى خرجا، وكان إذا عزم على سفر أقرع بينهما، فمن وقعت قرعتها ذهب بها ولم يقض للمقيمات عند العود، وربما لاعب إحداهن ووضع يده عليها بحضور الجميع، وكان يطوف على الحجرات كلها في كل يوم بعد العصر يتفقد أحوال أهلها، فإذا جن الليل بات في حجرة صاحبة النوبة، وقسم بين ثمانية من نسائه لأن سودة رضى الله عنها وهبت نوبتها لعائشة فكانت لعائشة ليلتان، وللاخريات ليلة ليلة، والذي وقع في صحيح مسلم عن عطاء أنه قال: الزوجة التي لم يقسم لها هي صفية غلط صريح من عطاء، وسبب هذا الوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد (٢) على صفية في بعض الأيام فاضطربت صفية

(١) هي اللعب المعروفة من قطن وغيرها مما يلعب به الأطفال (٢) الوجد: شدة الغضب.

وقالت لعائشة : إن استطلعت أن ترضى رسول الله ﷺ عنى وهبتك نوبتى
فقلت عائشة : بلى ثم جاءت وقعدت إلى جنب رسول الله ﷺ فى يوم نوبة
صفية فتمال : أبعدى فإن اليوم ليس نوبتك . قالت عائشة ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ، وحكت له فرضى ﷺ عن صفية ، وهذه الحالة إنما كانت
فى يوم واحد ونوبة واحدة لا غير ، فلذا وهم بعض الرواة ، وحديث كان
يقسم لثمان صحيح وكان من العادة النبوية أنه إذا واقع فى أول الليل اغتسل
ثم نام فى بعض الأحيان ، وفى بعضها كان يتوضأ وينام ثم يغتسل فى آخر
الليل ، والحديث المروى عن عائشة أنها قالت : ربما نام ولا يمس ماء غلط
من بعض الرواة ، وربما طاف على جميعهن واغتسل فى الآخر غسلًا واحدًا
وربما اغتسل عقيب كل موقعة ، وكان إذا قدم من السفر لا يدخل البيت ليلاً .
﴿ فصل فى نوم سيدنا رسول الله ﷺ ويقتضيه ﴾

كان النبى ﷺ ينام فى بعض الأحيان على الفراش ، وحينما على النطع
وحينما على الحصير ، وحينما على الأرض مجرداً وفراشه من أديم حشوه ليف
عوض القطن ، وكان له مسح من شعر ينام عليه فى الليل ، وكانوا يثنونه له
عند النوم فجعلوه فى بعض الليالى أربع طاقات فنهاهم وقال : اجعلوه مثنياً
كما كنتم تفعلون أولاً فإنه منعى البارحة من صلاتى ، وفى الجملة كان ينام
على الفراش أيضاً ويلتحف ، وقال : إن جبريل لم يأتنى قط فى لحاف امرأة
سوى لحاف عائشة ، وكانت وسادته من أديم حشوها ليف .

﴿ فصل فى الركوب ﴾

كان ﷺ فى بعض الأحيان يركب الفرس وفى بعضها يركب البغل
والحمار ، وكان قد يركب الفرس عريانا بغير سرج وقد يسوق وفى الغالب
كان يركب منفرداً ، وفى بعض الأحيان كان يردف على البعير أحداً ،

وربما أركب شخصاً آخر بين يديه فيصرون ثلاثة على بعير ، وربما أُرْدِفَ بعض أمهات المؤمنين ، وغالب ما كسبه ﷺ الفرس والبعير ، وأما البغل فإنه كان قليلاً في بر العرب أهدى له ﷺ بغلة من الاسكندرية ، وكان يركبها فقال بعض الصحابة : نحن أيضاً نقفز الحمير على الخيل لتنتج البغال . فقال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون .

﴿ فصل ﴾ كان للنبي ﷺ قطيع من الغنم ، وكان لا يحب أن يزيد على مائة فإن زاد شيء ذبح بدله ، وكان له جوار وغلمان ، وكان العتقاء من تلك الجملة يذيفون على الأرقاء ، وأكثر مواليه وعتقائه الغلمان لا الإماء ، وقال : « أيما امرئ أعرق امرءاً مسلماً كان فسكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرئ مسلم أعرق امرأتين مسلمتين كانتا فسكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه » وهذا حديث صحيح ، ودليل على أن عرق الغلام يعدل عرق أمتين .

﴿ فصل ﴾ باع سيدنا رسول الله ﷺ واشترى لكن بعد نزول الوحي كان الشراء غالباً والبيع قليلاً ، وأما بعد الهجرة فلم يحفظ البيع إلا في ثلاث صور والشراء كثير وأجر ﷺ واستأجر والاستئجار أغلب ، وحفظ أنه قبل النبوة أجز نفسه لرعى الغنم ، وأجز نفسه لخديجة أيضاً ليتجر لها ، وفي صحيح مسلم أنه أجز نفسه من خديجة مرتين ، وفي سفرتين كل سفره بحمل ، وشارك النبي ﷺ ووكل وتوكل ، وكان التوكيل أكثر ، وأهدى له ﷺ ، وقبل الهدية ، وعوض عنها ، ووهب له ﷺ ، وقبل الهبة ، وحصل لسلمة بن الأكوع في بعض الغزوات جارية حسناء فقال له ﷺ : هبها لي ، فأخذها ، وفادى بها جماعة من الأسرى بمكة وخلصهم من الأسر ، واقترض ﷺ برهن وبغير رهن ، واستعار واشترى بنقد ونسيئة ، وضمن عن الله عز وجل ضماناً خاصاً كما قال : « من ضمن لي ما بين حبيه وما بين

رجليه ضمنت له الجنة « ومثل هذا الضمان في السنة كثير ، وضمن ضماناً عاماً
عن مات وعليه دين ولم يترك وفاء دينه . وكان ﷺ يشفع ويشفع إليه ،
وشفع لمغيث عند امرأته بريرة ، فلم تقبل الشفاعة ؛ ولم يغضب عليها ، ولم
يعاتبها ، وكان يكسر القسم بالله ، والثابت من ذلك يزيد على ثمانين موضعاً ،
وأمر الله تعالى نبيه بالقسم في ثلاثة مواضع : (الأول) قال الله تعالى :
(ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق) ، (الثانى) قال الله تعالى :
(وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) . (الثالث) قال
الله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل وبلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم وذلك على الله يسير) وكان فى بعض الأحيان يستثنى فى يمينه ، وقد
يكفر عنها فى بعض الأحيان ، وقال : إنى والله إن شاء الله لا أحلف على
يمين فأرى غيرها خيراً منها ، إلا كفرت عن يمينى ، وأتيت الذى هو خير ،
وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويورى ولا يقول فى توريته إلا حقاً
كما أنه كان إذا عزم على قصد جهة سأل عن جهة أخرى ومياها ومراعيها
ومنازلها ، وأمثال هذه التورية كان يفعلها فى الغزوات والجهاد كثيراً ،
وكان ﷺ يستشير ويشير ، ويعود المرضى ، ويحضر الجنائز ، ويجب
الدعوة ، ويمضى مع الأرامل والمساكين والضعفاء لقضاء حوائجهم
فيقضيها (١) ، وكان يسمع الشعر من الشعراء ، ويعطيهم الخلع ، لأن جميع
ما قالوه وما يقولونه إلى يوم القيامة قطرة من بحر ، فعطاؤه لهم على قول حق

(١) وهذه الاعمال الحميدة عذمت فى هذا العصر حتى عند من ينتمى إلى السنة والتمسك
بها ، فإذا مرض الفقير ، فلا يعود أحد ، ولو كان ينتمى إليهم ، وكذلك من مات فلا يشيعه
إلا الواحد والاثنان ، وكذلك فى بيع المرافق الحيوية مع أن هذه الحاصل أهم شىء فى ربط
القلوب والملائق بين الأفراد ، وجمع كلمتهم ، وجعلهم عضواً واحداً ، فهلا الرئيس نبيه على
ذلك فى دروسه ومحاسنه ، وجعل دينه ذلك ليؤثر فى العامة ، ويجمع قلوبهم ، ويوحد أمرهم
الأم أصلح الأمة وقوادها ، واهداهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة .

(وأما) مدح غيره ، فانه في الغالب زور وبهتان ، وكذب صراح لا جرم قال : احشوا في وجوه المداحين التراب .

(فصل) سابق ﷺ على قدميه ، وصارع ، وخصف نعله بيده الكريمة ﷺ ، ورقع ثوبه ودلو بيته ، ونقى ثوبه من الهوام ، وكان يخدم أهل بيته بنفسه ﷺ ، وفي عمارة المسجد كان يعين العمال ، ويحمل اللبن ، وربما جاع حتى شد الحجر على بطنه ، وأضاف وأضيف ، واحتجم ﷺ ، وأمر أمته بالحجامة ، وثبت أنه احتجم على رأسه ، وعلى ظهر قدميه ، وفي الأخدعين والكاهل ، والأخدعان : عبارة عن عرقين في جانبي العنق ، والكاهل : عبارة عن مقدم الظهر - يعني بين الكتفين - وتداوى ﷺ وعند الضرورة أشار إلى الكي ، وأمر به لکن لم يکتو ؛ وكان يرقى المرضى ولم يسترق لنفسه ﷺ ، وأمر المرضى بالحمية والمعالجة ، وأما استعمال الأدوية المركبة المذكورة في القرا باذين ، والمعاجين ، والمركبات وأمثالها ، فلم تكن من عادته ، بل كان يتداوى بالمفردات ، وربما أضاف شيئاً لدفع سورة ذلك الدواء في النادر ، وهذا كمال الحكمة وغاية معرفة الأطباء ، روى أبو خزيمة عن أبيه قال : قلت « يا رسول الله أرأيت رقى نسترقها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : هي من قدر الله » ومنع من التخممة ، وكثرة الأكل ، وقال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

(فصل) كان ﷺ يعالج الأمراض بثلاثة أنواع (أحدها) لأبادية الطبيعية (الثاني) بالأدوية الإلهية (الثالث) بأدوية مركبة من هذين القسمين (أما) علاج الحمى فقال : الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، وجاء أيضاً إذا

حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر ، وفي موضع آخر في مسند الإمام أحمد كان رسول الله ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل ، وثبت في الترمذى « إذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار ، فليطفئها بالماء البارد ، ويستقبل نهراً جارياً فليستقبل جربة الماء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس ، وليقل : بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك وينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فان برأ وإلا فخمساً ، وإن لم يبرأ فى خمس فسبع ، فانها لا تكاد تجاوز السبع بإذن الله » اتفق أهل الحديث أن هذا خطاب خاص لأهل الحجاز كخطاب لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرقوا أو غربوا ، ولما كان أكثر الحيات العارضة لهم من نوع حمى يوم الناشئة من شدة حرارة الشمس أمر ﷺ أن تعالج بالماء البارد شرباً واغتسالاً .

(فصل) استطلاق البطن حيث كان من كثرة المادة عولج بتقوية الإطلاق كما فى الصبيحين « أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إن أخى يشتكى بطنه ، فقال : اسقه عسلاً ، فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً - وفى لفظ - فلم يزد إلا استطلاقاً مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : اسقه عسلاً ، فقال له فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك » وفى صحيح مسلم « إن أخى عرب بطنه - أى فسد هضمه - واعتلت معدته » وفى تكرار الأمر بشرب العسل نكتة لطيفة من حيث أن الدواء ينبغى أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال المرض ، حتى لو قصر عن ذلك لا يزيل المرض بالكلية ، وإن زاد عن ذلك أسقط القوى ، وزاد المرض ، ولما لم يعط فى كل نوبة ما يقاوم المرض لا جرم كان الإطلاق يزداد وكان ﷺ يأمر بإعادة شرب العسل وحيث وصل إلى حده قال ﷺ : « صدق الله

وكذب بطن أخيك » وكذب البطن عبارة عن كثرة المادة الفاسدة (واعلم) أن الطب النبوى لانسبة له من طب الأطباء ، لأن الطب النبوى متيقن النجاح قطعاً ، لأنه صادر عن الوحي الإلهى ، ومشكاة النبوة ، وكال العقل ، وأما طب الغير غالباً فإنه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة ، وهذا مثار الخطر ، ومن لا ينتفع بالطب النبوى ، فينبغى أن يعلم يقيناً أنه من نقص إيمانه ومن تلقاه بالقبول والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به ألبتة ، كما أن القرآن الكريم ، شفاء لما فى الصدور والقلوب ، ومن لم يتلقه بالقبول والإخلاص زاد مرضه ووباله .

﴿ فصل فى علاج الطاعون والوباء ﴾

كان ﷺ يقول : « الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وعلى من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا منها فراراً منه » وثبت فى حديث آخر « الطاعون شهادة لكل مسلم » وجاء فى حديث آخر « الطاعون وخز الجن » وجاء فى رواية أخرى « الطاعون دعوة نبى » وفى هذا الحديث الذى نهى فيه عن دخول بلد فيها وباء ، وعن الخروج منها إشارة إلى الاحتراز ، والاجتناب من الوباء ، لأن فى الدخول إلى محل الوباء تعرضاً للبلاء وإلقاء للنفس فى المهلكة ، وذا مخالف للشريعة ، ومناف للعقل .

وقد ثبت فى الحديث « أن من القرء التلف » والقرء مداناة المرض ومقاربة الوباء فى هذا المحل أمر بالحذر والحمية ونهى عن التعرض لأسباب التلف ، وأما النهى عن الخروج من محل دخله الوباء ، فيظهر فيه معنيان : حمل النفس على التوكل والاعتماد على الخالق والصبر على القضاء والرضا به

(والمعنى الثانى) هو ما يقوله الأطباء من أنه يجب على كل من أراد الاحتراز من الوباء تقليل الغذاء ، وإخراج الفضلات من الرطوبات من البدن . والميل إلى التدبير اللطيف ، والاجتناب من الرياضة والحمام ، لئلا تنبعث الفضلات الرديئة الكامنة فى قعر البدن ، ويجب عليه اختيار السكون والراحة والطمأنينة ، ليسلم من هيجان الأخلاط ، ولا شك أن الخروج من أرض الوباء ، والسفر إلى أرض أخرى ، إنما يتيسر بحركة شديدة وضرر ذلك ظاهر .

﴿ فصل فى الاستسقاء ﴾

أمر ﷺ فى علاجه بشرب ألبان الإبل وأبوالها . ورد المدينة رهط من قبيلة عكل ، فلم يوافقهم ماء المدينة وهوأؤها ، فاستسقوا ، فجأوا إلى الرسول ﷺ وقالوا : إنا استوخمنا المدينة ، فعظمت بطوننا ، وارتهشت أعضاؤنا ، فقال : لو خرجتم إلى إبل الصدقة ، فشربتم من أبوالها وألبانها ففعلوا فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم . واستاقوا الإبل ، وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم ، فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وألقاهم فى الشمس حتى ماتوا ، والمحققون من الأطباء مطبقون على أن لبن اللقاح وبول الجمال من الأدوية المعتمدة فى هذا المرض والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ فى علاج الجراحات برماد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك فى يوم أحد ، كانت فاطمة رضى الله عنها تغسل ، وأمير المؤمنين على رضى الله عنه يصب الماء عليها وحيث لم ينقطع أخذت فاطمة قطعة من حصير فأحرقتها حتى صارت رماداً ، ووضعت ذلك الرماد على الجراحة فانقطع الدم من ساعته ، وكانت الحصير من البردى ، وفى

تلك البلاد غالب حصرهم من البردى ولرماده قوة تامة في قبض الدم .
﴿فصل﴾ كان ﷺ يقول : الشفاء في ثلاثة ، في شرطة محجم ، أو شربة
عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتي عن الكي (١) ، قال العلماء : هذا
الحديث إشارة إلى معالجة جميع الأمراض المادية ، لأن المرض ، إمادموى
أو صفراوى ، أو بلغمى ، أو سوداوى ، فإن كان دموياً ، فعلاجه بإخراج
الدم ، وإن كان من الأقسام الثلاثة ، فعلاجه بالإسهال - الذى يليق بكل
خلط منها - نبه بالعسل على ذلك ، وبالمحجم على الفصد والحجامة ونبه بالكي
على حالة يعجز فيها الطبيب ويحيا ، وآخر الدواء الكي ، ولما حجمه ﷺ
أبو طيبة أمر له بصاعين ، وقال لساتته : خففوا عنه شيئاً من خراجه ،
ففعلوا ، وكان يقول : « خير ما تدواوitem به الحجامة » وقال : « ما مرت ليلة
أسرى بي بملا من الملائكة إلا قالوا : يا محمد مر أمتك بالحجامة (٢) » والسبب
أن الحجامة تخرج الدم من نواحي الجلد ، والأطباء بأسرهم قائلون بأن
الحجامة في البلاد الحارة أفضل من الفصد ، لأن دمهم رقيق ناضج منبسط
على سطح البدن ، وإنما يخرج بالحجامة ، لا بالفصد ، والفصد ينفع أعماق
البدن . وفي الصحيحين « كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثاً ، واحدة على
كاهله واثنين على الأخرعين » وفي الصحيح أنه احتجم وهو محرم في رأسه
لصداع كان به . وفي سنن ابن ماجه ، أن جبريل جاءه وأمره بالحجامة في
الأخدرعين والكاهل ، وفي سنن أبي داود « أنه ﷺ احتجم في وركه
من وثى كان به » ، والوثى ، دكة في البدن ، من سطة ، أو ضربة لا تصل
الخلع والسكر (٣) .

(١) الحديث عراه ابن قيم إلى صحيح البخارى . (٢) هو في الصحيحين مطولا .

(٣) رواه أبو داود في سننه مطولا فيه جنادة بن المفلس وهو ضعيف .

﴿فصل﴾ كان النبي ﷺ لا يحب السكى ، ومع هذا كان يأمر به عند الضرورة ، وأرسل مرة طبيباً إلى أبي بن كعب ، فرآه وكواه ، ولما جرح سعد بن معاذ في أ كحله أمر أن يكوى فورم فكوى ثانياً ، وأمر أسعد ابن زرارة فكوى من داء الشوكة ، والشوكة - حمرة شديدة تستولى على الوجه والجهة - وكوى جابر أ على الأ كحل ، مجموع هذه الأحاديث صحيح وقد بينا من قبل أنه نهى الأمة عن السكى ، والجواب عنه أن الأحاديث على أربعة أنواع : بعضها دال على الفعل ، وبعضها دال على عدم المحبة ، وبعضها دال على الثناء والمدح على تاركه ، وبعضها مشتمل على النهى عنه . (أما) الفعل فيدل على الجواز (وأما) عدم المحبة فلا يدل على المنع (وأما) الثناء والمدح على الترك فدل على الأفضلية والأولوية ، وأما النهى عنه فانه محمول على أنه لن يفعله مختاراً ، أو يفعله من خوف حدوث مرض ، فلا يكون بين الأحاديث تعارض (١) .

﴿فصل في هديه ﷺ في علاج الصرع﴾

ففي الصحيحين قال ابن عباس : «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت إني أصرع ، وإني أتكشف فادع الله لى . فقال : إن شئت صبرت ، ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك ، فقالت: أصبر . قالت : فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها » . قال العلامة ابن قيم في كتابه زاد المعاد : الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط

(١) قال ابن قتيبة : السكى جنسان ، كى الصحيح لئلا يمتل فهذا الذى قيل فيه : لم يتوكل من اكتوى ، لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه ، والثانى : كى الجرح إذا أثقل والمضو إذا قطع ففي هذا الشفاء ، وأما إذا كان السكى للتداوى الذى يجوز أن ينجح ، ويجوز أن لا ينجح فانه إلى الكراهة أقرب .

الرديئة ، والثانى : هو الذى يتكلم فيه الأطباء فى سببه وعلاجه ، أما صرع
الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ، ويعترفون بأن علاجه
بمقابلة الأرواح الشريفة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة ، فتدافع
آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها ، وذكره أبقراط فى بعض كتبه ، ويعالج
هذا النوع بأحد أمرين : أحدهما من جهة المصروع ، والثانى : من جهة
المعالج ، فالأول : يكون بقوة نفسه ، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح
وباريها والتعود الصحيح الذى قد تواطأ عليه القلب واللسان ، فإن هذا نوع
محاربة والمخارب لا يتم له إلا نصاب من عدوه بالسلاح إلا بأمرين : إما أن
يكون السلاح صحيحاً فى نفسه جيداً أو يكون الساعد قوياً فتى تخلف أحدهما
لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً ؟ يكون القلب
خراباً من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له ، والثانى : من
جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة
على أهله يكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر
والتعلويد والتحصينات النبوية والإيمانية ، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل
لا سلاح معه ، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا والله أعلم (١) .

(١) أقول وما يحصل كثيراً من أبناء مصر من الصرع إنما يكون عادة تلقفها الصغير
عن الكبير فنشأ عليها وشب وشاب ولا رادع له ولا زاجر ، وإن ما يفعل بمعالجة ذلك من
عمل زار له يحضره إخوان الشياطين من ذكور وإناث ممنوع شرعاً وعقلاً ، أما العقل نفاه ،
لأن العقلاء اجتمع فى عصرنا الحاضر اتفقوا على مضرته وسوء عمله ، وأما شرعاً : ففيه اعتقاد
أن هذا يحصل من إخوانهم الأبالسة ولا يتمكنوا من دفع هذا المرض إلا بعمل ما يرضيهم ،
وهذه هى بعينها عقائد الجاهلية الأولى بأن يتربوا إلى الله سبحانه وتعالى فى شفاء مرضهم
أو قضاء حوائجهم بواسطة الأصنام والأوثان اللهم صلح العامة واهد الأمة إلى هدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى كل ذلك ، وقد زدنا هذا الفصل فى هذا الكتاب من زاد المعاد
لنفعه وضرورته .

﴿ فصل في علاج عرق النساء ﴾

وهو ما قال رسول الله ﷺ : « دواء عرق النساء إلية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء (١) » ولما كان هذا المرض يحدث من مادة غليظة لزجة أو من يابس مزاج احتاج إلى إنضاج وتلين ، وهما في الإلية بالخاصية ، فأمر ﷺ أن يعالج بها وإنما خص الشاة بالأعرابية لأنها أصغر وألطف ، وخاصية مراعى الشيخ والقيصوم ، والنباتات اللطيفة فيها موجودة .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ في معالجة يابس المزاج بالتلين ، واختار للتلين السنن المكي : « سأل رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس بم كنت تستمشين ؟ قالت : بالشبرم قال : حار جاراً ثم قال : استمشين بالسنن ، وقال : لو كان شيء يشفي الموت كان السنن » (الشبرم) نبت معروف في الحجاز يستعمل من قشور عروق جذوره (قوله) ﷺ : حار جار أول الأولى حاء مهملة والثانية جيم ، وهذا من باب الإتياع يقال في المبالغة ، وقال : « عليكم بالسنن والسننوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام » وفي تفسير السنن ثمانية أقوال (الأول) العسل (الثاني) رب عكة السمن يخرج مخلوطاً بالسمن (الثالث) حبة تشبه السكون وليست به (الرابع) كمون كرمان (الخامس) انرايانج (السادس) الشبت (السابع) التمر (الثامن) عسل يكون في أسفل ظروف السمن ، وهذا المعنى أقرب لأن السنن المدقوق المخلوط بعسل مخلوط بسمن أقوى للإسهال وأصلح ، وجاء في حديث آخر : « خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشاء » السعوط : يقال لدواء يقطر في الدماغ من

طريق الأنف ؛ والدود يقال لدواء يصب في الحلق من أحد جانبي الفم ،
والمشاء دواء مسهل .

﴿ فصل في الحكمة وغلبة القمل ﴾

أمر ﷺ في علاج ذلك بلبس ثياب الحرير قال أنس بن مالك : « إن
عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام كانا في مشقة عظيمة من حكة البدن
فرخص لهم في لبس قميص الحرير » وجاء في بعض الروايات « أنهم في بعض
الغزوات شكوا إلى حضرة سيدنا رسول الله ﷺ كثرة القمل فرخص
لهم في لبس قميص الحرير » ويتعلق بهذا الحديث أمران : فقهي ، وطبي
(أما) الفقهي : فحرمة لبس الحرير على ذكور الأمة إلا الحاجة أو رجحان
مصلحة (وأما) الأمر الطبي : فالتداوى بلبس الحرير من الأمراض اليابسة
السوداوية ، لأن الحرير من الأدوية الحيوانية ، ومن خواصه : تقوية القلب
والتفريح ، ودفع غلبة السوداء ، والمرض يظهر منها ، وهو حار رطب ،
ومعتدل في قول بعض ، وليس فيه شيء من اللين ولا من الخشونة أصلاً ،
لا جرم أنه ينفع من الحكمة والجرب وأمثالهما ، وبسبب ملاسته لا يثبت
القمل عليه .

﴿ فصل في ذات الجنب ﴾

أمر ﷺ في علاج ذلك باستعمال القسط البحري في جامع الترمذي
عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال : « تداووا من ذات الجنب بالقسط
البحري والزيت » وفي حديث آخر « القسط البحري هو العود الهندي » ،
وذات الجنب على نوعين : حقيقي ، وغير حقيقي ، فالحقيقي ورم يظهر في غشاء
بين الأضلاع ، وغير الحقيقي يظهر في الجنب الأيسر من احتقان ريح غليظ
وهذا الدواء لهذا النوع ، لأن القسط الهندي إذا سحق سحقاً جيداً وخلط

بالزيت وطلّى به ذلك المكان أو لعق منه بالإصبع حلل تلك المادة وقوى
أعضاء الباطن وفتح السدد (وأما النوع) الحقيقي فإن كان من مادة بلغمية ،
فهذا الدواء علاجه خصوصا حالة انحطاطه المرض ، ولما اشتد به صلّى الله عليه وسلّم مرضه
وكان عنده نساؤه ، والعباس ، وأم الفضل بنت الحارث ، وأسماء بنت عميس
فتشاوروا في لده (١) فلدوه وهو مغمور فلما أفاق قال : « من فعل بي هذا ؟
هذا من عمل نساء جئن من هنا ، وأشار بيده إلى أرض الحبشة يشير إلى أم سلمة
وأسماء قالوا : يا رسول الله حسبنا أن يكون بك ذات الجنب قال : فبم
لددتموني ؟ قالوا : بالعود الهندي وشيء من ورس وقطرات من زيت قال :
ما كان الله ليقتدني بذلك الداء ، ثم قال : عزمت عليكم لا يبقى في هذا البيت
أحد إلا لد إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم » والله أعلم .

(فصل) وإذا حدث برأسه صلّى الله عليه وسلّم صداع (٢) وضع عليه الحناء
ويقول : هذا ينفع الصداع . وفي سنن ابن ماجه « أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان إذا
أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول : إنه نافع بإذن الله من الصداع » [٣]
والمراد به نوع من الصداع ، وهو ما لم يكن مادياً ، بل كان ملتهباً بحرارة
الشمس ، والحناء لهذا النوع نافع سيما إذا دق ولت بالخل وضمده به الجهة .
وثبت في سنن أبي داود « أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما شكا إليه أحد وجعا في
رأسه إلا قال له : اختضب بالحناء » وفي الترمذى عن أم نافع قالت : لا تصيب
النبي صلّى الله عليه وسلّم قرحة ولا شوكة إلا وضع عليه الحناء .

(فصل) كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول : « لا تسكرهوا مرضاكم على الطعام

(١) اللدود : بالفتح هو من الأدوية ما يسفاه المريض في أحد شقي الفم ، ولديد الفم جانباه
(٢) حقيقة الصداع سخونة الرأس واحتمائه لما دارفيه من بخار يطلب النفوذ من الرأس
فلا يجد منفذاً ويكون عن أسباب عديدة انظر زاد المعاد لابن قيم . (٣) قال ابن قيم في
زاد المعاد في صحته نظر .

والشراب ، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم » (رواه الترمذى فى جامعه وابن ماجه) (١) عن عقبه بن عامر الجهنى رضى الله عنه يرفعه ، وحكمته ظاهرة لأن طبيعة المريض مشغولة بانضاج المادة وإخراجها ، وإذا أكره المريض على الطعام والشراب تعجز الطبيعة عن فعلها وتشتغل بهضم الطعام والشراب ، ولا تنضج المادة أصلاً بل يبقى شىء غير نضج ، ويشتد المرض ولا ينبغي أن يعان على قوة المرض إلا أجزاء لطيفة من الأشربة والأغذية يحصل بها القوة للمريض ، ولا تشتغل الطبيعة بانضاجها كالأشربة اللطيفة وأوراق الفرائج وإنعاش القوة الغريزية بشم العطر واستماع الأخبار المفرحة .

﴿فصل﴾ يظهر فى حلق بعض الأطفال علة من ثوران الدم يقال لها : العذرة أمر ﷺ فى علاجها بالقسط الهندى وبعض الدايات ، تعصر لها الصخير بإبهامها فتخرج الدم فهى ﷺ عن ذلك (٢) وقال : «خير ما تداوئتم به الحجامه والقسط البحرى وقال : لا تعذبوا صديانكم بالغمز فى العذرة (٣)» وفى مسند الإمام أحمد « دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دماً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : به العذرة ، أو وجع فى رأسه فقال : ويلكن لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتأخذ قسطاً هندياً فلتحكه بماء ثم تسعطه إياه ، فأمرت عائشة فصنع ذلك بالصبي فبرئ » ولما كانت مادة تلك العلة دماً غلب عليه البلغم كان العلاج بالقسط موافقاً ، لأن القسط مجفف ، ومقو للعضو ، والتسعيط الذى أمر به ﷺ : هو أن يصب الدواء فى الدماغ حالة الاستلقاء ، وإذا

(١) الزيادة من زاد المعاد (٢) ليسمع هؤلاء الامهات الجاهلات اللواتى يطرعن أبواب الدايات بأطفالهن فتجنى بذلك على طفل برىء ، مع أنهن لو سلكن طرق العلاج الصحيح ، وهى كثيرة فى زماننا ، لنفعت طفلها ، وخرجت من إصر الإهمال (٣) هو فى الصحيحين .

ووصل إلى الدماغ تخرج العلة بالعطاس ، ومدح ﷺ التداوى بالسعوط ، واستعط هو ﷺ (١) .

﴿ فصل ﴾ من اشتكى وجع القلب يقال له : مفؤود ، لأن الوجع أصاب فؤاده ، وأمر ﷺ في دوائه بتمر المدينة ، ثبت في سنن أبي داود عن سعد قال : « مرضت مرضاً فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي ، إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كعدة من ثقيف فانه رجل يطيب ، ثم قال : فليأخذ ، يعني صاحب هذه العلة سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن » وفي انتمر خاصية عجيبة لهذا المرض ، وفي تخصيص السبع سر علم بالوحى ، وقال « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر (٢) » وقال : « إن في عجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة » وينبغي أن يعلم أن شرط انتفاع المريض بالدواء أن يعتقد نفعه أو تقبل طبيعته عليه فيستعين بذلك على دفع العلة ، كما أن جمعاً من الأكابر عالجوا بالحبة السوداء في جميع الأمراض ، وبعضهم استعمل العسل في جميع الأمراض وببركة حسن الاعتقاد دفعت تلك الأمراض .

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ المرضى بالحمية ومنع من الغذاء المخالف ، والأصل في الحمية نص التنزيل (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) أمر المريض بالاحتماء عن استعمال الماء البارد لأنه يضره ، وروى أم المنذر الأنصارية فقالت : « دخل على رسول الله ﷺ ومعه علي ، وعلي ناقة من مرض ولنا داول معلقة ، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها وقام علي يأكل منها فطفق

(١) هو في سنن أبي داود ثابت . (٢) عزاه ابن قيم في زاد المعاد إلى للصحيحين

النبي ﷺ يقول لعل: إنك ناقه إنك ناقه حتى كف ، قالت : وصنعت شعيراً
وسلقاً فجئت به ، فقال النبي ﷺ لعل : من هذا أصب ، فانه أنفع لك «
ويروى « من هذا فأصب فانه أوفق لك (١) » . وعن صهيب قال : « قدمت
على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر فقال : ادن فكل ، فأخذت تمرأ فأكلت ،
فقال : أتاكل تمرأ وبك رمد ؟ فقلت : يا رسول الله ، أمضغ من الناحية
الأخرى ، فتبسم رسول الله ﷺ (٢) وقال : « إن الله إذا أحب عبده
حماه الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه عن الطعام والشراب » (وأما) الأحاديث
المشهورة الجارية على السنة العوام من المفتريات فمنها الحمية رأس كل دواء
المعدة بيت كل داء ، عودوا كل جسد ما اعتاد - فلا يصح رفعها إلى النبي
ﷺ - وصح أنها من كلام الحارث بن كلدة ، وجاء في حديث آخر « إن
بيت المعدة ، حوض البدن والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت
العروق بالصحة وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » .

(فصل) أمر ﷺ في دواء وجع العين بالسكون والراحة ، ومنع
أمير المؤمنين علياً من أكل الرطب في حال الرمد وكان لا يقرب من بها
رمد من أمهات المؤمنين إلى أن يحصل لها الشفاء .

(فصل) أمر ﷺ في دواء الخدران الكلى بالماء البارد ، اتفق أن
جماعة ساروا في طريق فوصلوا إلى شجرة لم يعملوا ما هي فأكلوا منها فقدروا
في مواضعهم وبطل حسهم فقال ﷺ بردوا الماء في الشنان وصبوا عليهم
فيما بين الأذنين يعني أذان الفجر والإقامة ، وهذا من أفضل المعالجات .

(فصل في إصلاح الطعام والشراب الذي سقط فيه الذباب)
روى أبو هريرة « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فأمقلوه فإن في أحد

(١) رواه ابن ماجه في سننه . (٢) هو في سنن ابن ماجه .

جناحيه داء وفي الآخر شفاء (١) « وفي رواية أبي سعيد الخدري « فانه يقدم السقم ويؤخر الشفاء (٢) » وفي هذين الحديثين أمران : فقهي وطبي (أما) الفقهي فهو أن الذباب إذا وقع في ماء أو مائع فمات لا ينجس وذا قول جمهور العلماء (وأما) الأمر الطبي ، فهو دفع ضرر الأشياء بأضدادها لأن الذباب إذا وقع في طعام أو شراب قصد دفع ضرر ذلك بسلاحه المسموم فقدمه ، لا جرم أمر رسول الله ﷺ أن يقابل السمية بالترياقية ليدفع ضرره .

(فصل) أمر ﷺ في علاج البثرات بالذرية ، والبثرات جراحات صغار تظهر بسبب خلط على ظاهر البدن ، والذرية دواء يؤتى به من الهند يخرج من قصب الذريرة ، عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : « دخل على النبي ﷺ وقد خرج في إصبعي بثيرة فقال : هل عند ذريرة ؟ قالت : نعم قال : ضعها عليها وقولي « اللهم مصغر الكبير ، ومكبر الصغير صغر ما بي (٣) » ، وإذا كان بأحد ورم أمر النبي ﷺ ببطه . عن علي رضي الله عنه قال : « دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعود بظهره ورم فقال رسول الله ﷺ : هذه مدة بطوا عنه ، قال علي : فما برحت حتى بطت والنبي ﷺ شاهد » وفي مرة أخرى أمر ﷺ ببط شخص كان قد ورم فقالوا : يا رسول الله ، هل ينفع الطب ؟ فقال : « الذي أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء (٤) » .

(فصل) أمر ﷺ أن يعالج المريض في بعض الأحيان بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم ، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

(١) هو في الصحيحين ، ومعنى « امتلوه » اغمسوه (٢) هو في سنن ابن ماجه مطولا اختصره المصنف « ٣ » عزاه ابن قيم في زاد المعاد إلى ابن السني (٤) هذان الحديثان ذكرهما ابن قيم في زاد المعاد بقوله : ويذكر ، وهذه صيغة تدل على الضعف والله أعلم .

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك لا يرد شيئاً »
ويطبخ نفسه (١) « وأمر ﷺ في معالجة الحزن والغم بالتلبية - وهي طعام رقيق يصنع من دقيق شعير غير منخول - بشرط أن يطبخ طبخاً تاماً ليكون في القوام والرقّة كالحليب ، ولذا قالوا التلبية . ، وله حكم ماء الشعير الذي عليه اعتماد الأطباء في أكثر المعالجات عن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت إذا مات الميت من أهلها ، واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلى أهلن أمرت ببرمة تلبية فتطبخت وصنعت ثريداً ثم صببت التلبية عليه ، ثم قالت : كلوا منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول التلبية بحمة لفؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن (٢) » ، وجاء في حديث آخر « عليكم بالبغيض النافع التلبين (٣) » وثبت في حديث عن عائشة أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا قيل له : إن فلاناً وجع لا يطعم الطعام قال : عليكم بالتلبية فاحسوه إياها » ، وكان يقول : والذي نفسي بيده إنها تغسل بطن أحدكم كما تغسل إحداكن وجهها من الوسخ » .

(فصل في علاج السم)

جاءت امرأة يهودية إلى رسول الله ﷺ في خير بشاة مصلية فتناول منها فتمطقت الشاة فقالت الذي معناه لا تزدد علي هذا فإني مسمومة فطلب ﷺ المرأة وقال : لم فعلت هذا ؟ فقالت : إن كنت نبيا لا يضررك فاحتجم بين الكتفين في ثلاثة مواضع ، وأمر من أكل معه بذلك ، وعاش بعدها ثلاث سنين ، وكان يقول في كل سنة ، ما زلت أجد ألم لقمة خير ، وقال عام وفاته : ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير

« ١ » رواه ابن ماجه في سننه « ٢ » هو في الصحيحين « ٣ » عزاه ابن القيم إلى السنن والحجة بالجم والميم من الاجام وهو الراحة .

حتى كان هذا أوان انتطاع الأبرار منى فتوفى رسول الله ﷺ شهيداً (١) .

﴿ فصل فى علاج السحر ﴾

لما سحره اليهود ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر ﷺ بالحجامة على قمة رأسه المبارك ، ومن لاحظ له من الدين والإيمان يستنكر كل هذا العلاج ولو نقل عن كبار الأطباء كجالينوس ، وأرسطاطاليس لم ينكره ، ولما عملت مادة السحر إلى رأسه المبارك كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة ، واختلطت المادة الدموية بتلك المادة فغلبتا على بطن الدماغ فخرج عن طبيعته الأصلية لأن السحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة ، وانفعال قوى الطبيعة ، واستعمال الحجامة فى محل تضرر بالسحر غاية الحكمة ، ونهاية حسن المعالجة ومن جملة العلاجات التى هى عظيمة النفع فى السحر الأدوية الربانية من الآيات والدعوات المبطللة لذلك ، وكل ما كان أقوى بطل به السحر عاجلاً لا جرم لما نزلت المعوذتان بطل السحر بالسكية .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ فى بعض الأحيان يعالج البدن بالقيء ، عن أبى الدرداء « أن النبى ﷺ جاء فتوضأ فلقيت ثوبان فذكرت له ذلك فقال : صدق ، أنا صبيت له وضوءه (٢) » ، والقيء أحد الاستفراغات الخمس التى هى أصل أنواع الاستفراغات ، وهى الإسهال ، والقيء ، وإخراج الدم ، وخروج الأبخرة ، والعرق . وقد وردت السنة بالخمس كما ذكرناه .

﴿ فصل ﴾ كان ﷺ يضمن من يعالج بغير معرفة ، عن عمرو بن العاص يرفعه « من تطيب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن (٣) » ولا خلاف

(١) وأبو بكر رضى الله عنه توفى أيضاً شهيداً بسبب لدغ الحيات له فى الغار عند ما وضع رجليه فى ثقبها (٢) رواه الترمذى وقال : وهذا أصح نية فى الباب (٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه

بين العلماء أن من طبب بغير علم فأهلك المريض لزمه الضمان ، وإن حضر طبيبان في حضرته ﷺ أشار إلى أحدهما ، وروى مالك في الموطأ عن زيد ابن أسلم « أن رجلا في زمن رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم ، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظر إليه فزعم أن رسول الله ﷺ قال لهما : أيكما أطب ؟ فقالا : أفي الطب خير يا رسول الله ؟ فقال : الذي أنزل الداء أنزل الدواء »

﴿ فصل ﴾ أمر ﷺ باجتنب معاشرة أرباب الأمراض المعدية كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً « فر من المجذوم كما تفر من الأسد (١) » وصح في حديث جابر « أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فقال له : إنا بايعناك فارجع (٢) وفي حديث ابن عباس مرفوعاً « لا تدبوا النظر إلى المجذومين (٣) » وجاء في حديث آخر « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رحين (٤) » ، والجذام مرض خبيث يظهر من انتشار السوداء في جميع البدن فيفسد مزاج الأعضاء ، وتغير شكلها وهياتها ، وجاء في حديث آخر أنه ﷺ « أكل مع مجذوم طعاماً وأخذ بيده ، وجعلها معه في القصعة ، وقال : كل بسم الله ثقة بالله وتوكل عليه (٥) » والجواب عن حديث « لا عدوى ولا طيرة » قالوا إنما أمر بالاحتراز منهم ، لئلا يصل هذا المرض إلى أحد والعياذ بالله فينصور له بهذا أن العدوى حق ، وقال بعضهم في الجواب : الأمر باجتنب المجذوم على سبيل الاستحباب والاختيار ، والإرشاد ، ومؤاكلة المجذوم لبيان جواز الفعل ، والإعلام بأنه غير حرام ، وقال بعضهم في الجواب : إن الخطاب

« ١ » رواد البخاري في صحيحه لعنقاً « ٣ » رواد مسلم في صحيحه « ٣ » رواد ابن ماجه

في سننه . « ٤ » ذكر ابن القيم في زاد المعاد بلفظ « ويذكر » المشعر بالتضعيف .

« ٥ » رواد الترمذي .

فيه غير كل لـكل مؤمن ، وإنما خاطب كل مؤمن بما يليق ويتسع له حاله فمن كان إيمانه وتوكله في نهاية القوة فلا يتضرر بمخالطتهم لأن قوة إيمانه تدفع قوة العدوى ، وأما الضعفاء فأمرهم بالاحتياط والاحتراز وهو ﷺ بإشرار الصورتين ليمتدئ به فيأخذ القوى بطريق التوكل ، والضعيف بإريق التحفظ .

(فصل) منع ﷺ عن التداوى بالمحرّمات . روى أبو الدرداء « أن الله تعالى أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداؤوا ولا تداؤوا بالمحرّم (١) » ، وروى ابن مسعود « أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم (٢) » وسأل طارق النبي ﷺ عن عمل الخمر فنهاه فقال إنما أصنعه للدواء فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء (٣) » وفي لفظ آخر في سنن أبي داود والترمذي عن طارق « قلت يا رسول الله إن بأرضنا أعنابا نعتصرها ونشرب منها ، قال : لا ، فراجعته فقلت : إنا نستشفى بها للمريض ، قال إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » وفي سنن النسائي مروي « أن طبيبا ذكر أن الضفدع تنفع في هذا الدواء فنهى ﷺ عن قتل الضفدع » وثبت في حديث آخر « من تداوى بالخير فلا شفاء الله » .

(فصل) أمر ﷺ في علاج القمل بحلق الرأس لتتفتح المسام ، وتتصاعد الأبخرة ، وتضعف المادة التي يتولد منها القمل .

(فصل في المعالجة بالأدوية الروحانية الربانية والأدوية المركبة منها ، ومن الطبيعة)

كان ﷺ يقول : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » ورخص في رقية العين والحمة والنملة . روى مالك

(١) رواه أبو داود في سننه (٢) رواه البخاري في صحيحه (٣) رواه مسلم في صحيحه

« أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل فتأمل في حسن بدنه وقال : والله ما رأيت مثل هذا ، ولا جلد مخدرة ، فلبط سهل لحيته ، وبلغ خبره رسول الله ﷺ فغضب على عامر ، فدعا عامراً فتغلظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه إلا بركت ، اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه ، وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه فراح مع الناس ليس به بأس » قوله : ألا بركت يعني لم لا قلت بارك الله فيه ، وكيفية الغسل بينها الزهري فقال : يؤمر العائن أن يدخل يده في قدح ماء ، ويخرج منه كفاً فيتمضمض به ، ثم يصبه في القدح ، ويغسل وجهه في القدح ، ثم يدخل يده اليسرى في القدح ، ويغترف ماء يصبه على ركبته اليسرى ثم يغسل إزاره ، وفي داخل إزاره قولان (أحدهما) مراده الفرج (الثاني) مراده طرف الإزار داخل الذي يلي البدن من الجانب الأيمن ، ولا يضع القدح على الأرض ثم يصب ذلك الماء على المعيون من خلف رأسه ، ورأى ﷺ في بيت أم سلمة جارية في وجهها سعة فقال « استرقوا (١) لها فإن بها النظرة » وفي سنن أبي داود عن سهل بن حنيف « مررت على ماء فاغتسلت منه فأخذتني الحمى فبلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ فقال : مروا أباً ثابت يتعوذ قال : فقلت ياسيدي والرقى صالحة ؟ فقلت لارقية إلا في نفس أوحمة أولدغة ، والنفس العين ، والحمّة كل ذي سم ، وأكثر الرقى النبوية ثابتة في الحديث الصحيح منها « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وأعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ، ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ، ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق ، وذراً وبرأ ، ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر

(١) أي التمسوا لها الرقية ، وكيفيتها مبينة فيما يلي

ما ذرأ في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق الليل إلا طارقا يطرق بخير يارحمن » ومن جملتها « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » ومن تلك الجملة « اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم ، اللهم إنه لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعده ، سبحانك وبحمدك » ومن تلك الجملة « أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر كل ذي شر لا أطاق شره ، ومن شر كل ذي شر ، رب أنت آخذ بناصيته ، إن ربي على صراط مستقيم » ، ومن تلك الجملة « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليه توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، ومن لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم » ومن تلك الجملة « تحصنت بالذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شيء وتوكلت على الحي الذي لا يموت ، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله حسبي الله ونعم الوكيل ، حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوق ، حسبي الرازق من المرزوق ، حسبي الذي هو حسبي ، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله مرمى ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » ومن جرب هذه الدعوات علم عظيم قدرها بالإجابات ، ومن تلك

الجملة رتبة جبريل الثابتة في صحيح مسلم التي رقى بها سيدنا رسول الله ، عليه ما من الله أفضل الصلاة والسلام : « بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل نفس ، أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك » ، ومن جملة الكلمات التي تدفع شر النظرة قول ماشاء الله لا قوة إلا بالله وإن قال العائن اللهم بارك عليه دفع شر نظره ، وجماعة من السلف أجازوا أن يكتب آيات من القرآن ويشرها المعيون قال مجاهد : لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه للمريض ، وروى أن امرأة أصابها المخاض مدة فأمر ابن عباس بكتابة آيتين من القرآن فكتبتا وغسلتا وشربت المرأة الماء ، ومن رقى العين ما روى عن أبي عبد الله الباجي أنه قال : كنت في بعض الأسفار على جمل جيد ، وكان في القافلة شخص معروف أنه إذا نظر إلى شيء واستحسنه تلف ، فقبل لأبي عبد الله ذلك فقال : ليس له قدرة على جمل ، فبلغ كلامه إلى العائن فارتقب أبا عبد الله عند المنزل ، ثم جاء فنظر إلى البعير فاعترضه وسقط كما تسقط النخلة إذا اقتلعت من جذرها ، فلما جاء أبو عبد الله أخبر بذلك ، فقال سيروا إليه فلما رآه قال : (بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه ، وعلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فتور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) فخرجت حذقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها .

فصل (١٠) عالج ﷺ جميع الأمراض والآلام بهذا الدعاء ، وهو الذي قال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم شيئاً فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض . واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ

بإذن الله (١) ، وثبت في صحيح مسلم « أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ وهو وجع (فقال : يا محمد اشتكيت ؟ قال نعم) قال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس وعين ، بسم الله أرقيك ، والله يشفيك » ، والذي رويناه « لا رقية إلا في عين أو حمة (٢) » المراد أنه لا رقية أولى وأنفع منها في ذلك ، وأكبر الرقي فاتحة الكتاب ، والنبي ﷺ قال : خير الدواء القرآن (٣) « وهي مشتملة على معانيه ، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : « انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شيء فلم ينفعه فقال بعضهم : لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شيء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء فلم ينفعه ، فهل عند أحدكم من شيء ؟ فقال بعضهم : أي والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضافناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ، فصالحوهم على قطع من الغنم فانطلق يتفعل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عقال قال فانطلق يمشي وما به قلبية (٤) فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه » هذا لفظ البخاري وقال بعضهم : « اقتسموا فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر الذي كان فيه فننظر الذي يأمرنا به فقدموا على النبي ﷺ فذكروا له (ذلك) فقال : وما يدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم اقسموها واضربوا لي معكم سهماً » (وأما) في لدغ العقرب ففي مسند أبي بكر بن أبي شيبة مروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ يصلي (إذ سجد)

« ١ » رواه أبو داود في سننه « ٢ » رواه أبو داود « ٣ » رواه ابن ماجه

في سننه « ٤ » أي علة وألم .

فلدغته عقرب في إصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال : لعن الله العقرب
ماتدع نبياً ولا غيره ، ثم طلب ظرف ماء وملحاً ووضع إصبعه في الماء
والمالح ، وقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ، ولم يزل يكررهن حتى زال
الآلم ، وفي سنن أبي داود عن الشفاء بنت عبد الله أنها قالت « دخل على
رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال : ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها
الكتابة ، والنملة جراح تظهر على الجنب تؤلم المأ شديداً يحس المريض منها
حركة النملة ، وكانت الشفاء بنت عبد الله دائماً بمكة ترقى هذا المرض ، فلما
هاجرت أتت النبي ﷺ وقالت : يا رسول الله كنت في الجاهلية أرقى من
النملة ، وأريد أن أعرض ذلك عليك ، ثم قال : بسم الله صلت حتى يعود
من أفواهنا ولا تضر أحداً اللهم اكشف الباس رب الناس » يقرأ هذا
الدعاء على خشبة ثم تحك على حجر بخل حاذق ويطل به الجراح ، وأما في سائر
الجراحات والقروح فقد روت عائشة « كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى
الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان
سبابته بالأرض ثم رفعها ثم قل بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا
بإذن ربنا (١) » وهذا علاج سهل هين نافع مركب من طبيعي وإلهي لأن
التراب بارد يابس مجفف لطوبات القروح والجراحات خصوصاً في البلاد
الحارة لاسيما تراب المدينة « وجاء شخص فقال : يا رسول الله في بدني ألم
عظيم منذ أسليت فقال ﷺ : ضع يدك على الذي تألم من جسدك ، وقل
بسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد
وأحاذر (٢) » وأما في ألم المصائب ودفعها فقال ﷺ : « ما من عبد تصيبه
مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف

لى خيراً منها إلا أجره الله فى مصيبيته ، وأخلف له خيراً منها (١) .

﴿ فصل فى علاج . الكرب . والغم . والهم . والحزن ﴾

كان رسول الله ﷺ يقول - عند الكرب - « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم (٢) » وفى جامع الترمذى ، كان إذا حزبه أمر قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » وكان إذا أهمه الأمر ، رفع رأسه إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال : يا حى يا قيوم » (٣) وقال : دعوات الكرب ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت » (٤) وقالت أسماء بنت عميس : « قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمك كلمات تقولين عند الكرب ، الله ربى لا أشرك به شيئاً » سبع مرات (٥) وقال : « ما أصاب عبداً هم ولا حزن » فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً » (٦)

وقال ﷺ : « دعوة ذى النون ، إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم قط فى شيء إلا استجاب له » (٧) « ودخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم ، فإذا

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده (٢) هو فى الصحيحين (٣) رواه الترمذى

(٤) رواه أبوداود فى سننه (٥) رواه أبوداود فى سننه (٦) رواه الامام أحمد

فى مسنده عن ابن مسعود (٧) رواه الترمذى عن سعد بن أبى وقاص

هو برجل من الأنصار يقال له : أبو أمامة . فقال له : يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة ؟ قال : هموم لزمتمني وديون يارسول الله ، قال : أفلا أعليك كلاما إذا قلته أذهب الله « عز وجل » همك ، وقضى عنك دينك ؟ فقلت : بلى يارسول الله . قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، قال : ففعلت فأذهب الله « عز وجل » همي وغمي وقضى عني ديني (١) » وقال ﷺ « من لزم الاستغفار ، جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب (٢) » وفي مسند أحمد « كان إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة » وكان يقول « اجتهدوا في الجهاد فإنه باب من أبواب الجنة وهو يدفع الكرب ، والهم ، والغم » وقال « من كثرت همومه وغموه ، فليكثر من قول ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » وفي صحيح ابن حبان ، قال شخص في دعائه : « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت الخان المنان ، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » وفي علاج الخوف والأرق أمر أيقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من خلقك كلهم جميعا أن يفرط على منهم أحد أو أن يبغى على عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك » (٣) وأمر في علاج الحريق بالتكبير (٤) .

(١) رواه أبو داود في سننه (٢) رواه أبو داود عن عباس
(٣) رواه الترمذي في سننه (٤) ولقد جربنا ذلك فوجدناه نافعا

﴿ فصل في العادة النبوية في الطعام ، والشراب ﴾

كان ﷺ يقول : « لا آكل متكئاً إنما أجلس كما يجلس العبد و آكل كما يأكل العبد » ونهى أن يأكل الإنسان مستلقياً على وجهه ، وكان يأكل بثلاثة أصابع ، ولم يأكل بواحدة أبداً ، ولم يجمع بين سمك ولبن ، ولا بين اللبن وشيء من الحوامض ، ولا بين غذاءين حارين ، ولا بين دواءين لزجين ، ولا بين قابضين ، ولا بين مسهلين ، ولا بين غليظين ، ولا بين مختلفين كقالبض ومسهل أو سريع الهضم وبطيئه ، ولا بين المشوى والمطبوخ ، ولا بين القديد والرطب ، ولا بين الحليب والبيض ، ولا بين اللحم والحليب ، وكان لا يأكل الطعام في جال شدة حرارته حتى يبرد ، ولا يأكل طعاماً بائناً ، ولا مافيه عفونة من الأطعمة كالكمخ ، والمخللات ، والملوحات ، ولم يثبت أنه تناول منها شيئاً ، وكان يدفع ضرر بعض الأغذية بأضدادها ، كالتمر بالسمن ، والرطب بالقثاء ، وكان ينقع التمر ويشرب ماءه ، لهضم الطعام وأمر أن يؤكل ما تيسر من الطعام قبل النوم ولو كفا من تمر ، ونهى عن النوم عقيب الأكل ، وأما شرب العسل ، فانه كان يمزجه بماء بارد في غاية البرودة ، ولما كان العسل أفضل الأشربة بإجماع أهل العلم لأنه نتيجة الوحي الإلهي كان يحبه أكثر من جميع الحلاوات ، ولما دخل ﷺ بستان ابن التيهان قال : هل عندكم ماء بات في شنة وإلا كرعنا ؟ والمراد بالكرع هنا الاغتراف باليدين إذ يكون الشرب باليد متعذراً في تلك الحالة فأدت الضرورة إلى الكرع ، وكان ﷺ يشرب قاعداً ، وينهى أن يشرب أحد قائماً وكان يقول : من نسي فشرب قائماً فليتيقياً ، لكن ثبت في الصحيح أنه شرب قائماً كما ذكرناه في الحج قال بعضهم : هو ناسخ للنهي ، وقال بعضهم : هذا مبني على أن النهي لم يكن للتحريم وإنما كان للإرشاد ، وقال بعضهم

ليس فيه تعارض لأنه إنما شرب قائماً للضرورة ، وكان ﷺ يتنفس في الإناء ثلاثاً » ويقول إنه أروى وأمرأ وأبرأ ، وقال « غطوا الإناء وأوكثوا السقاء ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، وسقاء ليس عليه وكاء إلا وقع فيه من ذلك الداء ، ونهى عن الشرب من ثلثة القدح - يعنى من المكان المكسور - وكان يشرب الحليب المحض ، وقد يمزجه بالماء ويقول : ليس شيء يحزى عن الطعام والشراب غير اللبن ، وكان ينقع التمر في الماء ليلة ، وليلتين ، وثلاث ليال ، ثم يشربه وما بقي مما مضى عليه ثلاث ليال يسقيه بعض الغلمان أو يأمر بإراقته .

(فصل) لم يكن له ﷺ ولا لأصحابه ، التفات إلى المسكن والمنزل لأنهم يعلمون أنهم على ظهر سفر لا جرم أنهم اكتفوا بقدر الحاجة مما يدفع الحر والبرد ، ويمنع ولوج الدواب والبهايم ويحصل به ستر من عيون بني آدم وأما الزخرفة والتعلية والتوسعة فلم تكن أصلاً .

(فصل) وأما تدبير النوم واليقظة ، فكان على أعدل الوجوه ، كان ﷺ ينام أول الليل ويقوم أول النصف الثاني ، فيتسوك ويتوضأ ويتجهجد على الوجه الذى بيناه لا جرم أن البدن والأعضاء ، أخذت من النوم والراحة والرياضة بآتم حظ ، وأوفر أجر ، وأكمل عبادة ، وكان لا يزيد في النوم على القدر المحتاج إليه ، ولا يمتنع النفس من قدر الحاجة ، وكان إذا قصد النوم ، اضطلع على الشق الأيمن ، ولا يزال مشتغلاً بالذكر حتى يغلبه النوم ، وكان لا ينام على الفرش المحشية حشواً عالياً ، ولا يبيت على الأرض المجردة ، وفي بعض الأحيان ، كان يضع رأسه على الوسادة وقد يتوسد ساعده المبارك ﷺ .

﴿فصل في الجماع والباء﴾

فكان هديه ﷺ أكمل هدى يحفظ به الصحة ، ويتم به اللذة ، وسرور النفس ، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها ، فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور ، هي مقاصده الأصلية أحدها : حفظ النسل ، وداوم النوع إلى أن يتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم . الثاني : إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بحملة البدن . الثالث : قضاء الوطرونيل اللذة والتمتع بالنعمة ، وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان ، وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ، لأن المني إن دام احتقنه ، أحدث أمراضاً رديئة ، وحث النبي ﷺ على التزويج أمته ، فقال : « تزجوا فإني مكاثركم بكم الأمم » وقال ابن عباس : « خير هذه الأمة أكثرها نساءً » وقال ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » أى وقاية وحفظ من الوقوع في الزنا المهلك ، وكان ﷺ يحرض أمته على نكاح الأبكار الحسان وذوات الدين . وأنفع الجماع ما حصل بعد هضم ، وعند اعتدال البدن في حره وبرده ، ولا يكون البدن ممتلئاً ولا خلوًا ، وضرره عند امتلاء البدن أسهل ، ولا يجتمع إلا إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلف ولا فسك في صورة ، وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي توطأ مثلها ، والتي لا شهوة لها ، والمريضة ، والقبيحة المنظر ، والبغيضة ، لا فوطء هزلآ يوهن القوى ويضعف الجماع ، وجماع البكر أنفع وأحفظ في الصحة من جماع الثيب ، وجماع الحائض ، حرام طبعاً وشرعاً ، فإنه مضر جداً ، روا الأطباء قاطبة ، تحذر منه ، وأما الوطء في الدبر ، فلم يبيح قط على لسان

نبي من الأنبياء ، وقال رسول الله ﷺ : « ملعون من أتى المرأة في دبرها »
رواه أبو داود في سننه ، وفي لفظ للبيهقي « من أتى شيئاً من الرجال والنساء
في الأدبار فقد كفر » والله أعلم (١) .

﴿ فصل ﴾ أمر في حفظ الصحة باستعمال الطيب كثيراً ما كان يستعمله
وكان له ظرف خاص بالعطر والطيب ، منه يستعمل الطيب وما رد طيباً قط
وقال : « من عرض عليه شيء من الرياحين فلا يردّه لأنه طيب ولا مؤنة
فيه (٢) » يعني من جهة المنّة ، ولا من جهة الثقل والحمل ، وفي مسند البزار
أنه ﷺ قال « إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب
الكريم جواد يحب الجود فنظفوا أنفسكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود
يجمعون أبناءهم في دورهم » الأكباء - الأرواث والزبالة - وثبت أنه قال :
إن الله حتماً على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام وإن كان له طيب
أن يمس منه .

﴿ فصل في حفظ صحة العين ﴾

أمر ﷺ بالمداومة على الاكتحال وقت النوم ، وثبت في مسند أبي داود
« أمر رسول الله ﷺ بالأثم المروح عند النوم ، وقال : ليتقه الصائم »
والمروح ما طيب ريحه بالمسك ، وورد في سنن ابن ماجه « خير أكلالكم
الأثم يحلو البصر وينبت الشعر » وجاء في رواية أخرى « عليكم بالأثم فإنه
منبته للشعر مذهبة للتمذى مصفاة للبصر » وكان للنبي ﷺ مكحلة خاصة ،
وكان إذا اكتحل اكتحل في العين اليمنى ثلاثاً ، وفي العين اليسرى اثنتين

(١) هذا الفصل زدناه من زاد المعاد وألحقناه في هذا الكتاب تماماً للفائدة كتبه
محمد منير الدمشقي . (٢) هو في صحيح مسلم ، والرائحة الطيبة هي غذاء للروح والروح
مطية القوى والقوى تزدد بالطيب وهو يقوى الدماغ واللب وسائر الأعضاء الباطنة ،
ويفرح القلب ويسره .

يجعل أولاً في العين اليمنى ميلين ثم في اليسرى ميلين ثم يجعل ميلاً ثالثاً في العين اليمنى وقال : « من اكتحل فليوتر (١) » وفي الإيتار قولان (أحدهما) أن يجعل في كل عين ثلاثة ليكون الوتر في كل عين (الثاني) أن يجعل في العين اليمنى ثلاثة وفي اليسرى اثنين ، يبدأ باليمنى ويختم بها كما تقدم تفضيلاً لليمنى على اليسرى .

﴿ فصل في القرض والسلف ﴾

كان من العادة النبوية أنه يفي أحسن مما أخذ وأرجح ، وأن يدعو له ، ويقول : بارك الله لك في أهلك ومالك إنما جزاء السلف الحمد والأداء ، واقترض مرة من أنصاري مقدار أربعين صاعاً من قوت ، فاحتاج الأنصاري فجاء وطالب ، فقال ﷺ : لم يحضرنا شيء ، فأراد الأنصاري أن يغلظ في الكلام فقال ﷺ احفظ لسانك ولا تقل إلا خيراً فأني خير من اقترض (٢) ثم بعد ذلك أعطاه أربعين صاعاً من القوت ، وأدى إليه أربعين صاعاً قرضة فصارت الجملة ثمانين صاعاً ، وجاءه في بعض الأيام غريم فتقاضاه أشد تقاض فأراد عمر بن الخطاب أن يؤذيه ، فقال ﷺ : « مه يا عمر كنت أحوج إلى أن تأمرني بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر » وفي مرة أخرى جاء يهودى يتقاضاه ديناً ، فقال له ﷺ : « لم يحل أجل دينك ، فاصبر إلى أن يحل ، فقال له اليهودى : أنتم يا بني عبد المطلب صنعتكم الكذب في العدة ، فجاشت الصحابة وأرادوا إهلاكه ، فسكنهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الحلم ، فقال اليهودى : قد شاهدت فيك جميع علامات النبوة ، ولم يبق إلا واحدة ، وهى أنى كلما زدت على النبي جهلاً زاد حلاً وعفواً ، فأردت أن أختبر ذلك وقد علمته ، ودخل في دين الإسلام من حينه رضى الله عنه .

(١) رواه أبو داود (٢) لعل قيام أحد الأنصار بهذه الواقعة يئانا لما يجب أن يكون عليه المتقاضون .

(فصل في صفة مشيه ﷺ)

كان إذا مشى كأنما ينحط من صلب يخطو تكفوفاً : يعنى كأنما يقلع نفسه من الأرض قلعاً ، وهذا مشى الشجعان ، وأصحاب الهمم العالية ، ومن قلبه حى ، وأعدل ما يكون من المشى ؛ لأن الماشى إما تماوت يابس كالخشبة أو طائش مزعج قلق مضطرب ، وهذان النوعان فى غاية القبح والذم ودليل على خفة الدماغ ، وقلة العقل أو على الخمول وموت القلب ، وإما بأنهم حركة وأقل سرعة ، وهذا النوع يسمى مشى الهون (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) قال المفسرون : يعنى سكينته ووقاراً من غير كبر ولا تماوت ، وهذا النوع من المشى كان له ﷺ ، ومع هذا كان يرى كأنه ينحط من صلب ، وكانت الأرض تطوى له ، وأنواع المشى عشرة هذه الثلاثة و (الرابع) السعى (والخامس) الرمل (السادس) النسلان وهو عدو خفيف (السابع) الخوزلى ، وهو مسير فيه تمايل (الثامن) القهقرى (التاسع) الجزى ، وهو وثوب فى المسير (العاشر) التبختر ، وهو مشى المتكبرين ، وأفضل هذه الجلة وأكملها الهون الذى هو مشيه ﷺ ، وكان إذا سار مع أصحابه قدمهم أمامه ومشى خلفهم ، وقال : دعوا ظهري للبلائكة ، وكان يمشى منتعلاً ، وفى بعض الأحيان يمشى حافياً ، وأصاب إصبع رجله المباركة حجر فى بعض غزواته ، فسال دمها فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

وكان فى السفر يعصب جميع أصحابه ، ويقوى الضعفاء ، ويدعو لهم ، ويحمل المنقطعين ويردّهم فى بعض الأحيان خلفه ﷺ .

(فصل فى كلام النبي وسكوته ، وضحكه وبكائه ﷺ)

أما كلامه ، فكله فصل بين لو شاء أحد أن يعد كلاماته فعل ، ولم يكن

يسرده سر دأ لا يمكن أن يحفظ ولا يقطعه قطعاً يظهر انفصاله ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله ﷺ يسرد سر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه » وكان في بعض الأحيان يعيد الكلمة ثلاث مرات ليتمكن السامع من حفظها ، وغالب أحواله السكوت والسكون لا يتكلم إلا عن ضرورة ، وإذا تكلم تكلم بجميع فيه وأشداه بلا غمضة ولا همهمة ، أكثر نطقه بجوامع الكلم ، ولم يكن يحرك لسانه بما لا يعنيه ، وكان إذا ذكره أمراً ظهر أثر ذلك على وجهه المبارك ، وما نطق بفحش أبداً (١) ، وكان لا يضحك كثيراً جل ضحكه التبسم وغايته أن تبدو نواجذه ، وكان لا يضحك لكل ما يضحك منه ، وأما بكاءه فمعتدل نظير ضحكه ، ودموعه جارية يسمع من صدره أزيز ، وبكاءه إما لميت أو لشفقة على الأمة أو من خوف الخالق تعالى ، وكان يبكي في بعض الأحيان عند سماع القرآن ، وذاك بكاء اشتياق ومحبة وإجلال ، وفي بعض الأحيان كان يبكي في صلاة التهجد ، ومرة بكى في الصلاة وقال : رب ألم تعدني أنك لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك ، والعلماء يقولون : البكاء على عشرة أنواع : بكاء فرح ، وبكاء جزع ، وبكاء رحمة ورقة ، وبكاء خوف وخشية ، وبكاء محبة ، وبكاء غم ومصيبة ، وبكاء ضعف ووحشة وبكاء نفاق ومداهنة وبكاء كذب وعارية كبكاء النائحة وبكاء مؤالفة وموافقة كما إذا رأى جماعة يبكون ، ولم يعلم سبب بكائهم فيبكي موافقة لهم .

(فصل في الفطرة وتوابعها)

للعلماء أقوال في ختانه ﷺ : (أحدها) أنه ولد مختوناً مسروراً .
(الثاني) أن الملائكة ختنته في اليوم الذي شق فيه صدره المبارك وعلى علمها

وحكمة ، وذلك خلف خيمة حليلة رضى الله عنها ، وكان ختانه في ذلك اليوم .
 (الثالث) أن جده عبد المطلب ختنه في اليوم السابع وسماه وأضاف ، وكان ﷺ يحب التيامن في كل شيء حتى تنعله وترجله وأخذه وعطائه وأكله وشربه ووضوئه ، واليد اليسرى لإزالة الأذى والقذى والاستنجاء والاستبراء ، وما أشبه ذلك ، وكان يحلق جميع رأسه ، ولم يروا أنه حلق في غير حج أو عمرة ، وكان يحب التسوك ، وورد في فضله أربعون حديثاً ، وكان يتسوك مفطراً وصائماً ، وعقيب النوم ، ووقت الوضوء ، ووقت الصلاة ، وعند دخول البيت ، وكان سواكه عود الأراك ، وكان يحب الطيب ، ويستعمله كثيراً ، وجاء في بعض الروايات : « أنه ﷺ استعمل النورة » وكان أولاً يرسل جميع شعره خلف قفاه ثم فرقه ، فجعل على كل جانب فرقة ولم يدخل الحمام أبداً ، والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله المشهورة بحمام النبي لها بنيت في موضع اغتسل فيه مرة (١) والله أعلم ، ولم يصبغ شعره أبداً ، ولكن كان يستعمل الطيب كثيراً فظن بعضهم أنه خضب ، وكان يدهن شعر رأسه ولحيته كثيراً ، وكان يسرح رأسه حيناً فحيناً يباشر ذلك بنفسه ، وقد يأمر عائشة فتسرحه ، وكانت جمته إلى شحمتي أذنيه ، فإذا طالت جعلها أربع غدائر ، قالت أم هانئ : « قدم علينا رسول الله ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر » وكان لا يرد الطيب ويمنع من رده ، وقال : « أطيب الطيب المسك ، وكان يحب زهر الحناء .

(فصل) كان ﷺ يقص شاربه ويقول : « من لم يأخذ من شاربه فليس منا (٢) » وقال « خالفوا المجوس جزوا الشوارب وارخوا اللحي (٣) »

(٢) رواه الترمذى وقال حديث صحيح

(١) قيل بناها جعفر ملك مصر

(٣) رواه مسلم في صحيحه

وفي الصحيحين « خالفوا المشركين وفروا للهي واحفوا الشوارب » وفي صحيح مسلم عن أنس « أن النبي ﷺ وقت لقص الشارب ، وتقليم الأظفار أن لا يدع ذلك أربعين يوماً » وفي قص الشارب للعلماء أقوال ، قال الإمام مالك يكتفي في ذلك أن يظهر طرف الشفة ولا يزيد على ذلك لئلا يصير مثله وحلق الشارب بدعة يعزر فاعله قال ، الطحاوي : ولا نص للإمام الشافعي لكن رأيت أصحابه مثل المزني ، والربيع يحفون ، وهذا دليل على أنهم أخذوه عنه ، وأما الإمام أبو حنيفة ، وزفر ، وأبو يوسف ، ومحمد فمذهبهم الإحفاء ، والإحفاء الأخذ من الأصل ، وقد ثبت في الحديث أنه ﷺ أخذ من شاربته على سواك ، وهذا لا يتصور مع الإحفاء والحديث المتفق عليه « عشرة من الفطرة قص الشارب » إلى آخره صريح في القص والقص مع الإحفاء غير متصور . قال الطحاوي : لما كان استحباب القص مجعاً عليه كان الحلق أفضل قياساً على الرأس ، وفي هذا القياس نظر ، لأن في إحفاء الشارب قبحاً ظاهراً ونوع مثله .

﴿ فصل في الجهاد وآدابه ﴾

الجهاد ذروة سنام الإسلام ، ومقام أهله في الدنيا والعقبى أعلى المنازل ، لا جرم كان حظ الجنب النبوي من ذلك أوفر الحظوظ ، وعادته في سلوك طريقه أكمل العادات وأجملها ، وأوقاته وساعاته موقوفة على الجهاد باللسان وبالجنان وبال دعوة والبيان وبالسيف والسنان (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال تعالى : (فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهاداً كبيراً) وقالت العلماء : مراتب الجهاد أربع مراتب ، جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين (أما جهاد النفس فعلى أربع مراتب (إحداهن) الجهاد في تعليم الهدى (ودين الحق الذي لا فلاح للنفس

ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين (١)
(الثانية) الجهاد في العمل بذلك العلم (٢) . (الثالثة) الجهاد في الدعوة لذلك
العلم وتعليم آدابه ، (الرابعة) الجهاد على الصبر ، واحتمال مشقات الدعوة
- إلى الله - وأذى الخلق ومن استعمل هذه المراتب الأربعة دعى في ملكوت
السموات عظيما .

وأما جهاد الشيطان فعلى مرتبتين (الأولى) الجهاد على دفع ما يلقيه من
الإرادات والشهوات ، وسلاح الأول اليقين ، وسلاح الثاني نوع صبر .
(وأما) جهاد الكفار والمنافقين فعلى أربع مراتب : القلب ، واللسان ،
والمال ، والنفس (وأما) جهاد أرباب الظلم والمنكر والبدع فعلى ثلاث مراتب
(الأولى) باليد وإن عجز فباللسان ، وإن عجز فبالقلب ؛ هذه مراتب الجهاد
وهي ثلاثة عشر . ومن لاحظ له منها فهو منافق . من مات ولم يحدث نفسه
بالغزو مات على شعبة من النفاق ، وأكمل الخلق في مجموع هذه المراتب
هو سيدنا رسول الله ﷺ لأنه من أول يوم البعث إلى يوم الوفاة لم يزل
في الجهاد ، يدعو الجن ، والإنس ، والعرب ، والعجم ، والصغير ، والكبير ،
والعبد ، والحر ، والأنثى ، والذكر إلى الحق ، ويريهم الطريق ، ويمنعهم
من الكفر والضلال ﷺ ، ولما أطلق لسانه بسب الأصنام قامت كفار
قريش بعداوته ، ولما بلغوا من أذيته الغاية ، ومن معاداته النهاية أمر بالهجرة
فهاجر جماعة إلى أرض الحبشة : عثمان بن عفان ، ورقية بنت رسول الله
ﷺ ، وعشرة غيرهم . ثم أسلم حمزة ، وفشا الإسلام وتزايد ، فاضطرب

(١) الزيادة من زاد المعاد وكذلك ما بعده . (٢) وإلا فجرد العلم بلا عمل إن لم

يضرها لم ينفعها .

الكفار لذلك اضطراباً شديداً ثم تعاقبوا على أن لا يناكحوا بنى عبدالمطلب
وبنى عبد مناف ، ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ، ولا يكالموهم حتى يسلموا
إليهم النبي ﷺ ، وكتبوا بهذه الجملة كتاباً علقوه في سقف الكعبة فشلت
يد الكاتب ، وأكلت الصحيفة الأرضة إلا موضع اسم الله ورسوله ، هذا
وبنى المطلب محصورون في الشعب مدة ثلاث سنين ، حتى أخبر جبريل
رسول الله ﷺ فأخبر أبا طالب بذلك ، وهو أخبر كفار قريش وقال لهم :
انظروا ، فإن كذب أسلمناه لكم ، وإن صدق فارجعوا عن هذا الحال ؛
فقالوا : قد أنصفت ، ولما أنزلوا الصحيفة ورأوها ازدادوا كفراً وطغياناً
ثم بعد ستة أشهر توفي أبو طالب ، وبعد ثلاثة أيام توفيت خديجة وتضاعفت
أذية الكفار ، فخرج ﷺ من مكة إلى الطائف فلم يجد من الطائف مساعدة
ولا موافقة فرجع ، ولما وصل في رجوعه إلى نخلة جاءه الجن وعرضوا
إسلامهم عليه ، ولما رجع إلى مكة عرج به فأخبر كفار قريش بما شاهد
في تلك الليلة من رؤية الأنبياء ، وفرض الصلاة . فلما سمعوا هذا ازدادوا
في تكذيبهم ، وزادوا في إيذائهم ، وكان المعراج مرة واحدة ببذنه في اليقظة
وبعضهم يقول مرتان ، وبعضهم يقول ثلاث مرات ، وبعضهم يقول أربع
مرات ، وبعد الإسراء بسنة وشهر أمر بالهجرة ، فاستصحب أبا بكر بأمر
البارئ تعالى وسافر ، ولما وصل المدينة فرح الأنصار بقدومه ، وقدموا
محبة على الآباء والأبناء ، فقامت العرب لعداوتهم ، وشنوا عليهم الغارة
من كل جانب . فنزلت آية القتال ، وحصل الإذن فيه بعد حرمة ثم افترض ،
والأحاديث الثابتة في فضل الجهاد تزيد على أربعمائة ، وكان يبايع الصحابة
على أن لا يفروا يوم الزحف ، وفي بعض الأحيان كان يبايع على الموت ،
وكان يشاور أصحابه في أمر الجهاد ، قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أكثر

مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ ، وكان يسير في عقب العسكر ويحمل من أعبائه ويرفق في سيره أتم الرفق ، ويرسل الجواسيس إلى الأعداء ، ويقدم الطلائع والمقدمات بين يديه ، ويبت الخيل حول العسكر ، وكان إذا قابل العدو استقام ودعا الله ، وسأله النصر واشتغل بذكر الله هو وأصحابه ثم أخذ في ترتيب العسكر بنفسه ﷺ وكان يعين المقاتل المبارز وفي حضرته تقع المبارزة بأمره ، وكان يلبس لامة الحرب ، وربما ظاهر بين ذرعين ، وكان في عسكره الرايات والأعلام ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بساحتهم ثلاثة أيام ثم رجع ، وكان إذا أراد الغارة على قوم انتظر . فإن سمع فيهم أذاناً لم يخر عليهم ، وكان في بعض الأحيان يأتي العدو بياتا ، وقد يشن الغارة بالنهار ، ويحب السفر يوم الخميس ، وكان إذا نزل العسكر في منزل جمع بينهم حتى لو أن أحداً غطاهم بثوب لهمهم جميعاً ، وكان يعي الصفوف بنفسه ، وفي وقت القتال كان يعين الشجعان بيده ويقول: يا فلان تقدم يا فلان تأخر وفي بعض الأحيان عند لقاء العدو قرأ هذا الدعاء « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم . سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر . اللهم انزل نصرك اللهم أنت عضدى ، وأنت نصيرى ، وبك أقاتل » وكان إذا التحم الحرب وحى الوطيس وقصده العدو قال بأعلى صوته : « أنا النبي لا كذب أبا ابن عبد المطلب » ، وكان الشجعان من أصحابه إذا اشتد بهم الأمر اتقوا به وكان أقربهم إلى العدو ، وكان يعين لأصحابه شعاراً يعرف به بعضهم بعضاً كان شعارهم مرة أمت أمت ، ومرة يامنصور يامنصور ، وحيناً حم لا ينصرون وكان في بعض الأحيان يلبس الدروع ويجعل الخوذة على رأسه ، ويتقلد حمائل السيف ، ويحمل الرمح ، ويعتضد القوس ، وربما رفع الدرقه ،

وكان يحب التبخر في حال الحرب ، ويسوى المنجنيق على الأعداء كما فعل في الطائف ، ونهى عن قتل النساء والأطفال ، وأمر المقاتلة أن ينظروا فمن ثبت قتلوه ومن لم يثبت استحيوه وأسروه ، وكان إذا أرسل طائفة للغزو أمرهم بتقوى الله فقال : « سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تملوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً » ونهى عن حمل القرآن إلى دار الحرب ، وكان إذا بعث سرية أمر أميرها أن يدعو إلى الإسلام والهجرة أو الإسلام فقط بغير هجرة ، ويكون حكمهم حكم أعراب المسلمين لا نصيب لهم في مال الفء ، ويبدلوا الجزية ، وإن امتنعوا من جميع ذلك استعان بالله وقاتلهم ، وكان ﷺ إذا ظفر بقوم أمر أن ينادى بجمع الغنائم كلها ، ثم ابتداء بالسلب فأعطى كل قاتل سلب مقتوله - يعنى ثيابه وما عليه - ثم يخرج خمس الباقي ، ويصرفه في مصالح الإسلام كما عينها الله تعالى ، وما بقى منه أعطى منه النساء والصبيان والأرقاء ، ثم قسم الباقي بين العسكر للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم ؛ هذا هو الصحيح ، والأنفال من صلب الغنيمة على ما يرى فيه من المصلحة ، وقال بعضهم : كانت الأنفال من جملة الخمس ، وبعضهم يقول : من خمس الخمس وذا أضعف الأقوال ، وفي بعض الغزوات أعطى سلية بن الأكوخ خمسة سهام لأنه في تلك الغزوة وافقه توفيق عظيم ، وظهر من إقدامه أمور عجيبة وكان يسوى بين الضعيف والتموى في القسمة ، وكان إذا قصد ديار العدو في بعض الأحيان يرسل سرية فإن ظفروا بغنيمة أخرج منها الخمس وأخرج الربع من الباقي وخص به السرية ، وقسم الباقي بينهم وبين العسكر بالسوية ، ومع هذا كان يكره النفل ، ويقول : ينبغى للأقوياء أن يردوه على الضعفاء ، وكان له ﷺ من الغنيمة سهم خاص يقال له الصفي إن أراد عبداً أو أمة أو فرساً

أو ما أحب أخذه قبل الخمس ، وصفيّة أم المؤمنين ، وذو الفقار من تلك الجملة ، وإن غاب أحد عن المعركة لمصلحة المسلمين دفع له سهماً كما فعل مع عثمان في يوم بدر حيث كان مشغولاً بتمر يض بنت النبي ﷺ فقال ﷺ : إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب له بسهمه وأجره ، وسهم ذوى القربى كان يقسمه بين بنى هاشم ، وبنى المطلب ، ولا يعطى لإخوانهم من بنى عبد شمس ، وبنى نوفل شيئاً وقال : إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ، وما وجدوا في المغازى من طعام مثل العسل والعنب والجوز وغير ذلك أكلوه . أخذ عبد الله بن مغفل جراب شحم وقال : لا أعطى أحداً منه شيئاً فأقره على ذلك ، وكان يشدد في أمر الغلول والخيانة تشديداً عظيماً ويقول : هو نار وعار وشنار على أهله إلى يوم القيامة ، وغل شخص فأمر بإحراق ما اختانه ، وكذلك فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا من باب التعزير بالمال ، والله أعلم .

﴿ خاتمة الكتاب (١) ﴾

في الإشارة إلى أبواب روى فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث وإن كانت هذه الحروف في غاية الاختصار لكنها تشتمل على علوم تدخل في حد الإكثار ينبغي أن يعلم أن باب الإيمان وما هو مشهور كالإيمان قول وعمل ويزيد وينقص والإيمان لا يزيد ولا ينقص لم يثبت عن حضرة الرسالة في هذا المعنى شيء ، وهو من أقوال الصحابة

(١) تساهل المصنف رحمه الله تعالى هنا في هذه الخاتمة ، وهو في غالب ما ذكر متابع لابن الجوزي في كتابه الموضوعات ، وقد رذ عليه الحافظ المسند الشيخ محمد بن حسن المعروف بابن هبات الدمشقي شيخ المراتضى الزبيدي المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة وألف في كتاب أسماء الفسكيات والافادة في تخريج خاتمة سفر السعادة ، ولذلك اكتفينا بالإشارة إليه ، والله أعلم .

والتابعين ، وباب المرجئة والأشعرية لم يصح فيه حديث . وباب كلام الله
قديم غير مخلوق ، وفي هذا المعنى وردت أحاديث بألفاظ مختلفة ، ولم يصح
عن حضرة صاحب الرسالة فيها شيء ، وكل ما قيل فهو من كلام الصحابة
أو التابعين وباب خلق الملائكة والحديث المنسوب إلى أبي هريرة أنه رضي الله عنه
قال : يأمر الله جبريل كل غداة أن يدخل بحر النور فينغمس فيه انغماسة
ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله عز وجل
من كل قطرة منها ملكا ، لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شيء ، ولم
يثبت في هذا المعنى حديث ؛ وباب العلم وفضيلة التسمية بمحمد وأحمد والمنع
من ذلك لم يصح فيه شيء ، وباب العقل وفضله لم يصح فيه حديث نبوي ،
وباب عمر الخضر والياس (١) ، وطول ذلك وبقائهما لم يصح فيه حديث وباب
العلم ، وحديث طلب العلم فريضة ، وكل ما في هذا المعنى ليس فيه حديث
صحيح ، وباب من سئل عن علم وكتمه لم يصح فيه حديث ، باب فضائل
القرآن من قرأ سورة كذا فله كذا من أول القرآن إلى آخره سورة سورة
وفضيلة قراءة كل سورة زووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب ، ومجموع
ذلك مفتري ، وموضوع بإجماع أهل الحديث ، والذي صح من باب فضائل
القرآن أنه قال له : ألا أعليك سورة هي أعظم سورة في القرآن : الحمد لله
رب العالمين ، وحديث البقرة ، وآل عمران غمامتان ، وحديث آية الكرسي
والذي قاله لأبي : أتدرى أى آية من كتاب الله أعظم ؟ وحديث يؤتى يوم
القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم البقرة
وآل عمران ، وحديث من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة في كل ليلة
كفنتاه ، وحديث لقد صدقك وأنه لا كذوب في فضل آية الكرسي وحديث
فضل المعوذتين أنزل على آيات لم ينزل مثلهن قط ، وحديث الكهف من

(١) أنظر أهداف سورة الكهف الطبعة المنيرية .

قرأ منها عشر آيات عصم من الدجال ، وباب فضائل أبي بكر الصديق رضى الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات أن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ، وحديث ما صب الله في صدرى شيئاً إلا وصبه في صدر أبي بكر ، وحديث كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شربة أبي بكر ، وحديث أنا وأبو بكر كفرسى رهان ، وحديث إن الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر ، وأمثال هذا من المفتریات المعلوم بطلانها ببديهة العقل ، وباب فضائل على رضى الله عنه ، ومنقول فيه أحاديث لاتعد ، ومن أفضحها الأحاديث المجموعة فى الكتاب المسمى بالوصايا النبوية أول كل حديث منها ياعلى ، والثابت من تلك الجملة حديث واحد « ياعلى أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، وباب فضل معاوية ليس فيه حديث صحيح ، وباب فضائل أبي حنيفة والشافعى وذمهم ليس فيه شيء صحيح ، وكل ما ذكره من ذلك فهو موضوع ومفترى ، وباب فضائل البيت المقدس ، والصخرة ، وعسقلان ، وقزوين ، والأندلس ودمشق ليس فيه حديث صحيح ، غير لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . وحديث سئل عن أول بيت وضع فى الأرض فقال : المسجد الحرام . قيل : ثم ماذا؟ قال : ثم المسجد الأقصى ، وحديث إن الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة وباب إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً قال جماعة لم يصح فيه حديث ، وجماعة قائلون بصحته ، وقد أورده أكابر أهل الحديث فى مصنفاتهم ، وباب استعمال الماء المشمس لم يصح فيه حديث ، وباب تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث ، وباب تخليل اللحية ومسح الأذنين والرقبة لم يصح فيه حديث . وباب الوضوء من نبيذ التمر لم يصح فيه حديث ، وباب أمر من غسل ميتاً بالآغتسال لم يصح فيه حديث ، وباب النهى عن دخول الحمام لم يصح فيه شيء وباب بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة لم يصح فيه حديث ، وباب

الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن المروى بأسانيد عديدة لم يصح فيه شيء ؛
وباب لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد لم يصح فيه شيء ، وباب جواز
الصلاة خلف كل بر وفاجر لم يصح فيه شيء ، وباب إثم الإتمام وإثم الصيام
في السفر لم يصح فيه حديث ، وباب لا صلاة لمن عليه صلاة لم يصح فيه شيء
وباب القنوت في الفجر والوتر لم يصح فيه حديث بل قد ثبت عن بعض
الصحابة فعل القنوت ، وباب النهي عن الصلاة على الجنازة في المسجد لم يصح
فيه حديث ، وباب رفع اليدين في تكبيرات صلاة الجنازة لم يصح فيه شيء ،
وباب الصلاة لا يقطعها شيء لم يثبت فيه شيء ، وباب صلاة الرغائب وصلاة
نصف شعبان ، وصلاة نصف رجب ، وصلاة الأيمان ، وصلاة ليلة المعراج
وصلاة ليلة القدر ، وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان ورمضان . هذه
الأبواب لم يصح فيها شيء أصلاً ، وباب صلاة التسبيح لم يصح فيه حديث ،
وباب زكاة الحلي لم يثبت فيه شيء ، وباب زكاة العسل مع كثرة ما روى فيه
لم يثبت فيه شيء ، وباب زكاة الخضروات لم يثبت فيه شيء ، وباب السؤال
اطلبوا من الرحماء ومن حسان الوجوه ، وكل ما في هذا المعنى بمجموعه باطل
وباب فضل المعروف والتحذير من التبرم بجوائج الخلق لم يثبت فيه شيء ،
وباب فضائل عاشوراء ورد استحباب صيامه وسائر الأحاديث في فضله ،
وفضل الصلاة فيه ، والانفاق ، والخضاب ، والادهان ، والاكتحال ،
وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموعته ومفترى . قال أئمة الحديث :
الاكتحال فيه بدعة ابتدعتها قتلة الحسين ، وباب صيام رجب وفضله لم يثبت
فيه شيء ؛ بل قد ورد كراهة ذلك ، وباب الحجامة تفطر الصائم لم يصح فيه
شيء ، وباب حجوا قبل أن لا تحجوا ، وحديث من أمكنه الحج ولم يحج
فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً لم يثبت فيه شيء ، وباب كل قرض

جر منفعة فهو ربا لم يثبت فيه شيء ، وباب لانسكاح إلا بولي وشاهدى عدل لم يصح فيه شيء ، وباب الأمر باتخاذ السرارى لم يثبت فيه شيء ، وباب مدح العزوبة لم يثبت فيه شيء ، وباب حسن الخط والتحريض على تعليه لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن قطع السدر لم يثبت فيه شيء ، وباب فضل العدس والباقلاء والجن والجوز والباذنجان والرمان والزبيب لم يصح فيه شيء ، وإنما وضع الزنادقة في هذه الأبواب أحاديث وأدخلوها في كتب المحدثين شيناً للإسلام خذلهم الله تعالى ، وباب فضل اللحم وأن أفضل طعام الدنيا والآخرة اللحم لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن قطع اللحم بالسكين لم يثبت فيه شيء ، وباب فضل الهريسة لم يثبت فيه شيء ، والجزء المشهور في ذلك مجموع أحاديثه مفترى ، وباب النهى عن أكل الطين لم يثبت فيه شيء ، وباب الأكل في السوق لم يثبت فيه شيء ، وباب فضائل البطيخ لم يثبت فيه شيء ، وأحاديث كتاب البطيخ مجموعها باطل وموضوع ، والثابت من تلك الجملة « أن رسول الله ﷺ كان يأكل البطيخ » ، وباب فضائل النرجس والمرزنجوش والبنفسج والبان لم يثبت فيه حديث ، وحديث من شم الورد وحديث خلق الورد من عرقى ، وأمثال هذه كلها موضوعة باطلة ، وباب فضائل الديك الأبيض لم يثبت فيه شيء ، والحديث المسلسل المشهور فيه الديك الأبيض صديق باطل وموضوع ، وباب فضائل الحناء ليس فيه شيء صحيح ، وباب النهى عن نتف الشيب لم يثبت فيه شيء ، وباب التختم بخاتم من عتيق ، والتختم في اليمين لم يثبت فيه شيء ، وباب النهى عن عرض الرؤيا على النسوان لم يصح فيه شيء ، وباب تكلم النبي ﷺ بالفارسي مثل العنب دودو وباسلامان شكم درد لم يصح فيه شيء ولم يثبت ، وباب كراهة الكلام بالفارسي لم يثبت فيه شيء ، وحديث كلمة فارسية ممن يحسن العربية لمن يحسنها

خطيئة خيلاً ، وباب ولد الزنا ، والمشهور من ذلك ولد الزنا لا يدخل الجنة لم يثبت بل هو باطل ، وباب ليس لفاسق غيبة وما في معناه لم يثبت فيه شيء وباب النهي عن سب البراغيث لم يثبت فيه شيء ، وباب ذم السماع لم يرد فيه حديث صحيح ، وباب اللعب بالشطرنج ليس فيه حديث صحيح ، وباب لا تقتل المرأة إذا ارتدت ما صح فيه حديث بل صح خلاف ذلك « من بدل دينه فاقتلوه » وباب إذا وجد القتيل بين قريتين ضمن أقربهما ما ثبت فيه شيء ، وباب من أهديت له هدية وعنده جماعة فهم شركاء ما ثبت فيه شيء وباب ذم الكسب وفتنة المال ما ثبت فيه شيء ، وباب ترك الأكل والشرب من المباحات ما صح فيه شيء ، وباب الحجامة واختيارها في بعض الأيام ، وكرهاتها في بعضها ما ثبت فيه شيء ، والثابت في هذا الباب أنه أمر بالحجامة ، من أمتك بالحجامة ، وحديث الصحيحين « إن كان في شيء شفاء ففي شرطة حجام أو في شربة عسل أو لدعة بنار » ، وباب الاحتكار فيه أحاديث كثيرة منقولة ، ولم يصح فيه شيء سوى حديث مسلم « من احتكر فهو خاطيء » وبعضهم يقول هو منسوخ وبعضهم يحمله على أنه إن أضر بأهل ذلك المقام إو لا لا ، وباب مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ما صح فيه حديث . وباب موت الفجاءة ما صح فيه شيء ، وحديث أنها راحة للمؤمن ووخدة (١) أسف للكافر ما ثبت فيه شيء ، وباب الملاحم والفتن والمزوى في ذلك من أن أمير المؤمنين علياً قال للزبير في يوم الجمل : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ في ستيغة بني فلان يقول ليقاتلنك وأنت ظالم له ؟ لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث ، وباب ظهور آيات القيامة في الشهور المعينة ، ومن المروى فيه يكون في رمضان هدة وفي شوال همهمة إلى غير ذلك ما ثبت فيه شيء ومجموعه باطل ، وباب الإجماع حجة لم يصح فيه حديث ، وباب القياس حجة

لم يثبت فيه شيء وباب ذم المولودين بعد المائة لم يثبت فيه شيء ، وباب وصف ما يقع بعد مائة وثلاثين سنة وبعده مائتي سنة وبعده ثلاثمائة سنة ومذمة أولئك القوم ومدح الانفراد والتجرد في ذلك الوقت بمجموعه باطل ومفتري وحديث الغرباء ثلاثة : قرآن في جوف ظالم ، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح بين قوم سوء باطل ، وباب ظهور الآيات بعد المائتين لم يثبت فيه شيء . وباب مذمة الأولاد في آخر الزمان وقول : لأن يزني أحدكم بحرو و كلب خير له من أن يزني بولد ، وحديث يكون المطر قيظاً والولد غيظاً لم يثبت من هذه الأحاديث شيء ، وباب تحريم القرآن بالألحان والتغنى لم يثبت فيه شيء بل ورد خلاف ذلك في الصحيح وهو أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وهو يقرأ سورة الفتح ويرجع فيها قال الراوى والترجيع آ آ . وباب تخليل النبيذ لم يصح فيه حديث وباب إذا سمعتم عن حديثاً فأعرضوه على كتاب الله فان وافقه فاقبأوه وإلا فردوه لم يثبت فيه شيء ، وهذا الحديث من أوضع الموضوعات بل صح خلافه « ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معه » وجاء في حديث آخر صحيح « لألفين أحدكم متكئاً على متكئته يصل إليه عن حديث فيقول : لا نجد هذا الحكم في القرآن ألا وأنى أوتيت القرآن ومثله معه » وباب انتفاع أهل العراق بالعلم والمشى إلى طلب العلم حافياً والتلق في طلب العلم وعقوبة المعلم الجائر على الصبيان والدعاء بالفقر على المعلمين لم يصح فيه شيء ، وباب الحاكمة وذمهم ومدحهم لم يثبت فيه شيء وباب إنشاد الشعر بعد العشاء ، وحفظ العرض بإعطاء الشعراء وذم التعبد بغير فقه ، ومذمة العلماء الذين يمشون إلى السلاطين ومسامحة العلماء بزيارة الملأئكة قبور العلماء لم يثبت فيه شيء ، وباب افتراق الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة لم يثبت فيه شيء والله أعلم بالصواب .

تم طبع هذا السفر الفريد للمرة الثالثة بعد أن بذلنا جهداً كبيراً في تحريره والتعليق على بعض الألفاظ ، والعبارات التي تحتاج إلى تعليق تتميها للفائدة ، فجاءت هذه الطبعة والله الحمد وافية دقيقة ، حيث قد حفزتنا الرغبة في نشر العلم عن طريق المكتب المعتمدة الصحيحة المعترف بها ممن يشار إليهم بالبنان غير آبهين بما سوى ذلك مما يسعى إليه الماديون ومن في حكمهم ، والله نرجو أن يوفقنا ويسدد خطواتنا حتى نأتسى بسلفنا الشهير المغفور له « الشيخ محمد منير الدمشقي » ونتم رسالته على الوجه الذي كان يضحى من أجله براحته ووقته حتى لقي الله رضى القاب مطمئن النفس إن شاء الله .

هذا وكان الفراغ منه في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٨ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية .



عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثالثة سنة ١٣٦٨ هـ

إِدَارَةُ الطَّبِيعَةِ الْمُنِيرَةِ

بمساعدة

بعض علماء الجامع الأزهر

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

﴿ نقلناها مختصرة من تاج العروس للمرتضى ﴾

هو الإمام الشهير أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ابن أبي بكر بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم ابن علي بن يوسف قاضي القضاة مجد الدين الصديقي الفيروز آبادي الشيرازي اللغوي ، قال الحافظ ابن حجر : وكان يرفع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يكن مرفوعاً فيما قاله ، ولد بكازرين سنة ٧٢٩ ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، وهو ابن سبع ، وكان سريع الحفظ بحيث أنه كان يقول : لا أنام حتى أحفظ مائتي سطر ، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان سنين ، وأخذ عن والده وعن القوام عبد الله بن محمود وغيرهما من علماء شيراز ، وانتقل إلى العراق ، فدخل واسط وبغداد ، وأخذ عن قاضيها ومدرس النظامية بها الشرف عبد الله بن بكاش ، وجال في البلاد الشرقية والشامية ، ودخل بلاد الروم والهند ، ودخل مصر ، وأخذ عن علمائها ، ولقى الجماء الغفير من أعيان الفضلاء ، وأخذ عنهم شيئاً كثيراً بيّنه في فهرسه . وبرع في الفنون العلمية ، ولا سيما اللغة فقد برز فيها ، وفاق الأقران ، وجميع النظائر ، واطلع على النوادر ، وجود الخط ، وتوسع في الحديث والتفسير وخدمة السلطان أبا يزيد ابن السلطان مراد العثماني ، وقرأ عليه وأكسبه مالا عريضاً ، وجاها عظيماً ، ثم دخل زبيد في رمضان سنة ٧٩٦ فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل ، وبالع في إكرامه ، وصرف له ألف دينار ، وأمر صاحب عدن أن يجهزه بألف دينار أخرى ، وتولى قضاء اليمن كله . وقرأ

عليه السلطان ، فمن دونه ، واستمر يزيد عشرين سنة ، وقدم مكة مراراً ، وجاور بها ، وأقام بالمدينة المنورة وبالطائف ، وعمل بها ما أثر حسنة ، وما دخل بلدة إلا أكرمه أهلها ومتولياها ، وبالع في تعظيمه مثل شاه منصور ابن شاه شجاع في تبريز ، والأشرف صاحب مصر ، وأبي يزيد صاحب الروم وابن إدريس في بغداد ، وتيمورلنك وغيرهم ، وقد كان تيمور مع عتوه يبالي في تعظيمه ، وأعطاه عند اجتماعه به مائة ألف درهم هكذا نقله شيخنا والذي رأيت في معجم الشيخ ابن حجر المسكي أنه أعطاه خمسة آلاف دينار ورام مرة التوجه إلى مكة من اليمن ، فكتب إلى السلطان يستأذنه ويرغبه في الإذن له بكتاب من فصوله ، وكان السلطان الأشرف قد تزوج ابنته ، وكانت رائعة في الجمال ، فنال بذلك منه زيادة البر والرفعة بحيث إنه صنف له كتاباً ، وأهداه له على أطباق ، فلاحا له دراهم ، وكان واسع الرواية سمع من محمد بن يوسف الزرندي المدني صحيح البخاري ، وسمع من ابن الخباز ، وابن قيم الجوزية ، وابن الحموي ، وأحمد بن عبد الرحمن المرداوي ، وأحمد بن مظفر النابلسي ، والتقي السبكي ، وولده التاج ، ويحيى ابن علي الحداد وغيرهم ، وغيرهم بدمشق ، وفي القدس من العلاني والفارقي والعز بن جماعة ، وابن جهبل وغيرهم ؛ وله التصانيف الكثيرة النافعة الفائقة منها الكتاب المسمى بالقاموس المحيط ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز في مجلدين ، وتنوير المقياس في تفسير ابن عباس في أربع مجلدات ، وتيسير فائحة الإهاب في تفسير فاتحة الكتاب في مجلد كبير . والدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، وحاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص ، وعدة الأحكام في شرح عمدة الأحكام في مجلدين ، والمغانم المطالبة في معالم طابة ، وسفر السعادة ، وغير ذلك من

مطلول ومختصر ذكرها الزبيدي في شرح القاموس ، وتوفي رحمه الله ممتهاً بحواسه قاضياً بزبيد - وقد ناهز التسعين - في ليلة الثلاثاء الموفية عشرين من شوال سنة سبع أو ست عشرة وثمانمائة ، وفي ذيل ابن فهد : وله بضع وثمانون سنة ، ودفن بتربة القطب الشيخ إسماعيل الجبرتي ، وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل واحد منهم بفن فاق فيه الأقران على رأس القرن الثامن ، منهم السراج البلقيني في فقه الشافعي ، وابن عرفة في فقه مالك ، والمجد اللغوي في أسرار اللغة ونوادرها ، وترجمه الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر ، واقتفى أثره تلميذه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع ، والسيوطي في البغية ، وابن قاضي شهبه في الطبقات ، والصفدي في تاريخه ، والمقري في أزهار الرياض .

هذا ، وإن من ينظر في هذا الكتاب القيم الذي يهدي القارئ إلى آفاق الطاعة والمعرفة ، ليدرك مبلغ ما وصل إليه هذا العالم الجليل الذي أضاءت من ترجمته على عظمتها الدينية ، ومجده الأدبي ، وبلوغه درجة من سبتموه من هداة الأمة وأئمتها الأعلام . حشرنا الله في زميرتهم آمين .

﴿ فهرست سفر السعادة ﴾

صفحة

- ٤ فاتحة الكتاب في ذكر حال حضرته ﷺ قبل نزول الوحي وبيان عبادته في تلك الأيام .
- ٦ باب طهارة حضرة صاحب الرسالة ﷺ .
- ٨ فصل ثبت في الأخبار الصحيحة أن النبي ﷺ مسح على الخفين في السفر والحضر .
- ٨ فصل كلما تيمم ﷺ ضرب الخ .
- ٩ باب في صلاة الرسول ﷺ .
- ١٣ فصل كان النبي ﷺ إذا فرغ من القراءة الخ .
- ١٥ » كان النبي ﷺ إذا هوى الخ .
- ١٧ » كان النبي ﷺ يطول الركعات من صلاة الليل الخ .
- ١٨ » كان ﷺ إذا فرغ من السجدة الأولى رفع رأسه الخ .
- ٢١ » كان ﷺ يقول بعد التشهد : السلام عليكم الخ .
- ٢١ » من جملة الأدعية التي كان يقرأها في الصلاة اللهم اغفر لي ذنبي الخ .
- ٢٢ » اعلم أن السرور والانشراح وقرّة العين وطيب القلب الذي كان كان يجده في الصلاة الخ .
- ٢٣ فصل في نسيان الرسول ﷺ في الصلاة الخ .
- ٢٤ » كان رسول الله ﷺ يفتح عينه المباركة في الصلاة الخ .
- ٢٥ » كان ﷺ إذا فرغ من الصلاة قال ثلاث مرات أستغفر الله الخ .
- ٢٩ » فصل في بيان السنن والرواتب من الصلوات التي كان يواظب عليها الخ .

- ٣١ فصل عادة حضرة سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان إذا صلى الخ .
- ٣٢ » في قيام الليل .
- ٣٣ » كان ﷺ يستيقظ من النوم الخ
- ٣٦ » ثبت بروايات صحيحة أنه ﷺ كان يصلي بعد الوتر الخ .
- ٣٦ » لم يرد في الصحيح أنه ﷺ قرأ القنوت الخ .
- ٣٨ » في صلاة الضحى وعادة الرسول في ذلك .
- ٤٣ » كان من عادة رسول الله ﷺ أنه إذا تجددت نعمة أو اندفعت نعمة سجد لله تعالى شكراً .
- ٤٣ فصل لم يكن ﷺ يترك سجادات القرآن الخ .
- ٤٤ » في فضل يوم الجمعة وعبادات النبي ﷺ فيه .
- ٤٥ من فضائل يوم الجمعة أن الله استوى على عرشه يوم الجمعة ، وذكر عقيدة السلف في ذلك وبيان تخييط الحشوية هنا ومدعى التصوف
- ٤٩ فصل كان من عوائده السكريمة ﷺ أن يعظم يوم الجمعة الخ .
- ٤٩ خواص يوم الجمعة ذكر منها اثنتين وثلاثين خاصية مفصلة .
- ٥٧ فصل في الخطبة النبوية في يوم الجمعة .
- ٥٩ » في صلاة العيد وبيان هدى الرسول فيها .
- ٦١ » في عباداته ﷺ في حال الاستسقاء وبيان الأدعية الواردة فيه .
- ٦٤ » في عبادات السفر من دعاء وقصر صلاة .
- ٦٧ » فصل في عادة الحضرة النبوية ﷺ حال قراءة القرآن واستماعه وكال خضوعه وخشوعه وبكائه حال سماعه .

- ٦٨ فصل في العادات النبوية في تفقد المرضى .
- ٦٩ فصل في العادة النبوية في أحوال الميت وأداء حقوقه الخ .
- ٧٤ » كان إذا دخل وقت الصلاة في حال القتال تقدم عليه السلام واصطف الأصحاب عقبه الخ .
- ٧٥ فصل كان من العادة النبوية في الزكاة مراعاة الفقر الخ .
- ٧٦ » فصل في زكاة الفطر وهدى الرسول فيها .
- ٧٧ » في أسباب انشراح صدر حضرة سيدنا رسول الله ﷺ الذي أنزلت فيه سورة ألم نشرح
- ٧٩ باب صيام النبي ﷺ
- ٨١ فصل كان ﷺ إذا سافر في رمضان أفطر في بعض الأحيان الخ .
- ٨٢ » فصل في صيام النافلة .
- ٨٣ » لما كان الاعتكاف سبب جمعية الخاطر الخ .
- ٨٣ من السنن المتروكة في عصرنا الحاضر الاعتكاف في المساجد .
- ٨٤ باب حج النبي وعمره ﷺ
- ٨٤ فصل في سياق حج الرسول ﷺ
- ٨٦ » وقع السهو لخمس من الطوائف في صفة حج رسول الله ﷺ الخ
- ٩٨ » في دخول الكعبة والوقوف بالملتزم في طواف الوداع .
- ٩٩ » اعلم أن الذبائح التي تحصل بها القرية ثلاثة أنواع وتفصيل ذلك
- ١٠٠ » فصل في قربان رسول الله ﷺ وصفته .
- ١٠١ » في السنة النبوية في العقيدة .
- ١٠٥ » ونهى رسول الله ﷺ أن يسمى العنب كرما وبيان ذلك .

- ١٠٦ باب أذكار النبي ﷺ
- ١١٦ فصل كان ﷺ إذا لبس ثوباً جديداً قرأ هذا الدعاء اللهم الخ .
- ١١٦ » كان ﷺ إذا رجع إلى بيته قال الحمد لله الذي كفاني الخ .
- ١١٧ » كان ﷺ يقول عند دخول الخلاء اللهم إني أعوذ الخ .
- ١١٧ » في أذكار الأذان .
- ١١٨ » في عشر ذي الحجة .
- ١١٩ » كان ﷺ إذا رأى الهلال قال اللهم أهله الخ .
- ١١٩ » كان ﷺ إذا أكل طعاماً سمى الله الخ .
- ١٢٠ » كان ﷺ في بعض الأحيان إذا دخل البيت يقول هل عندكم طعام الخ .
- ١٢١ فصل في السلام والآداب النبوية في هذا الباب .
- ١٢٥ » في الاستئذان .
- ١٢٥ » كان ﷺ إذا عطس وضع يده المباركة الخ .
- ١٢٧ » في أذكار السفر .
- ١٢٨ » كان ﷺ إذا استوى على الراحلة قال الله أكبر .
- ١٣١ » كان ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة الحمد لله الخ .
- ١٣٤ » في ألفاظ ليس في كراهتها خلاف .
- ١٣٤ باب في عموم أحواله ﷺ ومعاشه وهو مشتمل على فصول .
- ١٣٤ فصل في طعامه ﷺ وعادته الكريمة .
- ١٣٥ » في لباسه ﷺ .
- ١٣٦ » النبي ﷺ لبس السراويل الخ .

١٣٨ فصل في العادة النبوية في معاشرة أزواجه الطاهرات ومباشرتهن

١٤٠ » في نوم سيدنا رسول الله ﷺ ويقظته

١٤٠ » في الركوب .

١٤١ » كان للنبي ﷺ قطيع من الغنم الخ

١٤١ » باع سيدنا رسول الله ﷺ واشترى

١٤٣ » سابق ﷺ على قدميه الخ

١٤٣ » كان ﷺ يعالج الأمراض بأنواع الخ

١٤٤ » في علاج استطلاق البطن الخ

١٤٥ » في علاج الطاعون والوباء

١٤٦ » في علاج الاستسقاء

١٤٦- » أمر رسول الله ﷺ في علاج الجراحات برمد من حصير

محروق الخ

١٤٧ فصل كان ﷺ يقول الشفاء في ثلاثة الخ

١٤٨ » كان ﷺ لا يحب الكى ومع هذا كان يأمر به الخ

١٤٨ » في هديه في علاج الصرع

١٥٠ » في علاج عرق النساء

١٥٠ » في معالجة يبس المزاج بالتليين واختيار السنن المسكى الخ

١٥١ » في الحكمة وغلبة القمل

١٥١ » في علاج ذات الجنب

١٥٢ وإذا حدث برأسه ﷺ صداع وضع عليه الحناء ويقول هذا ينفع

١٥٢ فصل كان النبي ﷺ يقول لا تسكروا مرضاكم على الطعام والشراب الخ

١٥٣ فصل في علاج العذرة التي تظهر في حلق الأطفال بالقسط الهندي

١٥٤ » من اشتكى وجع القلب يقال له مفئود الخ

١٥٤ » أمر ﷺ المرضى بالحمية الخ

١٥٥ » أمر ﷺ في دواء وجع العين بالسكون الخ

١٥٥ » أمر ﷺ في دواء الخدران الكلى بالماء البارد الخ

١٥٥ » في إصلاح الطعام والشراب الذي سقط فيه الذباب وهو

مبحث نفيس

١٥٦ فصل أمر ﷺ في علاج البثرات بالذيرة

١٥٦ فصل أمر ﷺ أن يعالج المريض في بعض الأحيان بالكلمات

المطيبات للنفس الخ

١٥٧ فصل في علاج السم

١٥٨ » في علاج السحر

١٥٨ » في العلاج بالقىء

١٥٨ » في تضمين من يعالج بغير معرفة

١٥٩ » أمر ﷺ باجتنب معاشرة أرباب الأمراض المعدية

١٦٠ » منع ﷺ من التداوى بالمحرّمات .

١٦٠ » في علاج القمل بحلق الرأس .

١٦٠ » في المعالجة بالأدوية الروحانية الربانية الخ .

١٦٣ » عاج ﷺ جميع الأمراض بهذا الدعاء الخ .

- ١٦٦ » في علاج السكرب والغم والهم بأدعية مأثورة .
- ١٦٨ » في العادة النبوية في الطعام والشراب .
- ١٦٩ فصل لم يكن له ﷺ ولا لأصحابه التفات إلى المسكن الخ .
- ١٦٩ » وأما تدبير النوم واليقظة فكان على أعدل الوجوه .
- ١٧٠ » في هديه في الجماع والباء وهذا الفصل أضافه زيادة على فصول الكتاب المغفور له الشيخ (محمد منير)
- ١٧١ » أمر في حفظ الصحة باستعمال الطيب .
- ١٧١ » في حفظ صحة العين .
- ١٧٢ » في القرض والسلف .
- ١٧٣ » في صفة مشيه ﷺ .
- ١٧٣ » في كلام النبي وسكوته وضحكه وبكائه الخ .
- ١٧٤ » في الفطرة وتوابعها
- ١٧٥ » كان ﷺ يقص شاربه الخ
- ١٧٦ » في الجهاد وآدابه
- ١٨١ خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روى فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح وقد غلا المصنف رحمه الله تعالى في بعضها وقد بين ذلك ابن همام الدمشقي
- ١٨٩ ترجمة المؤلف نقلها المرحوم الشيخ محمد منير مختصرة من تاج العروس المرتضى

كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

صححه وراجع أصوله السلفي الشهير :

محمد بن عبد الرحمن

الثن ١٠ قروش

الكامل في الطب

لابن تيمية

الثن ٥ قروش

ظهر مدينا :

« تفسير سورة الكهف »

لعبد الحميد مجازي

مواعظ . حكم . آداب عالية . إيمان . فضائل . اجتماع
دستور شامل لسمو الإنسانية ومجدها

الثن ٧ قروش

تفسير المعجزة النبوية

للعلمامة الإمام شيخ الإسلام « ابن قيم الجوزية »
إن هذا الكتاب درة علمية ، تجل حقيق التعوذ في عرض شيق ، مراعى فيه دقة البحث ، واستشراف الحقائق من مصادرهما الصحيحة حتى إذا فرغت من تلاوته تكشف لك أسرار ربانية ، ولطائف روحانية ، يهرك جلالها ، ويسرك روائها ، ويهديك حاديها إلى الاطمئنان والمعرفة .
وستهدى هذا السفر القيم إدارة الطباعة المنيرية إلى زبائننا الكرام قريباً فترقبوه
الثمن ٥ قروش

تفسير سورة النور للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية

وهذا لؤلؤة باهرة ، بل قرآ منيراً ، وشمساً وضاءة ، ترسل أشعتها على ناحية من أهم النواحي التي يرتبط بها العمران ، ويدور عليها قطب بقاء النوع الإنساني ، فهو يتناول حداً من حدود الله بأسلوب علمي فذ ، وعرض مبسط تدعمه الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه وأنه لم يقف في هذا البحث الخطير على ناحية دون أخرى بل تناول جميع آفاقه وضروبه وبين وجوه الزنا المختلفة الخ وستقدمه لزبائننا الكرام للهرة الثانية إدارة الطباعة المنيرية بما عهد عنها من أمانة ودقة علمية فيما تروم نشره
الثمن ٦ قروش